جامعة أم القرى
مكة المكرمة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
فرع الكتاب والسنة

هذه هي الرسالة التي تمت مناقشتها
وقد صححت الرسالة في الصلب حسب ما رأت
لجنة المناقشة

د/ علي محمد نصر ... د/ عبد الباسط بلبول
٢٣/ ٨/ ١٤٠٥هـ ... ٢٢/ ٨/ ١٤٠٥م

خادم القرآن العظيم وعلومه
محمد ضياء الدين عتر

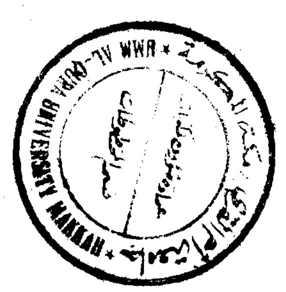
التفسير في القرن الأول الهجري

بحث مقدم

لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية فرع الكتاب والسنة

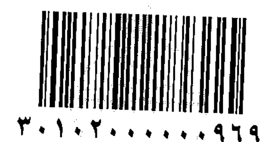
إعداد الباحثة

فائقة إدريس عبد الله



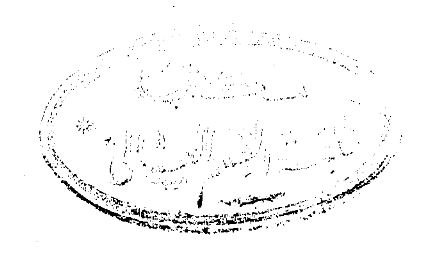
إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الباسط إبراهيم بلبول



عام

١٤٠٤ - ١٤٠٥هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ .

سورة ص الآية ٢٩

الإهداء

إلى أخي فضيلة الشيخ إسحاق الذي له
الفضل بعد الله في وصولي إلى نيل هذه
الدرجة . أهدي رسالتي

فائقة إدريس

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لأستاذي الجليل

الدكتور عبد الباسط إبراهيم بليول

على تفضله بالإشراف على رسالتي ومساهمته بالإرشاد والتوجيه لي ، فإليه وإلى أعضاء لجنة المناقشة الموقرين أقدم وافر شكري وتقديري سائلة المولى الكريم أن يجزيهم عني وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء

إنه على كل شيء قدير

فهرس اجمالـــــي

المقدّمة

المقدمـــــة

••*•*•*•*

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ، أنزل على رسوله الكتاب المبين ، هدى وموعظة للمتقين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامين ، بعثه الله بالحق المبين ، واقام به الحجة على العالمين .

أما بعـد ..

فان القرآن الكريم هو كتاب الهداية ، الذى حدد للناس معالم الحق ورسم لهم طريق الخير وبين لهم المثل الاعلى في كل شيء ، في عقائدهم وعباداتهم وفي اخلاقهم ومعاملاتهم .

ولقد كان من اسباب الطمأنينة والرضا النفسي ان منّ على المولى عز وجل بالاسهام في وضع لبنة متواضعة في صرح الدراسات القرآنية الشامخ ، وشاء الله ان تكون تلك اللبنة في مجال التفسير الذى هو من اشرف العلوم ان لم يكن اشرفها جميعا ، وكيف لا وهو " العلم الذى يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه واستخراج احكامه وحكمه (١) واذا كان الفهم السليم لاى كتاب يتعلق بتخصص ما من تخصصات الحياة يؤدى الى التقدم في هذا التخصص ، فكيف اذا فهمنا كلام العليم الخبير الذى حوى بين دفتيه علوم الأولين والآخرين ، وعملنا بما فيه ؟ !

ان هذا الفهم ... وهذا العمل بلا ريب يؤديان الى الفوز بسعادة الدارين ولاسيما اذا بارك الله هذا العمل وزكاه بالاخلاص .

~~(١) مناهل العرفان ، للزرقاني : جـ ١ ص ٤٧١ .~~

وهذا العمل الذى منّ الله عز وجل عليّ بانجازه يدور حول :

" التفسير في القرن الأول الهجرى " .

أما اسباب اختيار هذا البحث ، فهي :

أولا : الاسهام في خدمة كتاب الله عز وجل ، والقيام ببعض الواجب نحو هذا الكتاب الكريم الذى يحمل في آياته الدعوة الى الحق والخير ، ويحقق للناس السعادة في الدنيا والآخرة .

ثانيا : ان البحث فرصة طيبة لاضافة شيء جديد في تفسير القرآن يعزز السابق ، ويفيد اللاحق .

ثالثا : التعرف على ملامح لمناهج عدد من الصحابة والتابعين في تفسير القرآن الكريم ، وتنبيه طلبة العلم الى هذا التراث التفسيرى الذى حفلت به كتب التفسير .

رابعا : أن استفيد علميا من هذا الموضوع وذلك لان تناول تاريخ التفسير منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء بعده يعتبر علما قائما بذاته .

وقد رأيت في معالجة هذا الموضوع ان يكون على النحو التالي :

مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة ابواب ، وخاتمة .

أما المقدمة :

فبينت فيها اسباب اختيار الموضوع وأهميته .

وأما التمهيد :

فتحدثت فيه عن نشأة التفسير بالمأثور ووضحت فيه معنى التفسير في اللغة وفي اصطلاح العلماء وكذلك معنى المأثور وقد اشرت فيه الى المفسرين من الصحابة والتابعين المكثرين منهم والمقلين ونشأة المدارس التفسيرية .

وأما الباب الأول : فقد افردته للحديث عن اعلام المفسرين ، ويحتوى على فصليـن :

الفصل الأول : المفسرون من الصحابة ، ويحتوى على تراجم لمن اشتهر بالتفسير من الصحابة واخترت منهم عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي بن ابي طالب ، وابيّ بن كعب ، وابا موسى الاشعرى ، وأنس بن مالك - رضي الله عنهم اجمعين - وبينت مبلغهم من العلم ومناهجهم في تفسير القرآن الكريم ، وذكرت مروياتهم من حيث القوة والضعف وذيلت هذا الفصل بقيمة التفسير المأثور عن الصحابة ومميزات التفسير في عصرهم .

الفصل الثاني : المفسرون من التابعين ، ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول :

ويحتوى على تراجم لاهم اتباع عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - بينت فيه مبلغهم من العلم "ونماذج من تفاسيرهم وهم : مجاهد بن جبر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعطاء بن أبي رباح .

المبحث الثاني :

ويتضمن تراجم لاهم اتباع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وترجمت لكل من : علقمة بن قيس ، ومسروق بن الاجدع ، والحسن البصرى ، وقتادة ابن دعامة السدوسي .

المبحث الثالث :

ويشتمل على تراجم لاهم اتباع ابيّ بن كعب - رضي الله عنه - وهم : ابو العالية رفيع بن مهران الرياحي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وزيد بن اسلم، وختمت هذا المبحث بقيمة التفسير المأثور عن التابعين .

الباب الثاني :

بعنوان قضايا التفسير ويتكون من ثلاثة فصول :

الفصل الأول :

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في ايات العقيدة وفيه اربعة مباحث :

المبحث الأول :

استعرضت فيه آراء الصحابة والتابعين من قضية رؤية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل في الدنيا .

المبحث الثاني :

تناولت فيه موضوع مرتكب الكبيرة ، وآراء السلف في ذلك.

المبحث الثالث :

تحدثت فيه عن امر غيبي لا نعلم من حقيقته الا ماجاء عن طريق الخبر الصادق عن النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو موضوع الجن .

المبحث الرابع :

تعرضت فيه للحديث عن عقيدة الايمان باليوم الآخر وموقف الصحابة والتابعين من الآيات التي تتحدث عن بداية ذلك اليوم ومايسبقه ومنتهاه.

الفصل الثاني :

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات الاحكام ، وهو ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

تكلمت فيه عن قصر صلاة السفر وبينت آراء علماء التفسير في القرن الاول من هذا الموضوع .

المبحث الثاني :

بينت فيه مواضع سجود التلاوة والآراء في ذلك .

المبحث الثالث :

عقدته لموضوع حكم العمرة أواجبة هي ام تطوع ، وموقف الصحابة والتابعين من هذا الأمر .

الفصل الثالث : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات الاخلاق ، ويحتوى على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

جعلته للحديث عن خلق الامانة .

المبحث الثاني :

وخصصته لفضيلة الصدق وموقف الصحابة والتابعين من هذا الخلق النبيل .

المبحث الثالث :

تكلمت فيه عن خلق نحتاجه دوما في ديننا ودنيانا ، عن الصبر .

الباب الثالث : وهو بعنوان : الاتباع في تفسير القرآن ، ويشتمل على فصلين :

الفصل الأول : شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين عددت فيه الشروط التي ينبغي توافرها فيمن تصدى لتفسير القرآن الكريم .

الفصل الثاني : بعنوان بين التفسير في القرن الاول وما جاء بعده ،

بدأته بالحديث عن التفسير في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بالتفسير في عصر الصحابة بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى ثم تفسير التابعين واتباع التابعين ، وتضمن هذا الفصل ايضا اشهر الكتب التي الفت معتمدة على المأثور ، مثل : تفسير بقي بن مخلد ، وتفسير الطبرى ، وتفسير ابن عطية ، وكذلك بعض الكتب التي الفت معتمدة على التفسير الاجتهادى المحمود مثل تفسير روح المعاني ، والبحر المحيط ، وتفسير الجلالين ، موازنة بين ما اختاره مؤلفو هذه الكتب في تفاسيرهم لبعض الآيات القرآنية وبين مارآه علماء التفسير في القرن الاول الهجرى .

ثم عقبت ذلك كله بالخاتمة وقد لخصت فيها اهم النتائج التي توصلت اليها .

هذا وارجو ان اكون بهذا البحث المتواضع قد قدمت الى مكتبة التفسير شيئا جديدا ... واسأل الله تبارك وتعالى ان ينفع به ويجعله خالصا لوجهه الكريم.

هذه كلمة موجزة عن موضوع البحث ، والاسباب التي حفزتني الى اختياره والخطة التي سرت عليها في البحث والدراسة.

ختاما ان كنت قد اصبت في بحثي هذا فذلك من فضل الله وعظيم توفيقه ، وان تعثرت بي الخطى فأرجو الله ان يغفر لي خطئي وتقصيرى انه اهل التقوى واهل المغفرة.

نشأة التفسير بالمأثـــور

القرآن الكريم هو النور الذى نزل به جبريل عليه السلام على قلب النبي صلى الله عليه وسلم ليكون دستورا عادلا وتشريعا خالدا ونبراسا ساطعا وهديـا واضحا .

نزل بالاحكام والشرائع منجما على رسول الله صلى الله عليه وسلم حسـب الحوادث والوقائع في بضع وعشرين عاما فكان لابد ان توجد فيه مواضع لم تكـد تصل الى فهمها العقول ، ولما كانت هذه الاحكام والشرائع لا يمكن العمل بهـا الا اذا فهمت جيدا ،كان الرسول صلى الله عليه وسلم يتدارس ما ينزل من القـرآن مع اصحابه رضوان الله عليهم يفصل لهم المجمل ويوضح لهم المبهم ، ويفسـر لهم المشكل .

فكان صلى الله عليه وسلم المفسر لكتاب الله تعالى بسنته القولية والفعلية كما قال تعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (١)

والذى يرجع الى كتب السنة النبوية الشريفة يجدها قد افردت للتفسير بابا من الابواب التي اشتملت عليها ذكرت فيه كثيرا من التفسير المأثور عن الرسـول صلى الله عليه وسلم . فماذا تعني كلمة تفسير مأثور ؟

التفسير لغـــة :

قيل هو من الفسر ، وقيل من التفسرة ، وقيل مقلوب من السفر وذلـك على التفصيل التالي :

---

(١) سورة النحل : الآية " ٤٤ ".

كونه من الفسر : قال ابن منظور : " الفسر : البيان . فسر الشيء يفسره بالكسر ويفسره بالضم فسرا ، وفسره : أبانه ، والتفسير مثله ، الفسر كشف المغطى ، والتفسير : كشف المراد عن اللفظ المشكل " (١)

كذا قرر ابو حيان هذا المعنى اذ قال :

" ويطلق ايضا التفسير على التعرية للانطلاق ، قال ثعلب : تقول فسرت الفرس: عريته لينطلق في حضره ، وهو راجع لمعنى الكشف فكأنه كشف ظهره لهذا الذى يريده منه المجرى ". (٢)

وقال السيوطي :

" التفسير تفعيل من الفسر وهو البيان والكشف " (٣) وقيل ان التفسير مأخوذ منه التفسرة وهي القليل من الماء الذى ينظر فيه الاطباء للكشف عن علة المريض .

وكأنه تسمية بالمصدر ، لان مصدر فعل جاء ايضا على تفعلة ، نحو جرّب تجربة وكرم تكرمه (٤) والى هذا جنح الزركشي فقال :

" واصله في اللغة من التفسرة " . (٥)

وقيل ان التفسير مقلوب من السفر . قال ابن منظور : " يقال سفر شعره اى استأصله وكشف عن رأسه ، واسفر : اشرق " (٦)

---

(١) لسان العرب لابن منظور : حـ ٢ ص ١٠٩٥ .

(٢) تفسير البحر المحيط لابي حيان الاندلسي : حـ ١ ص ١٣ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي : حـ ٢ ص ٢٢١ .

(٤) لسان العرب : حـ ٢ ص ١٠٩٥ .

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي : حـ ٢ ص ١٤٧ .

(٦) لسان العرب: حـ ٢ ص ١٥٤ .

من خلال ماسبق يتبين ان كلمة التفسير لغة ايا كانت مادتها انها تعني الكشف والتوضيح مطلقا حسا كان الكشف او معنى .

التفسير في الاصطلاح :

كثرت المحاولات لوضع تعريف اصطلاحي للتفسير فتعددت الاقوال ومن ذلك :

(١) قول ابي حيان : " التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بالفاظ القرآن ومدلولاتها واحكامها الافرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك ." ثم خرج التعريف فقال : " فقولنا علم هو جنس يشمل سائر العلوم ، وقولنا يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن هذا هو علم القراءات ، وقولنا ومدلولاتها اى مدلولات تلك الالفاظ وهذا هو علم اللغة الذى يحتاج اليه في هذا العلم . وقولنا واحكامها الافرادية والتركيبية هذا يشمل علم التصريف وعلم الاعراب وعلم البيان وعلم البديع ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب شمل بقوله التي تحمل عليها مالادلالة عليه ، بالحقيقة ، ومادلالته عليه بالمجاز فان التركيب قد يقتضي بظاهره شيئا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لاجل ذلك ان يحمل على غير الظاهر وهو المجاز ، وقولنا وتتمات لذلك هو معرفة النسخ ، وسبب النزول وقصة توضح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك " (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط : جـ ١ ص ١٣ - ١٤ .

٢) وعرفه الزركشي فقال : " هو علم نزول الآية وسورتها واقاصيصها والاشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها ". (١)

٣) وعرفه الزرقاني : بأنه علم يبحث فيه عن احوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية (٢) ثم شرح هذا التعريف فقال : " والمراد بكلمة : علم ، المعارف التصويرية ، وخرج بقولنا : يبحث فيه عن احوال القرآن ، العلوم الباحثة عن احوال غيره ، وخرج بقولنا : من حيث دلالته على مراد الله تعالى ، العلوم التي تبحث عن احوال القرآن من جهة غير جهة دلالته . كعلم القراءات وعلم الرسم العثماني ، وقولنا : بقدر الطاقة البشرية لبيان انه لا يقدح في العلم بالتفسير عدم العلم بمعاني المتشابهات ولا عدم العلم بمراد الله في الواقع ونفس الامر . (٣)

٤) قال الزركشي : " التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وبيان معانيه ، واستخراج احكامه وحكمه " (٤)

وعند النظر في هذه الاقوال المنقولة في المعنى الاصطلاحي للتفسير نجد انها اقوال متعددة مختلفة اللفظ ولكنها تتفق في معناها وقد راقني قول الامام الزركشي الاخير لمعنى التفسير اصطلاحا .

---

(١) البرهان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ١٤٨ .

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن ، للزرقاني : حـ ١ ص ٤٧١ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) البرهان في علوم القرآن : حـ ١ ص ١٣ .

المأثـور لغـة :

المأثور : اسم مفعول ، من اثرت الحديث من باب قتل ونقـل - فهو مقتول ومنقول ، والاثر بفتح الالف والتاء اسم منه ، وحديث مأثور ، اى حديث منقول (١) .

فالتفسير بالمأثور يعني : التفسير المنقول ، سواء كان متواتـرا ام غير متواتر ، فهو ما جاء في القرآن الكريم منقولا عن الله عز وجل ، او ما جـاء في السنة النبوية مأثورا عن الرسول صلى الله عليه وسلم او ما جاء واردا مـن كلام الصحابة - رضي الله عنهم - او التابعين - رحمهم الله - بيانا لمراد الله عز وجل في القرآن الكريم .

ويدخل المروى عن التابعين في التفسير بالمأثور ، لكثرة ذكره فـي كتب التفسير النقلي ، كتفسير ابن جرير الطبرى وتفسير ابن كثير وغيرهما .

وبعد معرفة المعنى اللغوى والاصطلاحي للتفسير ، وما تعنيه كلمـة مأثور اعود فأقول كان الرسول صلى الله عليه وسلم الهادى المرشد يبيـن ويفصل آيات القرآن الكريم لاصحابه رضوان الله عليهم الذين تفاوتوا فـي العلـم بلغة القرآن ، وفهم المراد من مدلولاتها فلجأوا الى الرسول صلى الله عليـه وسلم ليفسر لهم ما اشكل عليهم .

يقول ابن خلدون : " . . . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبيـن المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه اصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نـزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولا عنه . . . " (٢)

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، للمقرى الفيومي : حـ ١ ص ٧ ، ط / الحلبي .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ص ٤٣٨ ، ط / الرابعة .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم المصدر الاول في التفسير ، وقد ورد في كتب السنة النبوية احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر فيها كثيرا من الآيات الكريمة ، من ذلك :

١) ما رواه الامام البخارى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية : * ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ * (١) شق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا : أينا لم يلبس ايمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس بذاك الا تسمعون الى قول لقمان : * إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * (٢)

٢) وما رواه الامام مسلم بسنده عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول : * وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ * (٣) الا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ألا ان القوة الرمي ". (٤)

وقد ساق الامام السيوطي مجموعة تفسيرية مروية عن الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابه " الاتقان " . (٥)

وبعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى كان اذا خفي المعنى القرآني على الصحابة ولم يجدوا له تفصيلا في كتاب الله ، ولا تفسيرا في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اتجهوا في تفسير الآية

----

(١) سورة الانعام : الآية " ٨٢ " .

(٢) سورة لقمان : الآية " ١٣ " ، والحديث في صحيح البخارى ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين : حـ ٩ ص ١٧ .

(٣) سورة الانفال : الآية " ٦٠ ".

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الامارة ، باب فضل الرمي والحث عليه : جـ ١٣ ص ٦٤ .

(٥) حـ ٢ ص ٢٤٤ وما بعدها .

الى الاجتهاد واعمال عقولهم . فكان كل منهم يتجه في تفسيره بحسب مايمليه عليه فهمه وادراكه للغة وعلمه ومعلوماته عن عادات العرب واسباب النزول الى غير ذلك .

ثم بعد عصر الصحابة كان التابعون ، ولقد ظهر منهم رواد وائمة في مجال التفسير ، وقد اعتمد هؤلاء المفسرون في فهمهم لكتاب الله عز وجل على ماجاء في القرآن الكريم نفسه وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم وعلى مافتح به الله عليهم من فهم وقوة في الاستنباط .

نخلص من هذا ان الخطوة الاولى في التفسير خطاها النبي صلى الله عليه وسلم ففسر القرآن - لصحابته رضوان الله عليهم - . واتخذ التفسير في هذه المرحلة شكل الحديث ، ولم يكن التفسير الا مجرد روايات تروى منثورة لآيات متفرقة يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن معنى آية من القرآن فيفسرها ، ويحمل ذلك منه بعض اصحابه فيروونها لمن لم يسمعها منهم اولمن يتلقون عنهم من التابعين وكذلك فعل التابعون .

وبالجملة فان التفسير في هذه المرحلة لم يتجاوز طريق الرواية وهي بداية او نشأة مايعرف بالتفسير المأثور .

المفسرون من الصحابة :

لم يكن الصحابة - رضي الله عنهم - جميعهم على مستوى واحد في العلم والتفسير ، فقد اختلفت مداركهم في المعارف والعلوم ، كما تباينت افهامهم في تدبرهم لكتاب الله .

وقد اشتهر منهم بالتفسير عشرة .

قال الامام السيوطي في الاتقان : " اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة : الخلفاء الاربعة ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وابي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وابو موسى الاشعرى ، وعبد الله بن الزبير ، اما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن ابي طالب ، والرواية عن الثلاثة نذره جدا .... " (١)

اما السبب في قلة الرواية عن ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان فانه يرجع الى تقدم وفاتهم كما ذكر ذلك السيوطي . (٢)

بالاضافة الى اشتغالهم بمهام الخلافة وتوطيد اركان الدولة الاسلامية والجهاد في الفتوحات الاسلامية ونشر الدعوة ، ووجودهم في وسط اكثر اهله عالمون بكتاب الله مشاهدون لاسباب نزوله عارفون معانيه واحكامه ، متمكنون من اللغة واساليبها .

اما الخليفة الرابع علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - فقد عاش في وقت اتسعت فيه رقعة الدولة الاسلامية ودخل كثير من العجم في الدين الاسلامي ونشأ جيل من ابناء الصحابة كانوا بحاجة الى تفهم معاني القرآن الكريم وحكمه واسراره ، ولذلك اشتهرت الرواية عنه اكثر من بقية الخلفاء الراشدين .

اما عبد الله بن مسعود فقد روى عنه اكثر مما روى عن علي ، واما عبد الله ابن عباس فهو ترجمان القرآن ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له (٣) ، واما ابي بن كعب فعنه نسخة كبيرة في التفسير .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن : ح ٢ ص ٢٣٩ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

ومن الذين ورد عنهم شيء من التفسير من الصحابة غير اولئك العشرة : انس بن مالك ، وابو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وابو موسى الاشعرى ، الا ان ماروى عنهم قليل بالنسبة الى العشرة المتقدمين . (١)

المفسرون من التابعين :

اما المفسرون من التابعين فانهم يعتبرون كثرة واشتهروا شهرة واسعة ونبغ منهم رجال افذاذ اعتنوا بتفسير كتاب الله .

قال ابن تيمية :

" واما التفسير فان اعلم الناس به اهل مكة لانهم اصحاب ابن عباس ، كمجاهد وعطاء بن ابي رباح ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس (٢) ، وابي الشعثاء (٣) ، وسعيد بن جبير (٤) ، وامثالهم ، وكذلك اهل الكوفة من اصحاب ابن مسعود ومن ذلك ماتميزوا به على غيرهم ، وعلماء اهل المدينة في التفسير مثل زيد بن اسلم الذى اخذ عنه مالك التفسير ... "(٥) .

---

(١) الاتقان في علوم القرآن : جـ ٢ ص ٢٤٢ .

(٢) طاووس بن كيسان ابو عبد الرحمن اليماني ، كان رأسا في العلم والعمل مات بمكة سنة ست ومائة . تذكرة الحفاظ : جـ ١ ص ٩٠ .

(٣) ابو الشعثاء جابر بن زيد الازدى البصرى احد الاعلام وصاحب ابن عباس، مات سنة ثلاث وتسعين ، وقيل : سنة ثلاث ومائة . تذكرة الحفاظ : جـ ١ ص ٧٢ .

(٤) سعيد بن جبير : الوالبي مولاهم الكوفي المقرىء الفقيه احد الاعلام ، قتله الحجاج سنة خمس وتسعين وله تسع واربعون سنة على الاشهر . تذكرة الحفاظ : جـ ١ ص ٧٦ .

(٥) مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ ١٣ ص ٣٤٧ .

نشأة مدارس التفسير :

بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى انتشر الاسلام واتسعت الاقطار وتفرق الصحابة في الامصار الاسلامية وحيثما حل الصحابي في مكان اجتمع حوله الطالبون لعلم النبوة بما في ذلك التفسير .

فقد كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يجلس ليعلم الناس التفسير وغيره وما من احد يسأله الا ويجد عنده علما (١) وقد بلغ به الامر في تبليغ العلم الى اتباعه انه كان يضع القيد في رجل احدهم ليعلمه القرآن ، والسنن . (٢)

كذلك نجد ابا موسى الاشعرى - رضي الله عنه - اذا صلى الصبح يستقبل الصفوف رجلا رجلا يقرئهم ويعلمهم. (٣)

وكان علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - يقول : سلوني عن كتاب الله . (٤)

وكان التابعون - رحمهم الله - حريصين على العلم فقد خرج مسروق ابن الاجدع الى رجل يسأله في البصرة عن آية فلما لم يجد عنده فيها علما خرج الى الشام في طلبها . (٥)

---

(١) اسد الغابة في معرفة الصحابة ،لابن الاثير : حـ ٣ ص ٢٩٢ .

(٢) طبقات المفسرين للداودى : حـ ١ ص ٣٨٠ .

(٣) سير اعلام النبلاء ، للذهبي : حـ ٢ ص ٣٨٩ .

(٤) تهذيب الكمال في اسماء الرجال للمزى : حـ ٢ ص ٩٧٣ .

(٥) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، للاصبهاني : حـ ٢ ص ٩٦ .

ولهذا نشأت مدارس تفسيرية كثيرة في عهد الصحابة ، اشهرها ثلاث :

١ - مدرسة التفسير بمكة :

وقد قامت على يد ترجمان القرآن وشيخ المفسرين عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - واشتهر من تلامذتها وتخرج عليه رجال من التابعين اختصوا برواية التفسير عنه امثال :

سعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وطاووس بن كيسان ، وعطاء بن ابي رباح .

٢ - مدرسة التفسير بالمدينة :

قامت على يد سيد القراء أبي بن كعب - رضي الله عنه - واشتهر من تلامذتها : رفيع بن مهران الرياحي ، ومحمد بن كعب القرظي ، وزيد بن اسلم .

٣ - مدرسة التفسير بالعراق :

قامت على يد عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - واشتهر من تلامذتها : علقمة بن قيس ، ومسروق بن الاجدع ، والاسود بن يزيد (١) ، ومرة الهمداني (٢) ، وعامر الشعبي (٣) ، والحسن البصرى ، وقتادة بن دعامة السدوسي .

---

(١) الاسود بن يزيد بن قيس النخعي ابو عمرو من كبار التابعين . كان فقيها عابدا زاهدا توفي بالكوفة سنة خمس وسبعين من الهجرة . تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ٥٠ .

(٢) مرة بن شراحيل الهمداني الكوفي ، المعروف بمرة الطيب ومرة الخير - لقب بذلك لكثرة عبادته - كان بصيرا بالتفسير . مات في حدود سنة تسعين . تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ٦٧ .

(٣) عامر بن شراحيل الهمداني الكوفي ولد في اثناء خلافة عمر ، كان اماما حافظا فقيها . تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ٧٩ ، مات قبل الحسن البصرى بيسير ومات الحسن سنة ١١٠ هـ . تهذيب التهذيب : حـ ٥ ص ٦٥ .

الباب الأول

أعلام المفسرين

الفصل الأول : المفسرون من الصحابة .

الفصل الثاني : المفسرون من التابعين .

الفصل الأول

المفسرون من الصحابة

ويحتوى على تراجم لكل من :-

- عبد الله بن عباس
- عبد الله بن مسعود
- على بن أبى طالب
- أبى بن كعب
- أبو موسى الأشعرى
- أنس بن مالك

عبد الله بن عبـاس

ترجمتـــه :

عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، ابو العبـاس ، ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حبر الأمـة ، وفقيه العصر ، وامـام التفسير (١)

مولـده :

ولد والنبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بالشعب بمكة ، فأتى به النبـي صلى الله عليه وسلم فحنكه بريقه وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين وقيل غير ذلك (٢)

توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وله من العمر ثلاث عشرة ، وقيل خمس عشرة سنة .

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : " توفي رسول الله صلى الله عليـه وسلم وانا ابن خمس عشرة سنة " قال عبد الله بن احمد بن حنبل : قال ابـي وهذا هو الصواب ".

قال ابن عبد البر تعليقا على قول احمد بن حنبل :

" وماقاله أهل السير والعلم بأيام الناس عندى اصح وهو قولهم ان ابن عبـاس كان ابن ثلاث عشرة سنة يوم توفي الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣)

---

(١) سير اعلام النبلاء ، للذهبي : حـ ٣ ص ٣٣١ ، ط/ ثانية ، ١٤٠٢ هـ

(٢) اسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الاثير الجزرى ، جـ ٣ ص ٢٩٣ ، ط / دار الشعب .

(٣) الاستيعاب في معرفة الاصحاب ، لابن عبد البر ، حـ ٦ ص ٢٩٥ ، ط / اولى ١٣٩٧ هـ .

مكانتـه العلمية :

كان يقال له الحبر والبحر لكثرة علمه وذلك ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم له بقوله : " اللهم علمه الكتاب (١) " وفي رواية أخرى " اللهم فقهه في الدين " (٢)

بالاضافة الى نشأته في بيت النبوة وملازمته لاكابر صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن ابن عباس ، قال : " لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت لرجل من الأنصار : هلم نسأل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانهم اليوم كثير ؛ فقال : واعجبا لك يا ابن عباس ! أترى الناس يحتاجون اليك ، وفي الناس من اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام من ترى ؟ فترك ذلك . وأقبلت على المسألة ، فان كان ليبلغني الحديث عن الرجل ، فآتيه وهو قائل ، فأتوسد ردائي على بابه ، فتسفي الريح عليّ التراب ، فيخرج ، فيراني ، فيقول : يا ابن عم رسول الله ! الا أرسلت اليّ فآتيك ؟ فأقول : انا احق أن آتيك ، فأسألك ، قال : فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس عليّ ، فقال : هذا الفتى اعقل مني (٣) .

اضف الى ذلك حفظه للغة العربية ، ومعرفته لغريبها وآدابها وخصائصها واساليبها وبلوغه مرتبة الاجتهاد وعدم تحرجه منه .

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب العلم : باب قول النبي اللهم علمه الكتاب ج ١ ص ٢٩ ، ط / دار ومطابع الشعب .

(٢) صحيح البخارى كتاب الوضوء : باب وضع الماء عند الخلاء : جـ ١ ص ٤٨ .

(٣) سير اعلام النبلاء : جـ ٣ ص ٣٤٣ .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ برأى ابن عباس والدليل على ذلك ماروواه صاحب اسد الغابة عن عبيد الله بن عمر بن عتبة(١) قال :

" كان عمر بن الخطاب اذا جاءته الأقضية المعضلة قال لابن عباس انها قد طرأت علينا اقضية وعضل فأنت لها ولا مثالها ثم يأخذ بقوله وماكان يدعو لذلك أحدا سواه ، قال عبيد الله وعمر عمر يعني في حذقه واجتهاده لله وللمسلمين " .

وقال عبيد الله ايضا : كان ابن عباس قد فات الناس بخصال : بعلم ماسبقه وفقه ما احتيج اليه من رأيه وحلم ونسب وتأويل (٢) وما رأيت احدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بقضاء ابي بكر وعمر وعثمان منه ولا افقه في رأى منه ولا اعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا اثقب رأيا فيما احتيج اليه منه وقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه الا الفقه ويوما التأويل ويوما المغازى ويوما الشعر ويوما ايام العرب ، ولا رأيت عالما قط جلس اليه الا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله الا وجد عنده علما . (٣)

---

(١) عبيد الله بن عمر بن عتبة بن مسعود الهذلي ، ابو عبد الله المدني ، روى عن ابيه وارسل عن عم ابيه عبد الله بن مسعود وجماعة ، قال الواقدى عنه : كان عالما ، ثقة فقيها كثير الحديث والعلم ، شاعرا وقال العجلي " كان أحد فقهاء المدينة تابعي ثقة رجل صالح جامع للعلم وهو معلم عمر بن عبد العزيز . وقال ابن حبان : كان من سادات التابعين مات سنة ٩٨ هـ ، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني : ٦/٢٣ ، ط / اولى ، ١٣٢٥ هـ ، دار صادر بيروت.

(٢) التأويل عند المتقدمين من العلماء : تفسير الكلام وبيان معناه ، سواء وافق ظاهره او خالفه فيكون التأويل والتفسير عند السلف متقاربا او مترادفا . وفي عرف المتأخرين : صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح . لدليل يقترن به.
انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ ١٣ ص ٢٨٨ .

(٣) اسد الغابة : جـ ٣ ص ٢٩٢ .

وقال عبد الله بن مسعود : " لو ادرك ابن عباس أسناننـــا ماعاشره منا احد " . (١)

ايضا مما يدل على مدى مبلغ علم ابن عباس مارواه الامام البخارى فـــي صحيحه (٢) عن عكرمة " أن عليا رضي الله عنه حرق قوما ، فبلغ ابن عبـــاس فقال : لو كنت انا لم احرقهم ، لان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا تعذبوا بعذاب الله ، ولقتلتهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، من بدل دينــه فاقتلوه " .

فبلغ ذلك عليا ، فقال : ويح (٣) ابن ام الفضل ، انه لغواص علـــى الهنات " (٤)

وهذا يدل على ان ابن عباس كان على درجة عالية وعظيمة من قوة الاجتهاد والعلم بمعاني كتاب الله ، فلا عجب ان انتهت اليه الرياسة في الفتوى والتفســير ولعل هذا الامر هو الذى جعل ابن مسعود رضي الله عنه يقول :

" نعم ترجمات القرآن ابن عباس " . (٥)

---

(١) سير اعلام النبلاء : حـ ٣ ص ٣٤٧ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الجهاد : باب لا يعذب بعذاب الله ، جـ ٤ ص ٧٥ .

(٣) ويح : كلمة ترحم وتوجع ، وقيل هي بمعنى ويل . المعجم الوسيط : حـ ٢ ص ١٠٦١ ، ط / الثانية .

(٤) الهنات : جمع هنة ، وهي الشدائد والامور العظام . النهاية فـــي غريب الحديث والاثر : حـ ٥ ص ٢٧٩ ، ط/ الحلبي .
وهي ايضا : الشيء اليسير ، ترتيب القاموس المحيط : حـ ٤ ص ٥٤١ ط / دار الكتب العلمية.

(٥) سير اعلام النبلاء : حـ ٣ ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

وصل الينا تفسير ابن عباس عن طريق التفاسير التي دوّنها تلاميذه في دروسه عنه ، وهو في تفسير الطبرى بهذه الرواية : حدثني المثنى بن ابراهيم الاطى قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنا معاوية بن صالح عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ، ويظهر أن الطبرى اخذ النصف الاول تقريبا بهذه الرواية ، اما النصف الثاني فقد أخذه برواية شيخ آخر هو علي بن داود التميمي . (١)

وبمراجعة النصوص في تفسير الطبرى وغيره من كتب التفاسير بالمأثور نستطيع ان نقول ان ابن عباس في تفسيره للنص القرآني تميز بالآتي :

أولا - رجوعه الى الشعر :

الرجوع في فهم معاني الألفاظ القرآنية الى كلام العرب وخاصة في شعرهم القديم ، استخدم ابن عباس هذه الأداة ببراعة يساعده في ذلك ذكاء مفرط وحافظة قوية ، فنجده يصوغ التفسير في قالب ادبي ويفسر قوله تعالى :

* أُحِلَّ لَكُم لَيلَةَ الصِّيامِ الرفثُ إلى نِسَائِكُم * (٢)

قال : " الرفث : الجماع ولكن الله كريم يكنى " (٣)

ويقول في الآية : * الشّيطانُ يَعِدُكُمُ الفقرَ ويأمُرُكُم بالفحشاءِ واللهُ يَعِدُكُم مَغفِرةً مِنهُ وفَضلاً * (٤) .

---

(١) تاريخ التراث العربي : حـ ١ ص ٤٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٨٧ " .

(٣) تفسير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن : حـ ٣ ص ٤٨٧ ، ط / ثانية ، دار المعارف .

(٤) سورة البقرة : الآية " ٢٦٨ " .

" اثنان من الله ، واثنان من الشيطان ، (الشيطانُ يَعِدكُمُ الفقرَ) ويقول لا تنفق مالك وامسك عليك ، فانك تحتاج اليه ، (ويأمُركُم بالفحشاءِ) ، (واللهُ يَعِدكُمْ مغفرةً مِنهُ) على هذه المعاصي (وفَضلاً) في الرزق " (١)

هذه الناحية الادبية من تفسير ابن عباس كانت تستولي على مشاعر الناس والبابهم فنجد التابعي الجليل سعيد بن جبير يقول :

" كنت اسمع الحديث عن ابن عباس فلو يأذن لي لقبلت رأسه " (٢)

وكان ابن عباس يلجأ الى الشعر بحثا عن معنى اللفظ القرآني يقول ابن عباس : " اذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر فان الشعر ديوان العرب " (٣)

ونجد سعيد بن جبير ويوسف بن مهران (٤) يقولان :

" سمعنا ابن عباس يسأل عن الشيء بالقرآن فيقول فيه هكذا وهكذا ، اما سمعتم الشاعر يقول كذا وكذا " .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٥ ص ٥٧١ .

(٢) الاصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر : حـ ٢ ص ٨١٢ ، ط/ اولى ١٣٩٧ هـ .

(٣) تفسير القرطبي ، الجامع لاحكام القرآن ، حـ ١ ص ٢٤ ، ط/ دار الكاتب العربي / القاهرة ١٣٨٧ هـ .

(٤) يوسف بن مهران البصرى ، قال ابو زرعة عنه : " ثقة " وقال ابن سعد : ثقة قليل الحديث ، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهم .
تهذيب التهذيب : حـ ١١ ص ٤٢٤ .

وعن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن قول الله عز وجل :

﴿ وثيابك فطهر ﴾ (١)

قال : " لا تلبس ثيابك على غدر " .

وتمثل بقول غيلان الثقفي :

فاني بحمد الله لا ثوب غادر

لبست ولا من سوءة اتقنع (٢)

وعن عطاء قال : سمعت ابن عباس اذا سئل عن عربية القرآن انشد الشعر فقيل له ما زنيم (٣) ؟ فقال :

زنيم تداعاه الرجال زيادة

كما زيد في عرض الاديم الاكارع (٤)

ولعل أوسع ماروى في هذا الباب عن ابن عباس مسائل نافع بن الازرق الذى اراد ابن عباس ليفسر له آيات من كتاب الله ويأتيه بمصادقة من كلام العرب اوردها الامام السيوطي في الاتقان . (٥)

---

(١) سورة المدثر : الآية " ٤ " .

(٢) تفسير القرطبي : حـ ١ ص ٢٤ .

(٣) في قوله تعالى في سورة القلم : الآية " ١٣ " ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾

(٤) مقدمتان في علوم القرآن - المقدمة الاولى - الفصل الثامن : ص ١٩٨ ، ط / ثانية ، ١٣٩٢ هـ .

(٥) حـ ١ ص ١٥٧ الى ١٧٥ ، واوردها ايضا الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقي في كتابه معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري ص ٢٣٤ الى ٢٩١ ، ط / ثانية ، دار المعرفة - بيروت .

ولقد كانت ثقافة ابن عباس الادبية هذه اكبر معوان له على المعالجات اللغوية التي عالج بها لغة القرآن فهو يفطن للمعنى المقصود من اللفظة المتضادة مثل لفظ بلاء في الآية :

* وفي ذلِكُمْ بلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عظيمٌ * (١) .

عن علي بن ابي طلحة (٢) عن ابن عباس في قوله تعالى :

* بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُم عظيمٌ * قال : " نعمه " (٣)

وهو بهذه الثقافة اللغوية استطاع ان يعرض لمعظم اللفظ الغريب في القرآن بالتفسير .

يقول الامام السيوطي عن ابن عباس :

" ورد عنه مايستوعب تفسير غريب القرآن بالاسانيد الثابتة الصحيحة " (٤)

ولكننا نجد ان ابن عباس يصرح بقوله :

" كنت لا ادرى مافاطر السموات حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بئر فقال احدهما : انا فطرتها ، يقول : انا ابتدأتها " .

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٤٩ " .

(٢) علي بن ابي طلحة ، واسمه سالم بن المخارق الهاشمي يكنى بابي الحسن ، واصله من الجزيرة وانتقل الى حمص ، روى عن ابن عباس ولم يسمع منه بينهما مجاهد ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال النسائي ليس به بأس . مات سنة ١٤٣ هـ ، انظر تهذيب التهذيب : جـ ٧ ص ٣٣٩

(٣) تفسير الطبرى : جـ ٢ ص ٢٨ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي ، جـ ١ ص ١٥٠ ، ط / رابعة ١٣٩٨ هـ ، مصطفى البابي الحلبي .

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله :

﴿ وَحَنَاناً مِنْ لَدُنا ﴾ (١)

فقال : " سألت عنها ابن عباس فلم يجب فيها شيئا " (٢)

واخرج الفريابي عن طريق عكرمة عن ابن عباس قال : " كل القرآن أعلمه الا أربعا : (فسلين)(٣) و (حنانا)(٤) و (أواه)(٥) و (الرقيم)(٦)

وابن عباس وان لم يستوعب تفسير غريب القرآن فقد أتى على جملة صالحة منه وقد ذكر صاحب الاتقان ماورد عنه من طريق ابن ابي طلحة خاصة لأنهـا من اصح الطرق عنه "(٧)

----

(١) سورة مريم : الآية " ١٣ " .

(٢) الاتقان في علوم القرآن : حـ ١ ص ١٥٠ .

(٣) في قوله تعالى في سورة الحاقة :الآيتان" ٣٥،٣٦" ، ﴿ فَلَيسَ لَهُ اليومَ هَهُنا حميمٌ ﴾ ﴿وَلاَ طَعَامٌ إلا مِنْ غِسلين ﴾ .

(٤) في قوله تعالى في سورة مريم : الآية " ١٣ " : ﴿ وحَنَاناً مِنْ لَدُنـا وَزَكاةً وكانَ تَقِياً ﴾ .

(٥) في قوله تعالى في سورة التوبة : الآية " ١١٤ " : ﴿ إنّ إبراهيمَ لأواهٌ حَليمٌ ﴾ .

(٦) في قوله تعالى في سورة الكهف : الآية " ٩ " : ﴿ أمْ حَسِبْـتَ أنّ أصْحَابَ الكَهفِ والرقيمِ كانوا مِنْ آياتِنا عَجَباً ﴾ .

(٧) الاتقان : حـ ١ ص ١٥٠ - ١٥٧ ، ايضا وضع الاستاذ محمد فـؤاد عبد الباقي كتابا بعنوان معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى وفيه ماورد عن ابن عباس من طريق ابن ابي طلحة خاصة، ط/ دار المعرفة. " كما انه يوجد مخطوطٌ في "غريب القرآن " يتناول تفسيرات عبد الله بن عباس قام بتهذيبها تلميذه عطاء بن ابي رباح ويوجد هـذا المخطوط في مكتبة عاطف افندى : ٢٨١٥/٨ من ١٠٢ أ - ١٠٧ أ ، في القرن الثامن الهجرى " افاد هذا فؤاد سزكين في كتابه تاريـخ التراث العربي : حـ ١ ص ٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٧

سلك ابن عباس في رجوعه في فهم معاني الالفاظ القرآنية الى الشعر العربي سلك طريق غيره من الصحابة فها هو عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ على تَخَوُّفٍ ﴾ (١)

سأل عن التخوف وهو على المنبر فقال له رجل من هذيل : " التخوف عندنا التنقص " ثم انشده :

تخوف الرحل منها تامكا قردا

كما تخوف عود النبعة السفن (٢)

فقال عمر :

" تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فان فيه تفسير كتابكم " (٣)

قال ابو بكر الانبارى :

" قد جاء عن الصحابة والتابعين كثيرا الاحتجاج على غريب القرآن ومشكله بالشعر ، وأنكر جماعة لا علم لهم على النحويين ذلك ، وقالوا : اذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر اصلا للقرآن ، وقالوا : وكيف يجوز ان يحتج بالشعر على القرآن وهو مذموم في القرآن والحديث ، قال : وليس الامر كما زعموه من انا جعلنا الشعر اصلا للقرآن بل اردنا تبيين الحرف الغريب من القرآن بالشعر (٤) لان الله تعالى قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (٦)

---

(١) سورة النحل : الآية " ٤٧ " .

(٢) التامك : السنام ، لسان العرب : حـ ١ ص ٣٣١ ، القرد : ماتمعط من الوبر والصوف وتلبد ، جـ ٣ ص ٥٠ . النبع : شجر من اشجار الجبال تتخذ منه القس : حـ ٣ ص ٥٦٩ ، السفن : حجر ينحت به ويلين حـ ٢ ص ١٥٩ . ط/ مصورة عن طبعة بولاق .

(٣) الموافقات في اصول الشريعة: حـ ٢ ص ٨٨ ، ط / ثانية ١٣٩٥ هـ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن : حـ ١ ص ١٥٧ .

(٥) سورة الزخرف : الآية " ٣ " (٦) سورة الشعراء : الآية " ١٩٥ "

ثانيا : -

استيضاح اهل الكتاب الذين كانوا قد دخلوا الاسلام في بعض مالم توضحه السنة امثال كعب الاحبار ووهب بن منبه وابي الجلد ، وذلك ضمن حدود معينة ، فكان يستعين بهم في تفسير القصص القرآني ، والأخبار الماضية ولم يكن سؤاله لهم عن شيء من العقائد او مايتصل بالاحكام ، والصحابة عموما بما فيهم ابن عباس لم يكونوا يقبلون كل مايروى لهم من اهل الكتاب فلا يحكمون عليه بصدق او بكذب مادام يحتمل كلا الامرين .

" فالاحاديث الاسرائيلية التي تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد على ثلاثة أقسام :

أحدها : ماعلمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذلك صحيح .

الثاني : ماعلمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

الثالث : مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته ، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود على امر ديني " (١)

روى البخارى في صحيحه بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :

" كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، و" قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا " (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : حـ ١٣ ص ٣٦٦ .

(٢) صحيح البخارى ،كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا .. * سورة البقرة : الآية " ١٣٦ " حـ ٦ ص ٢٥ .

وقوله : " لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " : أى اذا كان مايخبرونكم به محتملا لئلا يكون في نفس الامر صدقا فتكذبوه أوكذبا فتصدقوه فتقعوا في الحرج .

ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعنا بخلافه وعن تصديقهم فيما ورد شرعنا بوفاقه ،كما قاله ابن حجر ونبّه على ذلك الشافعي .(١)

والأمثلة على استعانة ابن عباس ببعض أهل الكتاب :

١) ما اخرجه ابن ابي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس انه سأل كعبا عن اصحاب الرس (٢) فقال : صاحب البئر الذى قال : " يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ " (٣) فرسه قومه في بئر بالاحجار . (٤)

٢) واخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن عبد الله بن الحارث الهاشمي ان ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى في سورة الدخان : الآية " ٢٤ " ﴿ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْواً ﴾ ،
قال : طريقا يبسا . (٥)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ ٨/ ١٧٠ ، ط المكتبة السلفية .

(٢) في قوله تعالى في سورة الفرقان : الآية " ٣٨ " : ﴿ وَعَاداً وَثَمُودَا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ ﴾ .

(٣) سورة يس : الآية " ٢٠ " .

(٤) الدر المنثور ، للسيوطي : حـ ٥ ص ٧١ / ط / دار المعرفة - بيروت.

(٥) الدر المنثور : حـ ٦ ص ٢٩ .

٣) واخرج ابن جرير عن ابي كثير قال : كنت عند ابي الجلد اذ جاء رسول ابن عباس بكتاب اليه ، فكتب اليه : كتبت اليّ تسألني عن البرق (١) ، فالبرق الماء (٢) .

ومع استعانة ابن عباس بأهل الكتاب في بعض القصص نجده يدعو الى عدم الرجوع اليهم .

فقد روى البخارى بسنده عن عبيد الله بن عتبه عن ابن عباس قال : "يامعشر المسلمين كيف تسالون أهل الكتاب وكتابكم الذى أنزل على نبيكم احدث الاخبار بالله تقرأونه لم يشب ؟ وقد حدثكم الله ان اهل الكتاب بدلوا ماكتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا : ﴿ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ﴾ (٣) ، افلا ينهاكم بما جاء من العلم عن مسائلتهم ولا والله مارأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذى انزل عليكم ". (٤)

التوفيق بين رجوع ابن عباس الى اهل الكتاب ونهيه من الرجوع اليهم:

الواقع انه لا خلاف بين مايقول ابن عباس وما فعل ، ذلك انه كان حين يرجع الى اهل الكتاب مستفسرا فانما يرجع رجوع العالم الذى يعير سمعه لما يقال ، ثم يعمل فكره وعقله فيما سمع ثم ينخله مبعدا عنه الزيف ، فهو اذا كان

---

(١) في قوله تعالى في سورة البقرة : الآية "١٩" : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ... ﴾ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٣٤٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية "٧٩" .

(٤) صحيح البخارى : كتاب الشهادات ، باب لا يسأل اهل الشرك عن الشهادة وغيرها : حـ ٣ ص ٢٣٧ .

يدعو الى تجنب الرجوع الى أهل الكتاب لما يدخل بسبب ذلك من فساد على عقول العامة ، اما العلماء فان معهم من الاسباب مايجعلهم يقفون طويلا قبل ان يصدقوا ما يلقى اليهم من قول .

ثالثا ـ الافادة في فهم مقصود الآيات من علمه بأسباب نزولها :

نجد ان ابن عباس يسأل ويستقصي عن سبب النزول او فيمن نزلت الآى ، فكان حريصا على أن يسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله تعالى فيهما :

* إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا * (١)

قال ابن عباس : مكثت سنتين أريد ان اسأل عمر عن المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فما يمنعني الا مهابته فسألته فقال : هما حفصة وعائشة . (٢)

ولقد بلغ ابن عباس في ذلك الغاية حتى لنجد اسمه يدور كثيرا في اقدم المراجع مثل سيرة ابن اسحاق ، فمثلا قال ابن اسحاق: كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني : نزل في النضر بن الحارث ثمان آيات من القرآن ، قول الله عزّ وجل :

* إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * (٣)

---

(١) سورة التحريم : الآية " ٤ " .

(٢) تفسير القرطبي : حـ ١ ص ٢٦ .

(٣) سورة القلم : الآية " ١٥ " ، وسورة المطففين : الآية " ١٣ ".

وكل ماذكر فيه من الاساطير من القرآن (١)

ونرى ابن عباس حين يعرض للآى يفسرها ، يضيء المعنى ويوضحه ببيان سبب النزول .

عن ابن عباس قال : لما ضرب الله هذين المثلين للمنافقين يعني قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُم كَمَثَلِ الذِّى اسْتَوقَدَ نارًا ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فيهِ ظُلُمَاتٌ وَرعدٌ وبَرقٌ ﴾ (٣)

قال المنافقون : الله اعلى واجل من ان يضرب هذه الأمثال ، فأنزل الله : (٤) ﴿ إنّ اللهَ لاَ يَستَحيي اَنْ يَضرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا فَامَّا الذينَ آمنُوا فَيَعلَمُونَ انهُ الحقُ مِنْ رَبهِم وَامَّا الذينَ كَفرُوا فَيَقولُونَ مَاذَا ارادَ اللهُ بِهذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثيرًا وَيَهدِى بِهِ كَثيراً وما يُضِلُ بِهِ إلاَ الفاسِقينَ الذّينَ يَنقُضُونَ عَهدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بهِ اَنْ يُوصلَ ويُفسِدُونَ في الارضِ اولئِكَ همُ الخَاسِرُونَ ﴾ (٥)

ولقد برع ابن عباس في هذه الناحية من نواحي ادوات التفسير حتى كان يخلص آى القرآن المدني من المكي (٦) ويحيط علما بترتيب السور القرآنية كلها ، يقول : كانت اذا نزلت فاتحة سورة بمكة كتبت بمكة ثم يزيد الله فيها مايشاء وكان اول مانزل من القرآن : ﴿ إقرَأْ باسمِ رَبكَ ، ثم نَ ، ثم يَا أيُها المُزَمِلِ ، ثم يَا أيُها المُدَثِرُ ، ثم تَبتْ ، ثم اذَا الشمسُ كُوِرَت ﴾ (٧)

---

(١) السيرة النبوية ،لابن هشام : جـ ١ ص ٣٢١ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي : ط / ١٣٥٥ هـ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٧ " .

(٣) سورة البقرة : الآيــة " ١٩ "

(٤) اسباب النزول ،للواحدى: ص ١٢ ،ط/ ثانية ١٣٨٧ هـ ، مصطفى البابي الحلبي - مصر .

(٥) سورة البقرة : الآيــتان : " ٢٦ ، ٢٧ " .

(٦) الاتقان : جـ ١ ص ١٢ . (٧) الاتقان : جـ ١ ص ١٤

ولقد تقصى ابن عباس اسباب النزول فأحسن التقصي فكان يعرف النهارى من الليلي قال : نزلت سورة الانعام بمكة ليلا جملة واحدة ، حولها سبعون الف ملك يجأرون بالتسبيح . (١)

ايضا كان يعرف السفرى من الحضرى .

فقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ ﴾ (٢)

قال نزلت في غزوة تبوك . (٣)

وأحاط خبرا بآخر مانزل من القرآن (٤) ،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير: حـ ٢ ص ١٢٢ ، ط / دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي .

(٢) سورة التوبة : الآية " ٤٢ " .

(٣) الاتقان في علوم القرآن : حـ ١ ص ٢٥ .

(٤) هذا الموضوع ليس فيه احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وانما هي آثار عن بعض الصحابة والتابعين ، استنتجوها مما شاهدوه من نزول الوحي ، وملابسات الاحوال ، وقد يسمع احدهم مالا يسمعه الآخر ، ويرى مالا يرى الآخر ، ومن ثم كثر الاختلاف بين العلماء في آخر مانزل من القرآن ، وتعددت الاقوال وتشعبت الاراء ، ومن ذلك قولهم :

- ان آخر مانزل من القرآن قوله تعالى في آخر سورة البقرة: الآية : " ٢٨١ " ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ .

والأدلة على ذلك :

أ) " مارواه النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : آخر مانزل من القرآن : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ ... ﴾ ==

اخرج البخارى في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : آخر آية نزلت آية الربا . " (١)

== ب - واخرج ابن ابي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال : آخر مانزل من القرآن كله ﴿ وَاتَّقُوا يَوماً تُرجَعُونَ فيهِ الى اللهِ .. ﴾ وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية تسع ليال ، ثم مات ليلة الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول " الاتقان : حـ ١ ص ٣٥ .

وهذا القول هو اختيار العلماء وعلى رأسهم الامام السيوطي ، وهو الراجح من الآراء وذلك لما يأتي :

أ - ماظفر به هذا القول من تحديد الوقت بين نزولها وبين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم يظفر قول غيره بمثل هذا التحديد .

ب - ماتشير اليه هذه الآية في ثناياها من التذكير باليوم الآخر ، والرجوع الى الله عز وجل ، ليعرف كل جزاء عمله وهو أنسب بالختام .

اما عن قول ابن عباس - بأن آخر مانزل قول الله تعالى في سورة البقرة : الآية " ٢٧٨ " : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا مابَقِيَ مِنَ الرِبا إِنْ كُنتُم مؤمنينَ ﴾ فيمكن ان يقال بانها آخر آية نزلت في شأن الربا ، او بان المراد انها من اواخر الآيات نزولا .

راجع : مناهل العرفان في علوم القرآن : حـ ١ ص ٨٩ ومابعدها .

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة البقرة : حـ ٦ ص ٤٠ .

ويتصل بمعرفة سبب النزول معرفة الناسخ والمنسوخ ، وذلك أن المنسوخ يتقدم على الناسخ نزولا .. وقد استعان ابن عباس بهذه الاداة حين يفسر .

اخرج ابو عبيد وغيره عن ابن عباس قال :

أول مانسخ من القرآن القبله (١)

عن علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال : لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان اكثر اهلها اليهود امره الله عز وجل ان يستقبل بيت المقدس ، ففرحت اليهود ، فاستقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعة عشر شهرا ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يحب قبلة ابراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر الى السماء ، فأنزل الله :

* قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجهِكَ فِي السَّماءِ * (٢)

فارتاب من ذلك اليهود وقالوا : * مَاوَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِم الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا * - سورة البقرة : الآية " ١٤٢ " - فأنزل الله : (٣)

* قُلْ لِلّهِ المَشْرِقُ والمَغْرِبُ * (٤)

رابعا - الافادة من المنهج النقلي :

فقد عاصر منذ صباه الباكر النبي صلى الله عليه وسلم وسمع منه مما اكسبه معرفة لم تتح لنظرائه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الذهبي : " صحب النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلاثين شهرا ، وحدث عنه ، بجملة صالحة " (٥)

---

(١) الاتقان : حـ ٢ ص ٣٢ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٤٤ ".

(٣) اسباب النزول ، للواحدى: ص ٢١ .

(٤) سورة البقرة : الآية " ١٤٢ ".

(٥) سير اعلام النبلاء : حـ ٣ ص ٣٣٢

ومثال ذلك ماروواه البخارى بسنده عن نافع بن جبير (١) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ ﴾ (٢)

قال : قال الله : " كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه اياى فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان ، واما شتمه اياى فقوله لي ولد ، فسبحاني ان اتخذ صاحبة أو ولدا " (٣)

اضف الى ذلك ما تلقاه من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا كثير فقد كان يتردد على اولي العلم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يستقي من معين علمهم فلا غرو انه كان يتلقى عنهم الكثير من معاني كتاب الله عز وجل واشهر من تلقى عنه في التفسير من الصحابة علي بن أبي طالب قال ابن عباس : " ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن ابي طالب " (٤)

---

(١) نافع بن جبير بن مطعم بن عدى ، ابو محمد ويقال ابو عبد الله المدني ، وثقه كثير من العلماء ، قال العجلي : مدني تابعي ثقة ، وقال ابوزرعة : ثقة ، وقال ابن فراش: ثقة مشهور احد الائمة ، وذكره ابن حبان في الثقات وقال : من خيار الناس ، كان يحج ماشيا وناقته تقاد ، انظر تهذيب التهذيب : حـ ١٠ ص ٤٠٤ ، مات سنة تسع وتسعين وقيل سنة سبع عشرة ومائة ، تذكرة الحفاظ ، للذهبي : حـ ١ ص ٩٩ ، دار احياء التراث العربي .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١١٦ " وتكملة الآية ﴿ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب قوله ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً سُبْحَانَهُ ﴾ حـ ٦ ص ٢٤ .

(٤) مناهل العرفان : حـ ١ ص ٤٨٦ ط / دار احياء التراث العربي ، بيروت .

وقال معمر (١) عامة علم ابن عباس من ثلاثة عن عمر وعلي وابي بن كعب . (٢)

ومما يؤيد ماقاله معمر مارواه البخارى بسنده عن ابن عباس قال عمر رضي الله عنه يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فيمّ ترون نزلت هذه الاية :

* اَيَوَدُّ اَحَدُكُم اَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ * (٣)

قالوا : الله أعلم ، فغضب عمر فقال: قولوا نعلم أولا نعلم فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا اميرالمؤمنين ، قال عمر: يا ابن اخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل ، قال عمر : اى عمل ، قال ابن عباس : لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله . (٤)

---

(١) معمر بن راشد الازدى الحداني مولاهم ، ابو عروة ، سكن اليمن ، قال الميموني عن احمد عنه : ما انضم احد الى معمر الا وجدت معمرا يتقدمه في الطلب - اى في طلب العلم - ، مات في رمضان سنة اثنين او ثلاث وخمسين ومائة ، وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، تهذيب التهذيب : حـ ١٠ ص ٢٤٣ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ، حـ ٨ ص ٢٩٨ ، ط / ثانية ١٩٧٧م ، مكتبة المعارف / بيروت.

(٣) سورة البقرة : الآية " ٢٦٦ " .

(٤) صحيح البخارى كتاب التفسير ، باب قوله * اَيَوَدُّ اَحَدُكُم اَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ الى قوله تتفكرونَ * حـ ٦ ص ٣٩ .

وروى محمد بن سعد عن ابي سلمة ، قال : سمعت ابن عباس يقول :

كنت الزم الاكابر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والانصار فأسألهم عن مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما نزل في القرآن من ذلك وكنت لا آتي احدا منهم الا سر باتياني اليه لقربي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت اسأل ابي بن كعب يوما ، وكان من الراسخين في العلم عما نزل من القرآن بالمدينة فقال : نزل بها تسع وعشرون سورة وسائرها مكي (١) .

ثم ان ابن عباس كان يفسر القرآن بالقرآن ، ففي قوله تعالى :

* أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ * (٢)

قال : كنتم ترابا قبل ان يخلقكم فهذه ميتة ، ثم احياكم فخلقكم فهذه احياءة ، ثم يميتكم فترجعون الى القبور ، فهذه ميتة أخرى ، ثم يبعثكم يوم القيامة ، فهذه احياءة ، فهما ميتتان وحياتان ، فهو كقوله تعالى : (٣)

* كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * (٤)

خامسا - التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضي من قوة الشرع :

كان ابن عباس يستشف ماوراء النص من معنى بتعمقه في فهم النص القرآني ولهذه الخاصية قال عنه علي بن ابي طالب رضي الله عنه :

" كانما ينظر الى الغيب من ستر رقيق " (٥)

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير : حـ ٨ ص ٢٩٨ .

(٢) سورة المؤمن : الآية " ١١ " .

(٣) في سورة البقرة : الآية " ٢٨ " .

(٤) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٤١٩ .

(٥) الاصابة في معرفة الصحابة : حـ ٢ ص ٨٠٩ .

وهذا النوع من التفسير هو الذى دعا به النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس حين قال : " اللهم فقهه في الدين " (١) وفي رواية اخرى : " اللهم علمه الكتاب " (٢)

وهذا هو الذى عناه علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - بقوله : " او فهما يؤتاه الرجل في القرآن " (٣)

والامثلة على ذلك :

(١) عن قتادة وعاصم انهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس : دعا عمر ابن الخطاب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنها في العشر الاواخر ، قال ابن عباس : فقلت لعمر اني لأعلم أو اني لأظن اى ليلة القدر هي ، فقال عمر : وأى ليلة هي ؟ فقلت : سابعة تمضي او سابعة تبقى من العشر الأواخر ، فقال عمر : من اين علمت ذلك ؟ قال ابن عباس : فقلت : " خلق الله سبع سموات وسبع ارضين وسبعة ايام وان الشهر يدور على سبع ، وخلق الانسان من سبع ويأكل من سبع (٤) ويسجد على سبع ، والطواف بالبيت سبع ورمي الجمار سبع ، لاشياء ذكرها ، فقال عمر : لقد فطنت لامر ما فطنا له . " (٥)

---

(١) صحيح البخارى كتاب الوضوء : باب وضع الماء عند الخلاء : جـ ١ ص ٤٨

(٢) صحيح البخارى كتاب العلم : باب قول النبي اللهم علمه الكتاب ١/ ٢٩

(٣) ونص الأثر كما في البخارى عن ابي جحيفة رضي الله عنه قال : " قلت لعلي رضي الله عنه - هل عندكم شيء من الوحي الا مافي كتاب الله ؟ قال : لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما أعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ، ومافي هذه الصحيفة. قلت : ومافي الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الاسير ، وان لا يقتل مسلم بكافر " صحيح البخارى ، كتاب الجهاد باب فكاك الاسير : جـ ٤ ص ٨٤

(٤) قوله : " خلق الانسان من سبع ، ويأكل من سبع " هكذا .

(٥) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٥٣٣ ، وفتح البارى : كتاب فضل ليلة القدر ، باب تحرى ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر : جـ ٤ ص ٢٦٢ .
وقال ابن كثير تعليقا على هذا الأثر : وهذا اسناد جيد قوى ومتن غريب جدا .

٢ - وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد في نفسه ، فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : انه من حيث علمتم فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رُؤيتُ انه دعاني يومئذ الا ليريهم ، قال : ماتقولون في قول الله عز وجل :

* إِذَا جَآءَ نَصرُ اللهِ والفَتْحُ * (١)

فقال بعضهم : أُمِرْنَا نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا ، وسكت بعضهم فلم يقل شيئا ، فقال لي : اكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت: لا ، قال : فما تقول ؟ قلت : هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه له ، قال : * إِذَا جَآءَ نَصرُ اللهِ والفَتْحُ * وذلك علامة اجلك * فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِكَ واستَغفِرهُ إِنهُ كَانَ تَوَاباً * (٢) ، فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها الا ماتقول . (٣)

----

(١) سورة النصر : الآية " ١ " .

(٢) سورة النصر : الآيـة " ٣ " ،

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب قوله :

* فَسَبِّح بِحَمدِ رَبِكَ واستَغفِرهُ إِنهُ كَانَ تَوَاباً * ،

جـ ٦ ص ٢٢٠ .

راجع في - منهج ابن عباس في التفسير - كتاب مناهج في التفسير للدكتور / مصطفى الجويني ، الناشر : منشأة المعارف بالاسكندرية ص ٢٣ الى ٤١ .

طرق الرواية عن ابن عباس :

وردت أسانيد عن ابن عباس كثيرة لا تحصى ، نجدها منتشرة في كتب التفسير ، وقد تتبع علماء الجرح والتعديل هذه الطرق بالنقد تجريحا وتعديلا ، فمازوا الجيد من الردىء ، ومن جيد هذه الطرق :

أولا - طريق علي بن ابي طلحة الهاشمي عنه :

قال احمد بن حنبل : " بمصر صحيفة في التفسير رواها علي ابن ابي طلحة لو رحل رجل فيها الى مصر قاصدا ماكان كثيرا ، وهذه النسخة اعتمد عليها البخارى في صحيحه فيما يعلقه عن ابن عباس .

وقال قوم : لم يسمع ابن ابي طلحة من ابن عباس وانما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير !

قال ابن حجر : بعد ان عرفت الواسطة وهو ثقة فلا ضير .

ثانيا - طريق قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عنه :

وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين ، وكثيرا مايخرج منها الفريابي والحاكم في مستدركه .

ثالثا - طريق ابن اسحاق عن محمد بن ابي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن عكرمة او سعيد بن جبير (هكذا بالترديد) .

وهي طريق جيدة واسنادها حسن ، وقد اخرج منها ابن جرير وابن ابي حاتم كثيرا وفي معجم الطبراني الكبير منها أشياء .

كما توجد طرق أخرى اختلفت اقوال علماء الجرح والتعديل في رجال اسانيدها ، منها :

أولا -

طريق العوفي (١) عن ابن عباس ، اخرج منها ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا ، والعوفي ضعيف ليس بواه ، وربما حسن له الترمذي .

ثانيا - طريق الضحاك بن مزاحم (٢) عن ابن عباس :

فان الضحاك لم يلقه ، فان انضم الى ذلك رواية بشر بن عمارة عن أبي روق عنه فضعيفه لضعف بشر ، وقد اخرج من هذه النسخة كثيرا ابن جرير وابن ابي حاتم وان كان من رواية جويبر عن الضحاك فأشد ضعفا ؛ لان جويبر شديد الضعف متروك ، ولم يخرج ابن جرير وابن ابي حاتم من هذا الطريق شيئا ، وانما خرجها ابن مردويه وابو الشيخ ابن حيان

---

(١) عطية بن سعيد العوفي الكوفي : تابعي شهير ضعيف ، قال ابو حاتم : يكتب حديثه ، ضعيف ، وقال سالم المرادي : كان عطية يتشيع ، وقال ابن معين : صالح ، وقال احمد : ضعيف الحديث ، وقال ايضا : بلغني ان عطية كان يأتي الكلبي فيأخذ منه التفسير . ميزان الاعتدال : جـ ٣ ص ٧٩ ، ط/ اولى ، دار المعرفة - بيروت ١٣٨٢ هـ .

(٢) الضحاك بن مزاحم البلخي المفسر ، قال يحيى القطان : كان شعبة ينكر ان يكون الضحاك لقي ابن عباس وقال يحيى بن سعيد : الضحاك ضعيف عندنا ، ووثقه احمد وابن معين وابو زرعة. ميزان الاعتدال : جـ ٢ ص ٣٢٥ .

ثالثا -

طريق مقاتل بن سليمان (١) ، فمقاتل في نفسه ضعفوه ، وقد ادرك الكبار من التابعين والشافعي اشار الى ان تفسيره صالح ، وقال عنه السيوطي ان الكلبي يفضل على مقاتل لما في مقاتل من المذاهب الرديه .

رابعا - طريق اسماعيل بن عبد الرحمن (١) السدى الكبير :

يورده بأسانيد الى ابن مسعود وابن عباس ، وروى عن السدى الائمة مثل الثورى وشعبة ، لكن التفسير الذى جمعه رواه اسباط بن نصر واسباط لم يتفقوا عليه .

---

(١) مقاتل بن سليمان البلقي المفسر ، ابو الحسن ، قال ابن المبارك عنه : ما احسن تفسيره لو كان ثقة ،وعن مقاتل بن حبان - وهو صدوق - قال : ماوجدت علم مقاتل بن سليمان الا كالبحر . وقال الشافعي : الناس عيال في التفسير على مقاتل ، وقال وكيع : كان كذابا ، وقال النسائي : كان مقاتل يكذب .
ميزان الاعتدال : جـ ٤ ص ١٧٣ .

(٢) اسماعيل بن عبد الرحمن - السدى الكبير - اختلف في توثيقه ، قال يحيي القطان عنه : لا بأس به ، وقال احمد : ثقة ، وقال ابن معين : في حديثه ضعف ، وقال ابو حاتم : لا يحتج به ، وقال ابن عدى : هو عندى صدوق . وقال الفلاس عن ابن مهدى : ضعيف ورمي بالتشيع .
ميزان الاعتدال : جـ ١ ص ٢٣١ .

غير ان امثل التفاسير تفسير السدى ، وابن جرير يورد منه كثيرا من طريق السدى عن ابي مالك عن ابي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة عن ابن مسعود وناس من الصحابة هكذا .

ولم يخرج منه ابن ابي حاتم شيئا لانه التزم ان يخرج اصح ماورد ، والحاكم يخرج منه في المستدرك اشياء ويصححه ، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود وناس فقط دون الطريق الاول ، وقد قال ابن كثير : ان هذا الاسناد يروى به السدى اشياء فيها غرابة.

خامسا ـ طريق ابن جريج (١)

وقد روى عنه جماعة ، منهم بكر بن سهل الدمياطي عن عبد الغني بن سعيد عن موسى بن محمد عن ابن جريج عن ابن عباس وهي اطول الروايات وفيها نظر .

ورواية محمد بن ثور عن ابن جريج نحو ثلاثة اجزاء كبار ، ورواية الحجاج ابن محمد عن ابن جريج نحو جزء وذلك صحيح متفق عليه .

---

(١) عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، ابو خالد المكي ، احد الاعلام الثقات ، يدلس ـ ميزان الاعتدال : حـ ٢ ص ٦٥٩ ، وقال الميموني : سمعت ابا عبد الله غير مرة يقول : كان ابن جريج من اوعية العلم ، وقال ابن ابي مريم عن ابن معين ثقة في كل ماروى عنه من الكتاب ، وقال جعفر بن عبد الواحد عن يحيى بن سعيد كان ابن جريج صدوقا ، فاذا قال حدثني فهو سماع ، واذا قال أخبرني فهو قراءة ، واذا قال : قال فهو شبه الريح . مات سنة تسع واربعين ومائة تهذيب التهذيب : حـ ٦ ص ٤٠٢ ومابعدها .

سادسا -

واوهى طرقه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ، فان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهي سلسلة الكذب ، وكثيرا مايخرج منها الثعلبي والواحدى. (١)

تفسير ابن عباس المنسوب اليه :

• يوجد كتاب باسم " تنوير المقباس من تفسير ابن عباس " منسوب الى عبد الله بن عباس ، وهو كتاب مطبوع متداول بين طلبة العلم ، جمعه ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى الشافعي - صاحب القاموس المحيط - .

وهذا التفسير تدور روايته حول محمد بن مروان - السدى الصغير -(٢)

---

(١) يراجع في هذا الموضوع - طرق الرواية عن ابن عباس - الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) محمد بن مروان السدى الكوفي ، وهو السدى الصغير ، قال الذهبي في ميزان الاعتدال : تركوه ، واتهمه بعضهم بالكذب ، وهو صاحب الكلبي ، قال البخارى: سكتوا عنه ، وهو مولى الخطابيين ، لا يكتب حديثه البتة .
وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال احمد : ادركته وقد كبر فتركته.
حـ ٤ ص ٣٢ .

عن محمد بن السائب الكلبي (١) عن ابي صالح عن ابن عباس .

وقد مر قريبا - في طرق الرواية عن ابن عباس - ان اوهى طرق الرواية عنه ، طريق الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ، وان انضم الى ذلك رواية محمد بن مروان فهي سلسلة الكذب .

ولنضف الى هذا قول الشافعي : انه لم يثبت عن ابن عباس من التفسير الا شبيه بمائة حديث . (٢)

يقول الدكتور الذهبي تعليقا على قول الشافعي المتقدم : وهذا الخبر ان صح عن الشافعي يدل على مقدار ماكان عليه الوضاعون من الجرءة على اختلاق هذه الكثرة من التفسير المنسوب الى ابن عباس ، وليس ادل على ذلك من انك تلمس التناقض (٣) ظاهرا بين اقوال في التفسير نسبت الى ابن عباس ورويت عنه . (٤)

---

(١) محمد بن السائب الكلبي ، ابو النضر ، الكوفي المفسر ، قال سفيان : قال الكلبي : قال لي ابو صالح : انظر كل شيء رويت عني عن ابن عباس فلا تروه ، وقال الثوري ايضا : اتقوا الكلبي ، فقيل : فانك تروى عنه . قال : انا اعرف صدقه من كذبه ، وقال البخاري : ابو النضر الكلبي تركه يحيى وابن مهدي . ثم قال البخاري : قال علي : حدثنا يحيى ، عن سفيان ، قال لي الكلبي : كل ماحدثتك عن ابي صالح فهو كذب . ميزان الاعتدال : جـ ٣ ص ٥٥٦ .

(٢) الاتقان في علوم القرآن : جـ ٢ ص ٢٤٢ .

(٣) راجع ص (١١) التعليق رقم (١) وفيه مثال لهذا التناقض.

(٤) التفسير والمفسرون ، للدكتور محمد حسين الذهبي : جـ ١ ص ٨١ . ط / الثانية ١٣٩٦ هـ ، دار الكتب الحديثة .

وفاتــــه :

اختلف في تحديد تاريخ وفاة ابن عباس - رضي الله عنهما - وعمره ، والراجح انه توفي سنة ثمان وستين وله من العمر سبعون سنة ، مات بالطائـــف ودفن بها ، وصلى عليه محمد بن الحنفية (١) ، وقال : " اليوم مات ربانـــي هذه الامة " (٢)

----

(١) محمد بن علي بن ابي طالب بن عبد مناف ، اخو الحسن والحسين ، وامه خولة بنت جعفر الحنفية ، من سبي اليمامة زمن ابي بكر الصديق - رضي الله عنه - ، ولد في خلافة ابي بكر ، مات سنة احدى وثمانيـــن وعمره خمس وستون سنة ، سير اعلام النبلاء : حـ ٤ ص ١١٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٥ ص ٢٣٦ .

عبد الله بن مسعـــود

ترجمتـــــه :

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم الهذلـــــي ابوعبد الرحمن ، صحابي ، من اكابرهم فضلا وعقلا . (١)

ترجم له الاصبهاني بقوله :

" من طبقة السابقين المهاجرين ، المعروفين بالنسك من المعمريـن ، القارىء الملقن ، والغلام المعلم ، والفقيه المفهم ، صاحب السواد والسرار ، والسباق والبدار ، اقربهم وسيلة ، وارجحهم فضيلة ، كان من الرفقاء والنجبـــاء والوزراء والرقباء ، عبد الله بن مسعود ، الكلف بالمعبود ، والشاهد للمشهود ، والحافظ للعهود ، والسائل الذى ليس بمردود " (٢)

كان اسلامه قديما اول الاسلام ، حين أسلم سعيد بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وذلك قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بزمان .

روى الأعمش عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قال عبد الله : لقد رأيتني سادس ستة ، ماعلى ظهر الأرض مسلم غيرنا " . (٣)

كان رضي الله عنه رجلا قصيرا نحيفا يكاد طوال الرجال يوازونه جلوسا وهو قائم (٤) ، هاجر الهجرتين ، وصلى القبلتين ، وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة " . (٥)

----

(١) الاعلام ، للزركلي : حـ ٤ ص ٢٨٠ ، ط / الثالثة.

(٢) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ، للاصبهاني : حـ ١ ص ١٢٤ ط/ الثانية

(٣) اسد الغابة : حـ ٣ ص ٣٨٤ .

(٤) الاستيعاب : حـ ٧ ص ٢٠ .

(٥) شذرات الذهب ، لابي الفلاح بن العماد الحنبلي : حـ ١ ص ٣٨ ، ط / المكتب التجارى للطباعة والنشر / بيروت .

وقد كان يلج على الرسول صلى الله عليه وسلم داره كثيرا حتى لقد ظنه ابو موسى الاشعرى رضي الله عنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١)

وفي البخارى ومسلم عن ابي موسى الاشعرى رضي الله عنه قال : قدمت انا واخي من اليمن فمكثنا حينا لا نرى ابن مسعود وامه الا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نرى من كثرة دخوله ودخول امه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزومه له" (٢)

وهو اول من جهر بقراءة القرآن الكريم بمكة (٣) .

مكانته العلمية :

كان ذا مكانة عالية بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يشهدون له ويقدمونه على غيره ، ولما قدم علي - رضي الله عنه - الكوفة حضر عنده قوم فقالوا : مارأينا رجلا أحسن خلقا ولا أرفق تعليما ، ولا أحسن مجالسة ولا أشد ورعا من ابن مسعود ، فقال علي رضي الله عنه ، أنشدكم الله أهو الصدق من قلوبكم ؟ قالوا : نعم ، قال : اللهم اشهد اني اقول مثل ماقالوا وافضل" (٤)

وهناك كثير من الآثار التي تشهد بمنزلة ابن مسعود ومبلغه من العلم اليك بعض منها :

قيل لحذيفة بن اليمان حدثنا بأقرب الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم هديا ودلا فنأخذ عنه ونسمع منه ، قال : كان أقرب الناس هديا وسمتا برسول الله صلى الله عليه وسلم ابن مسعود . حتى يتوارى منا في بيته ولقد علم المحفوظون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ان ابن ام عبد هو من اقربهم الى الله زلفى .

---

(١) اسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٨٤.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عبد الله بن مسعود : جـ ١٦ ص ١٤.

(٣) الاعلام ، للزركلي : جـ ١ ص ٢٨٠.

(٤) اسد الغابة : جـ ٣ ص ٣٨٤.

ومن أقوال عمر - رضي الله عنه - ماجاء على لسان زيد بن وهب قال : اني لجالس مع عمر اذ جاءه ابن مسعود يكاد الجلوس يوازونه من قصره فضحك عمر حين رآه ، فجعل يكلم عمر ويضاحكه وهو قائم ثم ولى فاتبعه عمر ببصره حتى توارى فقال : كنيف (١) ملىء علما (٢) .

وقال علقمة :

جاء رجل الى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال : اني جئتك من عند رجل يملي المصحف عن ظهر قلب ، ففزع عمر وغضب ، وقال : ويحك انظر ماتقول ! قال : ماجئتك الا بالحق ، قال : من هو ؟ قال : عبد الله بن مسعود ، قال : ما أعلم احدا احق بذلك منه . (٣)

وسئل علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - عن ابن مسعود فقال : " علم القرآن والسنة ثم انتهى ، وكفى بذلك علما " (٤)

---

(١) كنيف : تصغير كنف وهو وعاء طويل يكون فيه متاع التجار ، والمراد هنا انه وعاء للعلم بمنزلة الوعاء الذى يضع فيه الرجل اداته ، وتصغيره على جهة المدح له وهو تصغير تعظيم له .
لسان العرب : مادة (كنف) : حـ ٣ ص ٣٠٤ .

(٢) اسد الغابة : حـ ٣ ص ٣٨٩ .

(٣) حلية الاولياء : حـ ١ ص ١٢٤ .

(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء ص ١٢٩ .

منهجه في التفسير :

يعتبر ابن مسعود من نبلاء الفقهاء والمقرئين ، كان ممن يتحرى في الأداء ، ويشدد في الرواية ويزجر تلامذته عن التهاون في ضبط الألفاظ .

حفظ من في رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين سورة وتسمع عليه النبي صلى الله عليه وسلم ليلة وهو يدعو (١) فقال : " سل تعطه (٢) ، وقال : " من سره أن يقرأ القرآن غضا كما انزل فليقرأه على قراءة ابن ام عبد " (٣)

حظي ابن مسعود رضي الله عنه بمعية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحفظ ووعى الكثير من الحديث والفقه في الدين لانه كان من اكثر الصحابة ملازمة للنبي صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله وغزواته فهو صاحب السواك والنعلين وكان له من هذه الصلة بالرسول صلى الله عليه وسلم خير معلم ، وله في كتب السنة ثمانية واربعون وثمانمائة حديث (٤) فهو اذن من اصحاب المنهج النقلي وهذا يبدو واضحا في تفاسيره الكثيرة التي يرويها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها :

١- مارواه الامام السيوطي في الدر المنثور عند قوله تعالى في سورة الرحمن :

﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (٥)

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الخيام در مجوف " . (٦)

---

(١) تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ١٤ .

(٢) الحديث رواه البزار واسناده حسن ، مجمع الزوائد : حـ ٩ ص ٢٨٨ .

(٣) قال الهيثمي : الحديث رواه احمد والبزار والطبراني وفيه عاصم بن ابي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث وبقية رجال احمد رجال الصحيح ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير فرات بن محبوب ، وهو ثقة . مجمع الزوائد : حـ ٩ ص ٢٧٩ .

(٤) الاعلام للزركلي : حـ ٤ ص ٢٨٠ .

(٥) الآية : " ٧٢ " .

(٦) الدر المنثور : حـ ١ ص ١٥١ ، وتحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : ابواب صفة الجنة ، باب ماجاء في صفة غرف الجنة : حـ ٧ ص ٢٣٤ ، وقال ابوعيسى : هذا حديث صحيح .

٢ - وعن مسروق قال : سألنا ابن مسعود عن قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١)

قال : ارواح الشهداء عند الله كطير خضر ، تأوى الى قناديل معلقة بالعرش : تسرح في الجنة حيث شاءت ، فاطلع اليها ربك اطلاعه ، فقال : " هل تشتهون من شيء فأزيدكم " ؟ فقالوا : ربنا اليس آتيتنا الجنة ، نسرح فيها حيث نشاء ؟ ثم اطلع ثانية : فقال لهم مثل ذلك ، وقالوا مثل ماقالوا اول مرة . ثم اطلع اليهم الثالثة : فسألهن : هل تشتهون شيئا فأزيدكم ؟ قالوا : ترد ارواحنا الى اجسادنا ، فنقتل في سبيلك مرة أخرى " . (٢)

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب ان يسمع منه القرآن ، وقد اخبر ابن مسعود بنفسه عن ذلك فقال :

قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : اقرأ عليّ ، قلت : اقرأ عليك وعليك انزل ؟ قال : فاني احب ان اسمعه من غيرى ، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت قوله تعالى :

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً ﴾ (٣)

قال : امسك ، فاذا عيناه تذرفان . (٤)

---

(١) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ " .

(٢) تفسير سفيان الثورى : ص ٨١ ، ط / اولى ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠١ هـ

(٣) الآية : " ٤١ " .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ " جـ ٦ ص ٥٧ .

وقد توفرت لابن مسعود رضي الله عنه كل الادوات التي يحتاجها المفسر لكتاب الله فقد احاط علما بأسباب النزول ووقف على كثير من احوال الذين نزل فيهم القرآن .

روى الامام احمد والطبراني وابن ابي حاتم عن ابن مسعود قال : مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده خباب بن الارت ، وصهيب ، وبلال ، وعمار ، فقالوا : يامحمد ارضيت بهؤلاء وهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، لو طردت هؤلاء لاتبعناك " فأنزل الله فيهم القرآن ، من سورة الأنعام: الآيات : " ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ "

* وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا * الى قوله : * سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ * (١)

واخرج البخارى عن ابن مسعود ، قال : ان قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم القحط حتى اكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى مابينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فأنزل الله :

* فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * (٢)

فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل : يارسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت فاستسقى فسقوا فنزلت :

* إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * (٣)

---

(١) لباب النقول في اسباب النزول ، للسيوطي ص ١٠٠ ، ط / الثالثة ، ١٤٠٠ هـ ، دار احياء العلوم / بيروت.

وسنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب مجالسة الفقراء : حـ ٢ ص ١٣٨٢ ، وصحيح مسلم بشرح النووى كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل سعد بن ابي وقاص : حـ ١٥ ص ١٨٧ .

(٢) سورة الدخان : الآية " ١٠ ".

(٣) سورة الدخان : الآية " ١٥ ".

فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم ، فأنزل الله عز و جل :

* يَوْمَ نَبطِشُ البَطْشَةَ الكُبرى إنا مُنتَقِمُونَ * (١)

واخرج الامام احمد وغيره عن ابن مسعود قال : أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة ، فقال : " اما انه ليس من اهل هذه الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم " وانزلت هذه الآيات ، من سورة آل عمران : " ١١٣-١١٤-١١٥ ".

* لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهلِ الكِتَابِ أُمةٌ قَائِمةٌ .. * حتى بلغ * واللهُ عَلِيمٌ بِالمُتقِينَ * (٢)

كما كان ابن مسعود رضي الله عنه حريصا على تفهم كتاب الله عز وجل والوقوف على معانيه .

روى ابن جرير الطبرى عن ابن مسعود قال :

" كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن " (٣)

وكان ايضا شديد الحرص على تعرف ماعند غيره من العلم بالقرآن الكريم ولو لقى في سبيل ذلك المشقة والعنت .

---

(١) سورة الدخان : الآية " ١٦ ".
لباب النقول في اسباب النزول : ص ١٨٩ وصحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة الدخان : حـ ٦ ص ١٦٥ .

(٢) لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي ، ص ٥٦ ، ومسند احمد : حـ ١ ص ٣٩٦ ط/ دار صادر.
قال الحافظ الهيثمي : رواه احمد وابو يعلى والبزار والطبراني في الكبير ، ثم اورد هذا الحديث عن ابن مسعود بالفاظ فيها اختلاف وقال : ورجال احمد ثقات ليس فيهم غير عاصم بن ابي النجود وهو مختلف في الاحتجاج به ، وفي اسناد الطبراني عبيد الله بن زحر وهو ضعيف . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : حـ ١ ص ٣١٢ ، ط/ ٣ دار الكتاب العربي .

(٣) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٨٠

روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود قال :

" والذى لا اله غيره مانزلت آية من كتاب الله الا وانا اعلم فيم نزلت ؟ واين نزلت ، ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لاتيته "(١)

وقد استفاد ابن مسعود رضي الله عنه في تفسير القرآن الكريم :

أولا : بعلمه بمحكم القرآن ومتشابهه لا سيما وقد كان حاضرا للعرضة الاخيرة التي عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام .

عن الأعمش قال : قال لي عبد الله بن عباس اى القراءتين تقرأ ؟ قلت : القراءة الاولى قراءة ابن ام عبد ، فقال : اجل هي الآخرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعرض القرآن على جبريل في كل عام مرة فلما كان العام الذى قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضه عليه مرتين ، فحضر ذلك عبد الله فعلم مانسخ من ذلك ومابدل . (٢)

لذا نجده يقول في قوله تعالى في سورة النساء : الآية " ٩٣ " :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾

" انها لمحكمة وما تزداد الا شدة " . (٣)

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٨٠ .
(٢) الاستيعاب : حـ ٧ ص ٣٠ ، وحديث عرض جبريل عليه السلام القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم ، اخرجه البخارى في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم : حـ ٦ ص ٢٢٩ .
(٣) تفسير الطبرى : حـ ٩ ص ٦٨ .

ثانيا - بعلمه بالحلال والحرام وكان يقول - رضي الله عنه - في قول الله عزوجل :

* يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ * (١)

ان حق تلاوته : أن يحل حلاله ويحرم حرامه ، وان يقرأه كما انزله الله عز وجل ، ولا يخرجه عن مواضعه. (٢)

فكان رضي الله عنه قمة في الفتوى تصدر عنه عن علم وادراك .

روى ابن جرير عند قوله تعالى :

* وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ * (٣)

عن عبد الله قال : " ماكان من رضاع بعد سنتين او في حولين بعد الفطام فلا رضاع " (٤)

وفي قوله تعالى : * وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ * (٥)

روى ابن ابي حاتم عن ابن مسعود انه سئل عن الرجل يجمع بين الأختين فكرهه فقال له يعني السائل يقول الله تعالى :

* إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ * (٦)

فقال له ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : وبعيرك مما ملكت يمينك . (٧)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٢١ " والآية كما يلي : * الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * .

(٢) تفسير الطبرى : حـ ٢ ص ٥٦٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية " ٢٣٣ ".

(٤) تفسير الطبرى : حـ ٥ ص ٣٦ .

(٥) سورة النساء : الآية " ٢٣ ".

(٦) سورة النساء : الآية " ٢٤ " * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ *

(٧) تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٤٧٢ .

وفي الطبرى عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى :

* لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * (١)

انه كان يقول في الايلاء (٢) : اذا مضت الاربعة الاشهر فهي تطليقة بائنة (٣) .

ثالثا - ويعلمه بقصص القرآن الكريم ، حتى نجده يحيط علما بأدق التفاصيل في القصص القرآني مثل عدد بني اسرائيل عند دخولهم وخروجهم من مصر .

روى الطبرى عن عبد الله بن مسعود قال: خرج اهل يوسف من مصر وهم ستمائة الف وسبعون الفا ، فقال فرعون :

* إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * (٤)

وعن عبد الله في رواية اخرى قال: دخل بنو اسرائيل مصر وهم ثلاثة وستون انسانا وخرجوا منها وهم ستمائة الف ." (٥)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٢٦ ".

(٢) الايلاء في اللغة :الحلف يقال آلى يولى ايلاء واليه ، لسان العرب : حـ ١ ص ٨٩.

واما الايلاء في الشرع فهو : ان يحلف الرجل ان لا يطأ زوجته اما مدة هي اكثر من اربعة اشهر او اربعة اشهر او باطلاق . بداية المجتهد : حـ٢ ص ٩٩ ط/ السادسة ، دار المعرفة.

(٣) تفسير الطبرى : حـ ٤ ص ٤٧٩ .

(٤) سورة الشعراء : الآية : ٥٤ .

(٥) تفسير الطبرى: حـ ١٦ ص ٢٧٦ .

القراءات التفسيرية في منهج ابن مسعود :

هناك كلمات اضيفت الى النص القرآني في معرض التفسير والبيان وهي قراءات شاذة تروى في كتب التفسير ، وهي غير مستوفية للشروط التي يعتمد عليها العلماء في الحكم بتواتر القراءة .

ونلاحظ ان معظم هذه القراءات الشاذة ينتهي سندها الى عبد الله بن مسعود وابي بن كعب رضي الله عنهما ، وكلاهما كان مفسرا فقيها يمارس الاستنباط الفقهي .

والراجح ان هذه القراءات كانت تفسيرات اضافاها الى النص الذى كان مكتوبا عندهما ، حتى يمكن فهمه ويستطاع الانتفاع بما ورد به من تشريعات واحكام فتكون عونا على معرفة صحة التأويل .

ولم يتردد بعض العلماء في اطلاق القول بان " توجيه القراءة الشاذة اقوى في الصناعة من توجيه المشهورة " (١)

فقراءة سعد بن ابي وقاص - رضي الله عنه في قوله تعالى :

* وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ * (٢)

باضافة لفظة أم ، فأصبحت " وله أخ او اخت من ام " .

صرحت بنوع الاخوة في هذه القضية التشريعية المتعلقة بالميراث .

وقراءة عمر بن عبد العزيز التي تحكى عن الامام ابي حنيفة :

* انما يخشى الله من عباده العلماء * (٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن : جـ ١ ص ٣٤١ .
(٢) سورة النساء : الآية " ١٢ "
(٣) سورة فاطر : الآية " ٢٨ " .

برفع اسم الجلالة ونصب العلماء بينت ان الغرض من تخصيص العلماء بالخشية اظهار مكانتهم ودرجتهم عند الله ، وتأويله كما يقول الزركشي :

" ان الخشية هنا بمعنى الاجلال والتعظيم لا الخوف " (١)

ويضيف الزركشي ، فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين في التفسير فيستحسن ذلك ، فكيف اذا روى عن كبار الصحابة ثم جاء في نفس القراءة ، فهو الآن اكثر من التفسير واقوى ، فأدنى مايستنبط من هذه الحروف صحة التأويل . (٢)

ومن هنا شاع على السنة العلماء : " اختلاف القراءات يظهر اختلاف الاحكام " (٣)

ولنقرأ بعض الآيات القرآنية الكريمة المفسرة على هذا النحو والتي ينسبها تلاميذ ابن مسعود اليه،

١ - قال تعالى :

﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأَيْمَانَ ﴾ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴾ ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ (٤)

---

(١) البرهان في علوم القرآن : حـ ١ ص ٣٤١ .
(٢) المصدر السابق نفس الجزء : ص ٣٣٧ .
(٣) الاتقان في علوم القرآن : حـ ١ ص ١٠٨ .
ومباحث في علوم القرآن ، للدكتور : صبحي الصالح : ص ٢٤٧ ومابعدها الطبعة العاشرة، ١٩٧٧ ، دار العلم للملايين .
(٤) سورة المائدة : الآية " ٨٩ " .

قال ابراهيم(١) : في قراءة عبد الله بن مسعود فصيام ثلاثة ايـــــام متتابعات " (٢)

وقال الاعمش(٣) : كان اصحاب ابن مسعود يقرؤونها كذلك.

قال الحافظ ابن كثير : وهذه اذا لم يثبت كونها قرآنا متواترا فلا اقل ان يكون خبر واحد او تفسير من الصحابة وهو في حكم المرفوع . (٤)

٢ - وفي قوله تعالى في سورة المائدة ، الآية " ٣٨ " :

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللهِ واللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

قال ابن كثير : روى الثورى ان ابن مسعود كان يقرؤها : " والسارق والسارقة فاقطعوا ايمانهما " .

ثم قال : وهذه قراءة شاذة وان كان الحكم عند جميع العلماء موافقا لها ، لا بها ، بل هو مستفاد من دليل آخر . (٥)

أقـــــول :

وهذه القراءة ساعدت على فهم مايقطع في حد السرقة .

---

(١) ابراهيم بن يزيد بن قيس النخعي ، ابو عمران ، تابعي ولد سنة ٥٠ هـ ، الاعلام للزركلي : حـ ١ ص ٧٦ .

(٢) انبنى على قراءة ابن مسعود هذه خلاف فقهي ، فالاحناف والحنابلـــــة يشترطون التتابع في صيام كفارة اليمين ، وقال الشافعي ومالك : لا يجب التتابع .

(٣) سليمان بن مهران ، ابو محمد الاسدى الكاهلي ، تابعي ، اصله مـــــن نواحي الرى ولد سنة احدى وستين ومات سنة ثمان واربعين ومائة وله مـــن العمر سبع وثمانون سنة ، سير اعلام النبلاء : حـ ٦ ص ٢٢٦ .

(٤) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ٩١ .

(٥) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ٥٤ .

٣ - وفي قول الله عز وجل في سورة النور : الآية " ٣٣ " :

* وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ *

قال سعيد بن جبير : في قراءة عبد الله بن مسعود : * فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ * لهن واثمهن على من اكرههن . (١)

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٢٨٩ .

طرق الرواية عن ابن مسعود :

يعد ابن مسعود رضي الله عنه من اكثر الصحابة تفسيرا لكتاب الله عز وجل بعد ابن عباس رضي الله عنهما ، ففي الاتقان ... واما ابن مسعود فقد روى عنه اكثر مما روى عن علي بن ابي طالب (١) .

وكان له تلاميذ كثيرون في الكوفة يروون عنه وسبب ذلك ان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سيره الى الكوفة معلما ووزيرا وقال لأهلها : اني قد بعثت عمار بن ياسر اميرا وعبد الله بن مسعود معلما ووزيرا وهما من النجباء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل بدر فاقتدوا بهما وأطيعوا واسمعوا قولهما وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي . (٢)

وبناء عليه كان اهل الكوفة يجلسون اليه ، ويأخذون عنه ويروون له ، واشتهر من تلامذته: علقمة بن قيس ، مسروق بن الاجدع ، الاسود بن يزيد ، ومره الهمداني وغيرهم كثير ممن رووا عنه ، ونجد اسانيد روايتهم عنه في كتب التفسير بالمأثور والحديث ومن اشهر طرق الرواية عن ابن مسعود :

أولا : طريق الاعمش عن ابي الضحى (٣) عن مسروق عن ابن مسعود ، وهذه الطريق من اصح الطرق وأسلمها .

ثانيا : طريق مجاهد عن معمر عن عبد الله بن مسعود .

وهذه الطريق صحيحة ، وقد اعتمد عليها البخارى في صحيحه.

----

(١) الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٣٩.

(٢) اسد الغابة : حـ ٣ ص ٣٨٤.

(٣) ابو الضحى : مسلم بن صبيح القرشي الكوفي ، مولى آل سعيد بن العاص ، كان من ائمة الفقه والتفسير ، ثقة حجة مات نحو سنة مائة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، سير اعلام النبلاء : حـ ٥ ص ٧١ .

ثالثا : طريق الاعمش عن ابي وائل عن ابن مسعود .

وهذه ايضا طريق صحيحة يخرج البخارى منها .

رابعا : طريق السدى الكبير ، عن مرة الهمداني عن ابن مسعود .

وهذه الطريق يخرج منها الحاكم في مستدركه ويصحح مايخرجه ، ويخرج منها ابن جرير الطبرى في تفسيره كثيرا .

خامسا : طريق ابي روق (١) عن الضحاك ، عن ابن مسعود :

ويخرج منها ابن جرير في تفسيره ، وهذه الطريق غير مرضية لان الضحاك لم يلق ابن مسعود فهي طريق منقطعة .

سادسا : طريق الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن الأسود عن ابن مسعود (٢)

وفاته :

توفي ابن مسعود بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع ليلا تنفيذا لوصيته ، وكان عمره يوم توفى بضعا وستين سنة . ولما مات ابن مسعود نعى الى ابي الدرداء فقال : ماترك بعده مثله . (٣)

---

(١) ابو روق : واسمه عطية بن الحارث الهمداني الكوفي ، قال احمد والنسائي عنه: ليس به بأس . وقال ابن معين : صالح ، وقال ابو حاتم : صدوق ، وذكره ابن حبان في الثقات ، تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٢٤ .

(٢) التفسير والمفسرون : حـ ١ ص ٨٧ .

(٣) اسد الغابة : حـ ٣ ص ٣٨٤ .

علي بن ابي طالـــب

ترجمتـــــه :

علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي ، ابو الحسن ، اميـــر المؤمنين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلـــم ابا تراب ، وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم الهاشمية وهي اول هاشمية ولــــدت لهاشمي " (١)

وهو اول من اسلم من الاحداث ، واول خليفه من بني هاشم .

هاجر الى المدينة ، وشهد بدرا واحدا والخندق وبيعة الرضوان وجميـــع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تبوك فان رسول الله صلى الله عليـــه وسلم خلفه على اهله ، وله في الجميع بلاء عظيم واثر حسن .

اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء في مواطن كثيرة بيده ، ولما قتـــل مصعب بن عمير يوم احد وكان اللواء بيده ، دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الـــى علي .

وقال يوم خيبر : " لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه اللـــه ورسوله ثم اعطاها لعلي رضي الله عنه " (٢) وهو من العشرة المبشرين بالجنة .

قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " انت مني بمنزلة هارون من موســى الا انه لانبي بعدى " (٣) .

----

(١) تهذيب الكمال في اسماء الرجال ، للمزى : حـ ٢ ص ٩٧١ ط / دار المأمون للتراث نسخة مصورة .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب فضائل الصحابة ، فضائل علي بـــن ابي طالب : حـ ١٥ ص ١٧٦ .

(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل حراء حين تحرك فقال له صلى الله عليه وسلم : " اثبت حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد "(١)

قال عبد الله بن عباس : " لعلي أربع خصال ليست لاحد بعده :

هو اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى كان لواؤه معه في كل زحف ، وهو الذى صبر معه حين فر عنه غيره ، وهو الذى غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدخله قبره ".

وقال انس بن مالك :

" استنبئ النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وصلى علي - رضي الله عنه - يوم الثلاثاء .

زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثنتين من الهجرة ابنته فاطمة سيدة نساء اهل الجنة (٢) .

مكانته العلمية :

كان علي - كرم الله وجهه - بحرا في العلم ، صاحب قلب مستنير ، وعقل ذكي ، وكان يقول : ان ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا صادقا ناطقا (٣) ، وقد اوتي حظا وافرا من العلم والمعرفة بتأويل القرآن والفتوى وغيرهما حتى انه كان يقول سلوني ولم يكن احد من الصحابة رضي الله عنهم يفعل ذلك (٤) ، وذلك بحكم صلته برسول الله صلى الله عليه وسلم التي افادته كثيرا .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل طلحة والزبير: حـ ١٥ ص ١٩١ ، وتهذيب الكمال : حـ ٢ ص ٩٧١ ومابعدها .

(٢) تهذيب الكمال : حـ ٢ ص ٩٧٣ .

(٣) تاريخ الخلفاء ، للسيوطي : ص ١٨٥ ، ط / الاولى ، ١٩٥٢م

(٤) المصدر السابق : ص ١٧١ .

فقد تربى في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنشأ في بيت النبوة وتنشئته هذه كانت من النعم التي انعم الله بها عليه - رضي الله عنه - ويعد من اكثر الخلفاء الاربعة اقوالا في التفسير (١) ، وقد اوردت له كتب السنة خمسمائة وستة وثمانين حديثا . (٢)

قيل لعطاء : أكان في اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احد اعلم من علي ؟ قال : لا والله ما أعلمه". (٣)

بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن وهو شاب ليقضي بينهم ، فقال يارسول الله : اني لا ادرى ما القضاء ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره بيده ، وقال : اللهم اهد قلبه وسدد لسانه ، قال علي : فوالله ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين . (٤)

وقال سعيد بن المسيب[٥] كان عمر - رضي الله عنه - يتعوذ من معضلة ليس لها ابو الحسن .

وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس : كان اذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به .

وعن ابي الطفيل قال : شهدت عليا يخطب وهو يقول : سلوني ، فوالله لاتسألوني عن شيء الا اخبرتكم عن كتاب الله ، فوالله مامن آية الا وانا اعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في سهل أم في جبل . (٦)

---

(١) مناهل العرفان : حـ ١ ص ٤٨٢ .

(٢) تاريخ الخلفاء : ص ١٦٧ .

(٣) الاستيعاب : حـ ٨ ص ١٥٩ .

(٤) تاريخ الخلفاء ، ص ١٧١ ، والحديث في عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب القضاء ، باب كيف القضاء : حـ ٩ ص ٤٩٨ ، وقال المنذرى : اخرجه الترمذى مختصرا وقال : حديث حسن .

(٥) سعيد بن المسيب بن حزن سيد التابعين جمع بين الحديث والفقه والزهد والورع، كان احفظ الناس لاحكام عمر بن الخطاب. مات سنة ٩٣ هـ .
الاعلام للزركلي : حـ ٣ ص ١٥٥ .

(٦) تهذيب الكمال : حـ ٢ ص ٩٧٣ .

وقال سعيد بن عمرو بن العاص قلت لعبد الله بن عياش بن ابي ربيعة ، لم كان صغو الناس الى علي ؟ فقال : يا ابن اخي ان عليا كان له ماشئت من ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشيرة ، والقدم في الاسلام والظهر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقه في السنة ، والنجدة في الحرب ، والجود في الماعون . (١)

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : والله لقد اعطي علي بن ابي طالب تسعة اعشار العلم وآيم الله (٢) لقد شاركم في العاشر (٣) .

منهج علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - في تفسير القرآن الكريم :

استفاد الامام علي كثيرا مما اتيح له بحكم صلته الوثيقة بالنبي صلى الله عليه وسلم بالعلم بتأويل القرآن ومعرفة اسباب نزوله وكما مرّ قريبا فان كتب السنة اوردت له اكثر من خمسمائة حديث ، وهذا مما يؤهله لان يكون من اصحاب المنهج النقلي .

وسأعرض بعض النماذج التي تلقي الضوء على منهجه في التفسير :

أولا - أقواله في التفسير المنقول :

روى الامام احمد بسنده عن علي رضي الله عنه قال : الا اخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (٤)

---

(١) تهذيب التهذيب : ج ٧ ص ٣٣٥ .

(٢) وآيم الله ، كلمة قسم ، همزتها همزة وصل . يقال : آيم الله لأفعلن كذا ، المعجم الوسيط : ج ١ ص ٣٤ .

(٣) الاستيعاب : ج ٨ ص ١٦١ .

(٤) سورة الشورى : الآية " ٣٠ " .

وسأفسرها لك ياعلي :

ما اصابكم من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله تعالى اكرم من ان يثني عليهم العقوبة في الآخرة وما عفا الله تعالى عنه في الدنيا فالله تعالى احلم من ان يعود بعد عفوه. (١)

٢ - اخرج الترمذي وحسنه عن علي - رضي الله عنه - قال : لما نزلت :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ (٢)

قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ماترى ؟ دينار ؟ قلت : لا يطيقونه

قال : فنصف دينار ؟ قلت : لا يطيقونه ، قال فكم ؟ قلت : شعيره (٣)

قال : انك لزهيد ، قال : فنزلت :

﴿ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ ﴾ (٤)

قال : فبي خفف الله. (٥)

---

(١) مسند احمد : حـ ١ ص ٨٥ ، قال الهيثمي : " رواه احمد وابويعلى الا انه قال : فالله اكرم من ان يثني عليكم العقوبة بدل عليهم ، وفيه ازهر بن راشد وهو ضعيف ، مجمع الزوائد : حـ ٧ ص ١٠٣ .

(٢) سورة المجادلة : الآية " ١٢ ".

(٣) قوله : شعيره ، يعني : وزن شعيرة من ذهب. تحفة الاحوذي ، كتاب التفسير : حـ ٩ ص ١٩٢ .

(٤) سورة المجادلة : الآية " ١٣ ".

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، كتاب التفسير : سورة المجادلة ، حـ ٩ ص ١٩٢ .

ثانيا ـ تفسيره بالاجتهاد :

ونلاحظ ذلك في قوله تعالى في سورة المدثر : الآيتان " ٣٨ ، ٣٩ ":

* كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ *

قال علي ـ رضي الله عنه ـ في تفسير قوله تعالى : * إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ * هم اطفال المسلمين . (١)

وفي قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ * (٢)

قال : علموا انفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم . (٣)

وفي قوله تعالى في سورة البقرة : الآية " ١٨٠ " :

* كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى الْمُتَّقِينَ * .

روى ابن جرير الطبرى عن هشام عن أبيه قال : دخل عليّ علي مولى لهم في الموت وله سبعمائة درهم ، أو ستمائة درهم ، فقال : ألا أوصى ؟ فقال : لا انما قال الله : (إِنْ تَرَكَ خَيْراً) وليس لك مال كثير . (٤)

---

(١) الدر المنثور : حـ ٦ ص ٢٨٥ ، ولعله قال هذا لان الاطفال لا يعرفون الذنوب ولا اعمال لهم يرتهنون بها .

(٢) سورة التحريم : الآية " ٦ " .

(٣) الدر المنثور : حـ ٦ ص ٢٤٤ ، وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية : " اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله ، وامروا اهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ، وقال مجاهد : اتقوا الله وأوصوا اهليكم بتقوى الله ، وقال قتادة : تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وان تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فاذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها " .
ابن كثير : حـ ٤ ص ٣٩١ .

(٤) تفسير الطبرى : حـ ٣ ص ٣٩٥ .

ثالثا ـ اقواله في تفسير آيات الاحكام :

روى ابن جرير بسنده عن علي ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى :

﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١)

قال : المولى اما أن يفيء ، واما ان يطلق " . (٢)

وفي سورة البقرة ، عند قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٣)

روى ابن جرير بسنده : ان عليا قال في رجل قتل امرأته : ان شاءوا (٤) قتلوه وغرموا نصف الدية. (٥)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٢٦ " .

(٢) تفسير الطبرى : ج ٤ ص ٤٩٠ .

(٣) الآية : " ١٧٨ ".

(٤) اى اولياء المرأة .

(٥) تفسير الطبرى : ج ٣ ص ٣٦٢ ، وقد حكم الامام الطبرى بعدم صحة هذا القول . وقال : ان الآية اما ان تكون نزلت في قوم كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة ، ولكنهم كانوا يقتلون الرجل بالرجل ، والمرأة بالمرأة حتى سوى الله بين حكم جميعهم ، فجعل الاحرار في القصاص سواء رجالهم ونساءهم في النفس وما دون النفس ، وكذلك العبيد فيما بينهم ، وهذا قول ابن عباس وقتادة.

واما ان تكون الآية نزلت في قوم بأعيانهم خاصة فأمر النبي صلى الله عليه وسلم ان يجعل ديات قتلاهم قصاصا بعضها من بعض .

تفسير الطبرى : ج ٣ ص ٣٥٩ ومابعدها .

طرق الرواية عن علي - رضي الله عنه - :

كثرت الرواية وتعددت طرقها عن علي - كرم الله وجهه - فتصدى لها صيارفة الجرح والتعديل حتى بينوا ماصح من الروايات مما لم يصح ، ولعل السبب في كثرة الروايات عنه هو نسبته - رضي الله عنه - الى بيت النبوة فهو كما مر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وتربى في حجره صلى الله عليه وسلم الامر الذى يكسب الموضوع المنسوب اليه منزلة ورواجا ، بالاضافة الى غلاة الشيعة الذين بالغوا في حبه فنسبوا اليه اقوالا وارا٫ هو منها برى٫ .

ومن أهم طرق الرواية عنه :

أولا :

طريق هشام (١) عن محمد بن سيرين (٢) ، عن عبيدة السلماني (٣) ، عن علي . وهذه طريق صحيحة يخرج منها البخارى وغيره .

---

(١) هشام بن حسان الأزدى القردوس ، ابو عبد الله البصرى ، احد الاعلام ، قال العجلي عنه : بصرى ثقة ، حسن الحديث ، مات سنة ثمان واربعين ومائة. تهذيب التهذيب : جـ ١١ ص ٣٤ .

(٢) انظر ترجمته في ص (٩٧) من هذا الفصل .

(٣) عبيدة بن عمرو ويقال : ابن قيس بن عمرو السلماني المرادى ابو عمرو الكوفي . اسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يلقه ، قال ابن معين عنه: ثقة . لا يسئل عن مثله . وقال علي بن المديني وغيره : اصح الاسانيد محمد ابن سيرين عن عبيدة عن علي . مات سنة ثلاث وسبعين ، تهذيب التهذيب : جـ ٧ ص ٨٤ .

ثانيا :

طريق ابن ابي حسين (١) ، عن ابي الطفيل (٢) عن علي .

وهذه طريق صحيحة ، يخرج منها ابن عيينة في تفسيره.

ثالثا :

طريق الزهري (٣) عن علي زين العابدين عن ابيه الحسن عن ابيه علي .

وهذه الطريق صحيحة جدا حتى عدها بعضهم اصح الاسانيد مطلقا ، ولكن لم تشتهر هذه الطريق اشتهار الطريقين السابقين ، نظرا لما الصقه الضعفاء والكذابون بزين العابدين من الروايات الباطلة (٤) .

وفاتـــه :

قتله عبد الرحمن بن ملجم صبيحة ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من شهر رمضان سنة اربعين وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وقيل ابن ثلاث وستين سنة (٥)

---

(١) هو : عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي حسين . قال عنه احمد والنسائي وابو زرعة : ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات ، تهذيب التهذيب: حـ٥ ص٢٩٣

(٢) وهو : عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو بن جحش ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر وعمر وعلي ومعاذ بن جبل وغيرهم .
كان ثقة في الحديث ، مات سنة ١٠٢ هـ تهذيب التهذيب : حـ ٥ ص ٨٢ .

(٣) الزهري بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ولد سنة خمسين وحدث عن ابن عمر وانس بن مالك وغيرهم .
قيل لمكحول من أعلم من لقيت ، قال : ابن شهاب ، - يعني الزهري - تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ١٠٨ .

(٤) التفسير والمفسرون : حـ ١ ص ٩١ .

(٥) طبقات الفقهاء : ص ٤٢ .

أبي بن كعب

ترجمتـــه :

ابي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد ، له كنيتان : ابو المنذر ، كناه بها النبي صلى الله عليه وسلم ، وابو الطفيل : كناه بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

شهد العقبة وبدرا .

وكان عمر - رضي الله عنه - يقول : " ابي سيد المسلمين " ، وهو اول من كتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة .

روى عنه عبادة بن الصامت (١) ، وابن عباس ، وعبد الله بن خباب (٢) ، وابنه الطفيل . (٣)

ثبت عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه ان رجلا من المسلمين قـــال : " يارسول الله أرأيت هذه الامراض التي تصيبنا ومالنا فيها ؟ قال : "كفارات" ، فقال ابي بن كعب : "يارسول الله ، وان قلت ؟ قال : وان شوكة فما فوقها"

---

(١) عبادة بن الصامت بن قيس ، الامام القدوة ، ابو الوليد الانصارى ، احـــد النقباء ليلة العقبة ، مات سنة اربع وثلاثين من الهجرة ، وهو ابن اثنتيـــن وسبعين سنة . سير اعلام النبلاء : حـ ٢ ص ٥ .

(٢) عبد الله بن خباب بن الأرت ، ادرك النبي صلى الله عليه وسلم ، له رؤيـة ، قتله الخوارج سنة سبع وثلاثين . اسد الغابة : حـ ٣ ص ٢٢٢.

(٣) اسد الغابة : حـ ١ ص ٦١ .

فدعا أبي ان لا يفارقه الوعك حتى يموت ، وان لا يشغله عن حج ولا عمرة ولا جهاد ، ولا صلاة مكتوبة في جماعة ، قال : فما مس انسان جسده الا وجد حره حتى مات . (١)

مكانته العلمية :

أبي بن كعب سيد القراء واحد كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " أقرؤهم أبي بن كعب " (٢) ، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليهنئك العلم يا أبا المنذر . (٣)

وعن مسروق قال : كان اصحاب القضاء من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سته : عمر ، وعلي ، وعبد الله ، وابي ، وزيد ، وابو موسى - رضي الله عنهم (٤)

وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسأله عن النوازل ويتحاكم اليه في المعضلات . (٥)

---

(١) الاصابة : حـ ١ ص ٢٧ ، ومسند احمد : حـ٣ص٢٣ "قال الهيثمي : ورواه ابو يعلى ورجاله ثقات " مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : حـ ٢ ص ٣٠١ .

(٢) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب المناقب ، مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت ، وابي بن كعب .. حـ ١٠ ص ٢٩٣ وقال الترمذى : هذا حديث غريب .. ط / الثالثة ، دار الفكر .

(٣) شذرات الذهب : حـ ١ ص ٣٢ والحديث رواه الامام مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين ، فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، وفي مسند الامام احمد : حـ ٥ ص ١٤٢ .

(٤) اسد الغابة : حـ ١ ص ٦١ .

(٥) الاصابة : حـ ١ ص ٢٧ .

قرأ القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم (١) ، كما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سورة البينة تعليما وارشادا له.

عن انس بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾(٢) قال : آلله سماني لك ؟ قال: نعم ، فجعل أبي يبكي . (٣)

----

(١) تذكرة الحفاظ : ج ١ ص ١٦ .

(٢) سورة البينة : الآية " ١ "

(٣) اسد الغابة : ج ١ص ٦٢ ، والحديث رواه الامام مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، فضائل ابي بن كعب وجماعة من الانصار. ج ١٦ ص ٢٠

منهج ابي بن كعب - رضي الله عنه - في تفسير القرآن :

يعد ابي بن كعب في الصدارة بين المفسرين ، وقد عدّ ممن عرفوا بالتفسير وا كثروا منه.

يقول السيوطي في الاتقان :

اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة وعدّ منهم "أبي بن كعب" (١)، ولقد توفرت عوامل كثيرة ساعدت ابيا على ان يأخذ هذه المكانة ، فلقد امضى حياته في المدينة وكانت بيئتها ذات خبرة سابقة بالدين وشئونه ، واتصل المسلمون بيهود المدينة ، وثمة اشارات عديدة في القرآن تعكس صدى تأثيرهم في جوانب عديدة من حياتها من ذلك :

قوله تعالى :

* إِنَّ اللهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيهِ حَقّاً في التَّوراةِ والإِنْجيلِ والقُرْآنِ وَمَنْ أَوفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاستَبشِرُوا بِبَيعِكُمُ الّذى بَايَعْتُمْ بِهِ وذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * (٢)

واتيح لأبي بما كان عليه من اليهودية في الجاهلية ان تكون له خبرة بالكتب القديمة يقرأها ويفسرها ، فيعرف اسرارها ويقف على ماورد فيها.

مما كان له الأثر في تفسيره لبعض الآيات القرآنية الكريمة ففي قوله تعالى :

* وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ * (٣).

---

(١) جـ ٢ ص ٢٣٩.

(٢) سورة التوبة : الآية "١١١".

(٣) سورة الاعراف : الآية "١٠٢"

قال : في الميثاق الذى أخذه في ظهر آدم عليه السلام (١) .

وفي قوله تعالى :

* وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * (٢)

قال : اخذهم فجعلهم ارواحا ، ثم صورهم ، ثم استنطقهم ، فكان روح عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها العهد والميثاق ، فأرسل ذلك الروح الى مريم ، فدخل في فيها ، فحملت الذى خاطبها وهو روح عيسى عليه السلام.(٣)

وابي بن كعب رضي الله عنه وان كان قد استعان في فهم آيات القرآن الكريم بما كان في الكتب القديمة الا انه يبدو في منهجه الذى التزمه شديد الحرص يتوقف عند ماورد في الآيات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لان الرسول عليه الصلاة والسلام كان يبين لاصحابه ـ رضي الله عنهم ـ مايستشكل فهمه عليهم من معاني القرآن الكريم ويبين لهم الفاظه ومعانيه ، فلا يعقل بعد ذلك ان تمر على ابي بن كعب آية من القرآن الكريم يشكل معناها عليه دون ان يسأل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والأدلة على التزامه في التفسير بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة منها :

أولا : في قوله تعالى :

* وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى * (٤) .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ١٣ ص ١١ .

(٢) سورة الاعراف : الآية " ١٧٢ ".

(٣) تفسير الطبرى : حـ ٣ ص ٤٢٩ ، وهذا الأثر أورده الطبرى عند تفسير قوله تعالى في سورة النساء ، الآية " ١٧١ " : * إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ * .

(٤) سورة الفتح : الآية " ٢٦ ".

عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا اله الا الله ".(١)

ثانيا : في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (٢)

روى البخاري بسنده عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس رضي الله عنهما ، ان نوفا البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني اسرائيل ، فقال ابن عباس : كذب عدو الله ، حدثني أبي بن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل ، فسئل : اى الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه، فأوحى الله اليه : ان لي عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك ، قال موسى : يارب فكيف لي به ؟ قال : تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل (٣) ، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم .... " (٤)

ولاعجب في ذلك فقد كان يداوم على قراءة القرآن الكريم لاتقطعه منه اسباب ولا تشغله عنه مشاغل وكان يحدد مدى للانتهاء منه . قال : " أما انا فأقرأ القرآن في ثمان ليال " (٥)

---

(١) الدر المنثور : حـ ٦ ص ٨٠ وتحفة الاحوذى ، كتاب التفسير ، سورة الفتح حـ ٩ ص ١٥٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث غريب.

(٢) سورة الكهف : الآية " ٦٠ ".

(٣) المكتل : والمكتلة والجمع مكاتل : وهو الزّبيل الذى يحمل فيه التمر او العنب ، وقيل : المكتل شبه الزّبيل يسع خمسة عشر صاعا ، لسان العرب : حـ ٣ ص ٢٢٠ .

(٤) صحيح البخارى : حـ ٦ ص ١١٠ كتاب التفسير باب قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ .... ﴾

(٥) الطبقات الكبرى : لابن سعد : حـ ٣ ص ٦٠ ،ط/ دار صادر ، بيروت ، ١٣٧٧ هـ .

كذلك توفرت لابي كل الادوات التي لاغنى للمفسر عنها فقد عرف مواضع نزول الوحي واوقاته ، لانه كان من كتاب الوحي . (١)

ولقد احاط علما بمواضع النزول حتى اصبح أهلا لكي يجيب من يسأل عنها .

يقول ابن عباس رضي الله عنهما : سألت ابي بن كعب عما نزل من القرآن بالمدينة فقال : نزل بها تسع وعشرون سورة وسائرها بمكة .(٢)

وان معرفته بالقرآن لتدق حتى نجده يعرف الحضرى والسفرى منه .

وذكر ان من السفرى خاتمة سورة النحل (٣)

وقد مكنه طول الملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم من ان يقف على آخر آية نزلت من القرآن .

قال ابي : آخر آية نزلت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

* لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * (٤)

---

(١) مناهل العرفان : حـ ١ ص ٣٦٠ .

(٢) البداية والنهاية : حـ ٨ ص ٢٩٨ .

(٣) قوله تعالى : * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَاعُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ * إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ * .

الآيات : " ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ .

الاتقان في علوم القرآن : حـ ١ ص ٢٥ .

(٤) سورة التوبة : الآيتان : " ١٢٨ ، ١٢٩ " ولعل ابي بن كعب اراد انها من آخر مانزل من القرآن ، وقد سبق في ص (٣٠) من هذاالفصل تحقيق القول في آخر آية نزلت من القرآن والقول الراجح

ايضا أحاط أبي بأسباب النزول ووقف على احوال الذين نزل فيهم القرآن ، ففي قوله تعالى :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ﴾ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ ﴾ (١)

اخرج الحاكم وصححه والطبراني عن ابي بن كعب قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة وآوتهم الانصار ، رمتهم العرب عن قوس واحدة وكانوا لا يبيتون الا بالسلاح ولا يصبحون الا فيه ، فقالوا : ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف الا الله ، فنزلت :

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ... ﴾ (٢)

القراءات التفسيرية في منهج أبي بن كعب :

اضاف أبي بن كعب الى مصحفه بعض الكلمات الى النص القرآني الكريم ومراده بهذه الاضافات تفسير الآية القرآنية حتى يسهل فهم معناها ، وهذه الاضافات كما مرّ قريبا قراءات شاذة ، لا تجوز الصلاة بها لانها ليست من القرآن لأن القرآن الكريم المكتوب بين دفتي المصحف ثبت بالتواتر ، اما هذه القراءات فليست متواترة .

ولنقرأ بعض الآيات التي يبدو فيها هذا المنهج .

---

(١) سورة النور : الآية " ٥٥ ".

(٢) لباب النقول في اسباب النزول : ص ١٦٠ ، والحديث رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله ثقات . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : جـ ٧ ص ٨٣ .

أولا - الزيادات البيانية :

١ - قال تعالى : ﴿ اَللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالْاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكاةٍ فيهَا مِصْبَاحٌ اَلمِصْبَاحُ في زُجَاجَةٍ ﴾ (١)

عن ابي العالية عن أبي بن كعب في قوله تعالى ﴿ اَللهُ نُورُ السَّموات وَالْارضِ ﴾ قال : هو المؤمن جعل الله الايمان والقرآن في صدره فضرب الله مثله فقال : (اَللهُ نُورُ السَّماوَاتِ وَالْاَرْضِ) فبدأ بنور نفسه ثم ذكر نور المؤمن فقال : مثل نور من آمن به.

فكان أبي يقرؤها : (مثل نور من آمن به) فهو المؤمن جعل الايمان والقرآن في صدره . (٢)

٢ - في قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبيين مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَاَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فيمَا اخْتَلَفُوا فيهِ ﴾ (٣)

نجد أبيا يفسر هذه الآية بقوله : كانوا - اى الناس - امة واحدة حين عرضوا على آدم ففطرهم يومئذ على الاسلام واقروا له بالعبودية وكانوا امة واحدة مسلمين كلهم ، ثم اختلفوا من بعد آدم.

فكان أبي يقرأ هذه الآية (كَانَ النَّاسُ اُمَّةً وَاحِدَةً) فاختلفوا (فَبَعَثَ اللهُ النَّبيين مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ) اى : فيما اختلفوا فيه ، وان الله انما بعث الرسول وانزل الكتب عند الاختلاف . (٤)

---

(١) سورة النور : الآية " ٣٥ ".

(٢) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٢٨٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية " ٢١٣ ".

(٤) تفسير الطبرى : حـ ٤ ص ٢٧٧ .

٣ - قال تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ (١)

روى ابن جرير عن ابي العالية قال : في قراءة أبي بن كعب : (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ) والملائكة (فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ) .

قال : تأتي الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله عز وجل فيما شاء (٢)

ثانيا - الزيادات الفقهية في قراءة أبي بن كعب :

تبين الاضافة الى النص القرآني في قراءة أبي - رضي الله عنه - بعض الاحكام الفقهية ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى :

١ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً ﴾ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ (٣)

قال القرطبي : ان الفاحشة المبينة في هذه الآية البغض والنشوز (٤)

وقال الزمخشرى : ان الفاحشة المبينة ، شكاسة الخلق ، وايذاء الزوج واهله بالبذاء ، والسلاطة ، اى الا ان يكون سوء العشرة من جهتهن ، فيجوز اخذ مالهن على سبيل الخلع ويدل على هذا المعنى قراءة ابي : (الا ان يفحشن عليكم) (٥)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢١٠ ".

(٢) تفسير الطبرى : حـ ٤ ص ٢٦١.

(٣) سورة النساء : الآية " ١٩ ".

(٤) تفسير القرطبي : حـ ٥ ص ٩٥.

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل ، للزمخشرى : حـ ٤ ص ١١٩ في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ﴾ سورة الطلاق : الآية " ١ " ، وقراءة أبي (الا ان يفحشن عليكم) . ط / دار المعرفة / بيروت .

وتفسير البحر المحيط ، لابي حيان : حـ ١ ص ٢٠٣ ، ط/ دار الفكر بيروت

٢ - وفي قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ (١)

قرأ أبي : " فان أومن " رباعيا مبنيا للمفعول ، اى : آمنه النـــاس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (٢)

وروى عنه " فان ائتمن " على وزن افتعل من الامن ، اى : وثـــق بلا وثيقة صك ولا رهن . (٣)

وقراءة أبي هذه تبين حكما خاصا في موقف معين من حالات الدين .

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٨٣ ".

(٢) تفسير الزمخشرى : حـ ١ ص ٤٠٥ .

(٣) تفسير البحر المحيط ، حـ ٢ ص ٣٥٦ .

طرق الرواية عن أبـــي :

وصلنا تفسير ابي بن كعب عن طريق رواته وتلاميذه الذين نقلوا عنـــه كثيرا من التفسير ، ونجد اسانيد روايتهم عنه في كتب التفسير ومن أهم طـــرق الرواية عنه :

أولا :

طريق أبي جعفر الرازى (١) عن الربيع بن انس (٢) عن ابي العالية عن ابي بن كعب .

وهذا اسناد صحيح ، وقد أخرج ابن جرير الطبرى وابن ابي حاتـــم منها كثيرا ، وكذا الحاكم في مستدركه . (٣)

ثانيا -:

طريق وكيع (٤) عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن الطفيـــل ابن أبي بن كعب .

---

(١) ابو جعفر الرازى هو : عيسى بن ابي عيسى بن ماهان ،ولد بالبصرة ، واستوطن الرى ، قـــال ابو حاتم وابن معين : ثقة ،
ميزان الاعتدال : حـ ٣ ص ٣١٩ .

(٢) الربيع بن انس البكرى ، ويقال الحنفي البصرى ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال عنه النسائي : ليس به بأس . تهذيب التهذيب :
حـ ٣ ص ٢٣٨ .

(٣) الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٤٢ .

(٤) وكيع بن الجراح بن مليح ، ولد سنة تسع وعشرين ومائة ، قال عنه الامام احمد : مارأيت اوعى للعلم ولا احفظ من وكيع .
تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ٣٠٦ .

وهذه الطريق يخرج منها الامام احمد في مسنده ، وهي على شـرط الحسن ، لان عبد الله بن عقيل وان كان صدوقا تكلم فيه من جهة حفظه. (١)

وفاتـه :

قال ابن الجزرى : اختلف في موته - اى في موت أبي - اختلافا كثيرا ، فقيل : سنة تسع عشرة ، وقيل سنة عشرين ، وقيل سنة ثلاث وعشرين ، وقيل سنة ثلاثين ، ثم رجح كونه مات قبل مقتل عثمان بن عفان بجمعة أو شهر . (٢)

وقال ابن حجر : واثبت الاقوال على انه مات في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاثين . (٣)

---

(١) قال الترمذى : صدوق ، وتكلم فيه بعضهم من قبل حفظه ، وقال ابن حبان : ردىء الحفظ يجيء بالحديث على غير سننه ، وقال ابن خزيمة : لا أحتج به . وكان احمد بن حنبل والحميدى يحتجون بحديثه.
ميزان الاعتدال : حـ ٢ ص ٤٨٤ . راجع التفسير والمفسرون حـ١ ص ٩٣ .

(٢) غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزرى : حـ ١ ص ٣٢ .

(٣) الاصابة : حـ ١ ص ٢٦ .

ابو موسى الأشعـــــرى

ترجمتـــه :

عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بن الاشعر (١) ، صاحـــب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن الأثير :

" ذكر الواقدى : ان ابا موسى قدم مكة ، فحالف ابا احيحـــة سعيد بن العاص بن امية ، وكان قدومه مع اخوته في جماعة من الاشعريين ، ثـــم اسلم وهاجر الى ارض الحبشة " .

وقال ابوعمر : " الصحيح ان ابا موسى رجع بعد قدومه مكة ومحالفتـه من حالف من بني عبد شمس الى بلاد قومه واقام بها حتى قدم مع الاشعريين نحو خمسين رجلا في سفينة فألقتهم الريح الى النجاشي ، فوافقوا خروج جعفر (٢) وأصحابه منها ، فأتوا معهم وقدمت السفينتان معا : سفية جعفر ، وسفينـــة الاشعريين على النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح خيبر .

وقد قيل ان الاشعريين اذ رمتهم الريح في الحبشة اقاموا بالحبشـــة مدة ، ثم خرجوا عند خروج جعفر ، فلهذا ذكره ابن اسحاق فيمن هاجر الـــى الحبشة " .

---

(١) الأشعر : لقب نبت بن أدد ، لانه ولد وعليه شعر ، وهو ابو قبيلة باليمن ، منهم ابوموسى الاشعرى .
ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ٧١٩ .

(٢) هو : جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، السيرة النبويـــة لابن هشام : حـ ١ ص ٣٤٦ .

وهو معدود فيمن قرأ (١) على النبي صلى الله عليه وسلم (٢)

كان رضي الله عنه صاحب صوت حسن بالقرآن ، فقد جاء في الصحيح المرفوع : " لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود " (٣) ، وكان عمر رضي الله عنه اذا رآه قال : " ذكرنا ربنا يا أبا موسى " ، وفي رواية " شوقنا الى ربنا " (٤)

مكانته العلمية :

ابو موسى الاشعرى - رضي الله عنه - من الصحابة الذين اوتوا نصيبا من العلم ، وهذا الامر جعل عمر رضي الله عنه يقره اربع سنين على البصرة ولا يقر غيره من العمال اكثر من سنة واحدة فقد كتب في وصيته :

" لا يقر لي عامل اكثر من سنة واقروا الاشعرى اربع سنين " (٥)

----

(١) قرأ : آى القرآن الكريم .

(٢) أسد الغابة : حـ ٣ ص ٣٦٧ .

(٣) ونص الحديث كما في صحيح مسلم : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان عبد الله بن قيس او الاشعرى أعطي مزمارا من مزامير آل داود " . كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن : حـ ٦ ص ٨٠ .

(٤) الاصابة : حـ ٦ ص ١٩٤ .

(٥) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

" وكان ممن بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن ليعلموا الناس القرآن الكريم ولما ولاه عمر - رضي الله عنه - البصرة ، قال أنس رضي الله عنه : "بعثني الاشعرى الى عمر - رضي الله عنه - ، فأتيته فسألني عنه فقلت : تركته يعلم الناس ، فقال : اما انه كيس (١) ، فلا تسمعها اياه.

وقال ابو البختري : سئل علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - عن ابي موسى الاشعرى فقال : صبغ في العلم صبغه .

وقال مسروق بن الاجدع : كان العلم في ستة نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفهم اهل الكوفة : عمر وعلي وعبد الله ، وابو موسى ، وأبي ، وزيد بن ثابت " (٢)

قال الذهبي عن ابي موسى - رضي الله عنه - : أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين وكان اذا صلى الصبح استقبل الصفوف رجلا رجلا يقرئهم ". (٣)

---

(١) الكيس : خلاف الحمق ، ترتيب القاموس المحيط ، مادة (ك ى س) حـ ٤ ص ١٠٥ .

(٢) طبقات الفقهاء ، لابي اسحاق الشيرازى الشافعي : ص ٤٤ ، ط دار الرائد العربي ، بيروت : ١٩٧٠ م .

(٣) سير اعلام النبلاء : حـ ٢ ص ٣٨١ و ٣٨٩ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

يلاحظ ان كتب التفسير بالمأثور مشحونة بأقوال كثيرة لابى موسى الاشعرى ، الا أن هذه الروايات عبارة عن احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم ، بمعنى ان الاحاديث النبوية تمثل مساحة كبيرة جدا في تفسير ابي موسى الاشعرى فهو دائم الاستشهاد بها في التفسير ودائم الاستعانة بها في التوضيح ، واليك أمثلة توضح هذا :

أولا : تفسيره بالمنقول من الاقوال المصرح فيها بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١) روى ابن جرير الطبرى عن ابي بردة عن ابيه عن ابي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

ان الله يملي ، وربما قال : يمهل : الظالم ، حتى اذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ قوله تعالى في سورة هود ، الآية "١٠٢" :

* وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ *[1]

٢) وفي قوله تعالى : * وَعَلَّمَ آدَمَ * (٢)

روى ابن جرير تفسيرا لكلمة (آدَمَ) عن ابي موسى الاشعرى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض ، فجاء بنو آدم على قدر الارض ،

---

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : حـ ٨ ص ٥٣١ ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن صحيح غريب و تفسير الطبرى : حـ ١٥ ص ٤٧٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية "٣١" .

جاء منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك ، والسهل والحزن (١) ، والخبيث والطيب (٢) .

٣) وفي قوله تعالى :

﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾ (٣)

اخرج البخارى ومسلم والترمذى عن ابي موسى الاشعرى رضي الله عنه عن النبي صلى اللهعليه وسلم قال : الخيمة دره مجوفة طولها في السماء ستون ميلا ، في كل زاوية منها للموءمن اهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم الموءمن . (٤)

ثانيا :

تفسيره الموقوف عليه ، فمثله لا يقال من قبل الاجتهاد ، فهو رضي الله عنه وان لم يصرح فيه بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكمه حكم المرفوع .

١) قال تعالى في سورة البقرة :

﴿ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِى رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهاً ﴾ (٥)

---

(١) الحزن في اللغة: بفتح الحاء وسكون الزاى : اى الغليظ ، ترتيب القاموس المحيط : مادة (ح ز ن) جـ ١ ص ٦٣٦ .

(٢) تحفة الاحوذى : جـ ٨ ص ٢٩٠ وقال ابوعيسى : هذا حديث حسن صحيح ، تفسير الطبرى: جـ ١ ص ٤٨١ .

(٣) سورة الرحمن : الآية " ٧٢ " .

(٤) صحيح البخارى : جـ ٦ ص ١٨٢ ، والدرالمنثور : جـ ١ ص ١٥١

(٥) الآيـة : " ٢٥ " .

روى ابن جرير الطبرى عن ابي موسى الاشعرى قال : ان الله لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء فثماركم هذه من ثمار الجنة ، غير ان هذه تغير وتلك لا تغير . (١)

٢) وفي قوله تعالى :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢)

قال ابو موسى الاشعرى - رضي الله عنه - وهو يخطب الناس : ان ذا الكفل لم يكن نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، وكان يصلي لله كل يوم مائة صلاة ، فأحسن الله عليه الثناء في كفالته اياه . (٣)

فرواية ابي موسى - رضي الله عنه - هذه تفسر المعنى اللغوى لكلمة ذى الكفل ، كما القت الضوء على ذى الكفل ومن هو وطرقا من عمله .

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٣٩٣ .

(٢) سورة الانبياء : الآية " ٨٥ " .

(٣) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ١٩١ . وبمثل هذا القول قال مجاهد وقتادة ، وقال الحسن : هو نبي قبل الياس ، والجمهور على انه ليس بنبي ، راجع تفسير القرطبي : حـ ١١ ص ٣٢٨ .

طــرق الرواية عن ابي موسى الاشعرى :

١) طريق ابي عمران الجوني عن ابي بكر (١) بن عبد الله بن قيــــس عن أبيه .

وهذه طريق صحيحة اخرج منها الامام البخارى ومسلم.

٢) طريق يزيد بن ابي بردة عن أبي برده (٢) عن ابي موسى الاشعرى.

وهذه ايضا طريق صحيحة أخرج منها البخارى .

٣) طريق قسامة بن زهير (٣) عن ابي موسى الاشعرى .

وهذه الطريق اخرج منها الامام احمد في مسنده والترمذى فـــي جامعه وابو داود في سننه .

----

(١) ابو بكر بن ابي موسى الاشعرى الكوفي، يقال ان اسمه عمرو ويقال عامر، قال الآجرى : قلت لابي داود ، سمع ابو بكر من ابيه قال : اراه قد سمع ، وابو بكر أرضى عندهم من ابي بردة . وقال العجلي : كوفي تابعي ثقة ، وذكره ابن حبان في الثقات . مات سنة ست ومائة ، تهذيب التهذيب : حـ ١٢ ص ٤٠ .

(٢) ابو بردة بن ابي موسى ، عبد الله بن قيس بن حضار الاشعرى ، الفقيه ، العلامة ، قاضي الكوفة ، قيل ان اسمه عامر ، كان من اوعية العلم ، حجة باتفاق ، تولى قضاء الكوفة مدة ، مات سنة اربع ومائة ، سير اعلام النبلاء : حـ ٥ ص ٥ .

(٣) قسامة بن زهير المازني التميمي البصرى ، قال العجلي : بصرى تابعي ثقة ، وقال ابن سعد : كان ثقة ان شاء الله ، وذكره ابن حبان في الثقات ، توفي بعد الثمانين ، تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٣٧٨ .

وفاتـــــه :

اجتهد ابو موسى رضي الله عنه قبل موته اجتهادا شديدا ، فقيل له : لو امسكت ورفقت بنفسك ؟ قال : ان الخيل اذا ارسلت فقاربت رأس مجراها ، اخرجت جميع ماعندها ، والذى بقي من اجلي اقل من ذلك . (١)

توفي رضي الله عنه سنة اربع واربعين ، على الصحيح . (٢)

---

(١) سير اعلام النبلاء : حـ ٢ ص ٣٩٣ .

(٢) نفس المصدر والجزء : ص ٣٩٨ .

أنس بن مالـــك

ترجمتـــه :

انس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتسمى بذلك ويفتخر به ، وحق لـــه ذلك .

كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا حمزة (١) ببقلـــه كان يحبها ، خدم أنس ـ رضي الله عنه ـ النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين وهي مدة اقامته بالمدينة ، وثبت ذلك في الصحيح (٢) وحمل عنه حديثا كثيرا ، فروى الفـــي حديث ومائتين وستة وثمانين - ٢٢٨٦ - حديثا .

كان اكثر الصحابة اولادا لدعاء النبي صلى الله عليه وسلم ،ففي الصحيحين واللفظ للبخارى : (٣) عن انس رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم على ام سليم ـ يعني امه ـ ، فأتته بتمر وسمن ، فقال اعيدوا سمنكم فـــي سقائه (٤) وتمركم في وعائه فاني صائم ، ثم قام الى ناحية البيت فصلى غيـــر

----

(١) كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابا حمزة ، لان البقلة التي جناها انس كان في طعمها لذع فسميت حمزة لفعلها ، ويقال رمانه حامزة ، اى فيها حموضة. النهاية في غريب الحديث والاثر ، لابن الاثـــير : حـ ١ ص ٤٤٠ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب الاستئذان ، باب آية الحجاب : ٦٥/٨

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الصوم ، باب من زار قوما فلم يفطر عندهم : حـ ٣ ص ٥٣ .

(٤) السّقاء : جلد السخلة اذا أجذع يكون للماء واللبن ، ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ٥٨٣ مادة (س ق ى) .

المكتوبة فدعا لام سليم وأهل بيتها . فقالت يارسول الله ان لي خويصة ، قال : ماهي ، قالت : خادمك انس ، فما ترك خير آخرة ولا دنيا الا دعا بـه ، اللهم ارزقه مالا وولدا وبارك له ، قال : فاني لمن اكثر الانصار مالا . (١)

كانت له ذؤابة [٢] فأراد ان يجزها فنهته أمه وقالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يمدها ويأخذ بها . (٣)

شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرته والحج والفتح وحنينا والطائف (٤) .

وعن مولى لانس ، انه قال لانس : اشهدت بدرا ؟ فقال : لا أم لك ، واين اغيب عن بدر . (٥)

وعن موسى بن انس : ان أنسا غزا ثمان غزوات .

وقال ثابت البناني : قال ابو هريرة : مارأيت احدا اشبه بصلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من ابن ام سليم - يعني انسا - .

----

(١) تهذيب الاسماء واللغات ، للنووى ، حـ ١ من ق ١ ص ١٢٧ ، ط / دار الكتب العلمية

(٢) الذؤابة : شعر الناصية ، ترتيب القاموس المحيط : ٢/٢٤٥ .

(٣) أسد الغابة : حـ ١ ص ١٥١ .

(٤) تهذيب التهذيب : حـ ١ ص ٣٧٦ .

(٥) قال الذهبي : " لم يعده اصحاب المغازى في البدريين لكونه حضرها صبيا ، ماقاتل ، بل بقي في رحال الجيش " فهذا وجه الجمع بين عدم ذكره في البدريين وبين قوله : واين اغيب عن بدر ، سير اعلام النبلاء : حـ ٣ ص ٣٩٧ .

وقال انس بن سيرين : كان أنس بن مالك احسن الناس صلاة في الحضر والسفر .

وعن ثمامة قال : كان انس يصلي حتى تفطر (١) قدماه دما ، مما يطيل القيام - رضي الله عنه - .

وعن ثابت البناني قال : جاء قيم ارض انس ، فقال : عطشت ارضوك فقام انس وتوضأ ، ثم خرج الى البرية ، ثم صلى ، ودعا ، فثارت سحابة وغشيت ارضه ومطرت ، حتى ملأت صهريجه وذلك في الصيف ، فأرسل بعض اهله ، فقال : انظر اين بلغت ؟ فاذا هي لم تعد ارضه الا يسيرا ."(٢)

مكانته العلمية :

انس بن مالك - رضي الله عنه - احد كبار رواة الاسلام من الصحابة الذين شرفوا بتلقي العلم من النبي صلى الله عليه وسلم فحفظوه وعلموه اتباعهم من التابعين .

وكان حريصا على أن يأمر اتباعه أن يطبقوا على انفسهم العلم الذى تعلموه ويسعى دائما ليغرس في نفوس اتباعه الثقة به لينتفعوا بعلمه ، فالتلميذ ينتفع من استاذه بمقدار ثقته به .

ولهذا كان انس - رضي الله عنه - يقول لثابت البناني - وهو من الصق تلاميذه به : " ياثابت خذ عني فانك لن تأخذ عن أوثق مني ، اني أخذته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبرائيل وأخذه جبرائيل عن الله عز وجل " (٣)

---

(١) الفطر : الشق ، جمع : فطور . وتفطر تشقق . ترتيب القاموس المحيط مادة (ف ط ر) حـ ٣ ص ٥٠٣ .

(٢) سير اعلام النبلاء : حـ ٣ ص ٤٠٠ و تهذيب التهذيب : ١/ ٣٧٨ .

(٣) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : ١٠/ ٣٣٢ وقال الترمذى : هذا حديث غريب .

ولهذا عرف أهل الفضل والعلم له هذه المكانة الرفيعة " فلما استخلف ابو بكر الصديق - رضي الله عنه - بعث الى أنس بن مالك ليوجهه الى البحرين على السعاية ، فدخل عمر - رضي الله عنه - على ابي بكر ، فقال أبو بكر : اني اردت ان ابعث هذا الى البحرين على السعاية وهو فتى شاب ، فقال عمر رضي الله عنه : ابعثه فانه لبيب كاتب ، قال : فبعثه " (١)

ولما توفي - رضي الله عنه - كانت وفاته في نظر اتباعه خسارة للعلم ، قال مورق العجلي : لما توفي انس بن مالك : ذهب اليوم نصف العلم ، فقيل : وكيف ذاك يا ابا المعتبر ؟ قال : كان الرجل من أهل الأهواء اذا خالفنا في الحديث قلنا : تعال الى من سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم. (٢)

وبلغ به الورع في آخر حياته الى الامتناع في كثير من الاحيان عن التحديث ، خوفا من ان يخلط فيه فكان اذا قيل له : الا تحدثنا ؟ يقول : ان من يكثر يهجر. (٣)

----

(١) تهذيب التهذيب : حـ ١ ص ٣٧٦ .

(٢) التاريخ الكبير ، للبخارى - القسم الثاني من الجزء الاول : ص ٢٨ ، ط / دار الكتب العلمية .

(٣) سير اعلام النبلاء : حـ ٣ ص ٤٠٣ ، وقوله : يهجر من هجر في كلامه : اذا خلط فيه واذا هذى .

ترتيب القاموس المحيط : مادة (هجر) حـ ٤ ص ٤٨١

نماذج من تفسيره القرآن الكريم :

وكما مر فأنس بن مالك - رضي الله عنه - كان من اكثر الصحابة ملازمة للنبي - صلى الله عليه وسلم - خدمه سنوات طويلة ، وهذا الامر يعده اعدادا خاصا ليكون من اصحاب المنهج النقلي في التفسير . وهذا مانلاحظه في كتب التفسير بالمأثور ، فعلى الرغم من ان هذه الكتب حافلة بأقوال كثيرة لأنس رضي الله عنه ، الآ أن المتأمل فيها يجدها أحاديث مرفوعة الى النبي - صلى الله عليه وسلم - في الاغلب ، وهذا كثير ، ومنه :

١) في قوله تعالى : ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ، وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴾ (١)

اخرج البخارى (٢) واحمد والترمذى : عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وان شئتم فأقرؤا ﴿ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ ﴾ ﴿ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ﴾ (٣)

---

(١) سورة الواقعة : الآيتان " ٣٠ ، ٣١ " .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب التفسير : حـ ٦ ص ١٨٣ ، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : حـ ٩ ص ١٨٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح ، ومسند احمد : حـ ٣ ص ١٣٥ .

(٣) الدر المنثور : حـ ٦ ص ١٥٧ .

٢) وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ (١)

عن أنس - رضي الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " - في الشجرة الخبيثة - " هي الحنظلة ". (٢)

٣) وفي قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (٣)

عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لما عرج بي رأيت ادريس في السماء الرابعة " (٤)

طرق الرواية عن أنس :

يعتبر أنس بن مالك - رضي الله عنه - شيخ السادة من علماء التابعين امثال ثابت البناني ، ومحمد بن سيرين ، والحسن البصرى ، وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم كثير ممن اخذوا عنه ورووا له[1] ومن اصح طرق الرواية عن أنس .

---

(١) سورة ابراهيم : الآية " ٢٦ " .
(٢) تفسير الطبرى : جـ ١٦ ص ٥٨٥ ، تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : جـ ٨ ص ٥٤٥ .
(٣) سورة مريم : الآية " ٥٧ " .
(٤) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : جـ ٨ ص ٦٠٣ وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .
(١) ؟ ؟

أولا : طريق عبد الله بن محمد عن يونس بن محمد عن شيبان عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وهذه طريق صحيحة أخرج منها البخارى ومسلم واحمد.

ثانيا : طريق علي بن عبد الله عن ازهر بن سعد عن ابن عون عن موسى بن أنس عن أنس.

وهذه طريق صحيحة أخرج منها البخارى.

ثالثا : طريق روح بن عبد المؤمن عن يزيد بن زريع عن سعيد بن قتاده عن أنس.

وهذه ايضا طريق صحيحة اخرج منها البخارى والترمذى واحمد.

رابعا : طريق ابو النعمان عن حماد بن زيد عن ثابت عن أنس.

وهذه طريق صحيحة اخرج منها البخارى ومسلم.[1]

---

(١) ؟؟

وفاة أنس رضي الله عنه :

اختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره ، فقيل : مات سنة احدى وتسعين ، وكان عمره مائة سنة وسبع سنين ، وقيل غير ذلك.

وهو آخر من توفي بالبصرة من الصحابة ، وكان موته بقصره بالطف ، ودفن هناك على فرسخين (١) من البصرة - رضي الله عنه - . (٢)

---

(١) الفرسخ : ثلاثة اميال هاشمية ، او اثنا عشر الف ذراع ، او عشرة الاف ، ترتيب القاموس المحيط : مادة (ف ر س خ) : حـ ٣ ص ٤٦٩ .

(٢) اسد الغابة : حـ ١ ص ١٥١ .

حجية التفسير المأثور عن الصحابة :

قال النووى : " وأما قول من قال تفسير الصحابي مرفوع فذاك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية او نحوه ". (١)

قال الزركشي : " تفسير الصحابي بمنزلة المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قاله الحاكم في تفسيره ". (٢)

ولكن هناك تفصيل في هذه المسألة أورده الزركشي في البرهان :

" قال : الحق أن علم التفسير منه مايتوقف على النقل كسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم وتبيين المجمل ، ومنه مالا يتوقف ويكفي في تحصيله التفقه على الوجه المعتبر . . . واعلم أن القرآن قسمان : قسم ورد تفسيره بالنقل ، وقسم لم يرد ، والاول اما ان يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو رؤوس التابعين ، فالأول يبحث فيه عن صحة السند والثاني ينظر في تفسير الصحابي فان فسر من حيث اللغة فهم اهل اللسان فلا شك في اعتماده او بما شاهده من الاسباب والقرائن فلا شك فيه " (٣).

---

(١) تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى ، للسيوطي : ١٩٢/١ ، ط / دار الفكر .

(٢) البرهان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ١٥٧ .

(٣) حـ ٢ ص ١٧١ ، ١٧٢ .

نستخلص من هذا النص مايلي :

١ - ان مارفعه الصحابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مرفوع .

٢ - مافسره الصحابي فيما يتعلق بسبب النزول والنسخ وتعيين المبهم والمجمل مما لا دخل للرأى فيه ، فهو في حكم المرفوع .

قال ابن كثير في مقدمة تفسيره :

" ... وحينئذ اذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك الى اقوال الصحابة فانهم ادرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والاحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ولا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالائمة الاربعة الخلفاء الراشدين : والائمة المهتدين المهديين وعبد الله بن مسعود - رضي الله عنهم - " (١)

مميزات التفسير في عهد الصحابة :

١ - لم يفسر القرآن كله ، لان الصحابة رضي الله عنهم - لقرب عهدهم بالوحي ومعاصرتهم لنزوله لم يكونوا بحاجة الى ان يفسروا من القرآن الا ماغمض عليهم اذ كلما ابتعد الناس عن عصر النبوة كانوا اكثر حاجة لتفسير القرآن الكريم.

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٣ .

٢ - قلة الاختلاف بين الصحابة في فهم معانيه ، لان عقيدتهم كانت نقية واتجاهاتهم كانت موحدة وافكارهم متقاربة وخالية من التكلف .

٣ - وكانوا يكتفون بالمعنى الاجمالي ولا يلزمون انفسهم بتفهم معانيه على سبيل التفصيل وكانوا ايضا كثيرا مايقتصرون على ادراك المعنى اللغوى الذى فهموه بأخصر لفظ . فيكفي ان يفهموا من مثل قوله تعالى :

﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ (١)

انها تعداد للنعم التي انعم الله بها على عباده ، وقد تراجع عمر بن الخطاب في البحث عن الاب في قوله تعالى :

﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾

وقال : انه التكلف ياعمر (٢)

٤ - كان التفسير في هذه المرحلة جزءا من الحديث النبوى وفرعا من فروعه .

٥ - لم يكن التفسير مرتبا حسب النزول بل كانت تفاسيرهم متناثرة كما كان الشأن في رواية الحديث .

٦ - ندرة الاستنباط الفقهي من الآيات الكريمة لعدم جهلهم في الغالب بالامور الفقهية اذ كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وتطبيقه لاحكام الشرع ماثلة غضة في اذهانهم وهم الذين عاشوها مع الرسول صلى الله عليه وسلم . (٣)

---

(١) سورة : عبس : الآية " ٣١ " .

(٢) تفسير ابن كثير : جـ ١ ص ٥ .

(٣) انظر التفسير والمفسرون : جـ ١ ص ٩٧ ، ٩٨ .

الفصل الثاني

المفسرون من التابعين

المبحث الأول : تراجم لأهم أتباع عبد الله بن عباس

المبحث الثاني : تراجم لأهم أتباع عبد الله بن مسعود

المبحث الثالث : تراجم لأهم أتباع أبي بن كعب

المبحث الأول

تراجم لأهم أتباع عبد الله بن عباس

- مجاهد بن جبر
- عكرمة مولى ابن عباس
- عطاء بن أبي رَبَاح

مجاهد بن جبر

ترجمته :

مجاهد بن جبر المكي ابو الحجاج المخزومي المقرى مولى السائب بن ابي السائب ، كان مولده سنة احدى وعشرين في خلافة عمر - رضي الله عنه - .

روى عن علي وسعد بن أبي وقاص ، والعبادلة الأربعة (١) ، وأبي سعيد الخدرى ، ورافع بن خديج ، وخلق كثير .

وروى عنه : ايوب السختياني ، وعطاء ، وعكرمة ، وعمرو بن دينار وآخرون .

مكانته العلمية :

وثقه كثير من العلماء وشهدوا له بالعلم والفضل ، قال ابن معين ، وأبو زرعة عنه : " ثقة " .

وقال ابن سعد : " كان ثقة فقيها سالما كثير الحديث " .

وقال ابن حبان : " كان فقيها ورعا عابدا متقنا " .

وقال ابو جعفر الطبرى : " كان قارئا عالما " .

وقال العجلي : " مكي تابعي ثقة " .

وقال الذهبي في آخر ترجمته : " اجمعت الأمة على امامة مجاهد والاحتجاج به " .

---

(١) العبادلة الأربعة هم : عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو ، مقدمة ابن الصلاح : ص ١٤٧ ، ط : دار الكتب العلمية .

وقال عبد السلام بن حرب عن مصعب : " كان اعلمهم بالتفسير مجاهد ، وبالحج عطاء " .

وقال الفضل بن ميمون : سمعت مجاهدا يقول : " عرضت القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثين مرة " ، وفي رواية عن مجاهد ايضا قال : " قرأت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات اقف عند كل آية اسأله فيمّ نزلت وكيف كانت " (١) .

وقال الثورى عن سلمة بن كهيل : " مارأيت أحدا اراد بهذا العلم وجه الله تعالى الا عطاء وطاووسا ومجاهدا " (٢) .

وكان رحمه الله شديد الرغبة الى معرفة مالم يثبت له من تفسير الآيات .

روى انه قال : " لو اعلم من يفسر لي الآية :

* والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِسَاءِ اِلاّ مَامَلَكَتْ أيْمانُكُمْ * الى قوله :

* فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنّ * (٣) الى آخر الآية من سورة النساء ، لضربت اليه اكباد الابل " . (٤)

---

(١) يقول الدكتور الذهبي : " لا تعارض بين الروايتين لان الاخبار بالقليل لا ينافي الاخبار بالكثير ، ولعل مجاهدا عرض القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما ثلاثين مرة لتمام الضبط ودقة التجويد وعرضه بعد ذلك ثلاث مرات طلبا لتفسيره ومعرفة ماخفي من معانيه" التفسير والمفسرون : حـ ١ ص ١٠٤ .

(٢) انظر تهذيب التهذيب : حـ ١٠ ص ٤٢ ومابعدها .

(٣) الآية : " ٢٤ " .

(٤) تفسير الطبرى : حـ ٨ ص ١٦٥ .

كما كان يلتمس العلم اينما كان ويشتاق الى ان يرى الآثار التاريخية بنفسه ، وكان لا يسمع باعجوبة الا أراد روءيتها ، " قيل انه ذهب الى بئر برهوت بحضرموت" ، " وذهب الى بابل وطلب من متوليها ان يوقفه على هاروت وماروت " . (١)

تعلم التفسير من ابن عباس رضي الله عنهما ، ولزمه مدة ليقرأ عليه القرآن ، وتخصص بالتفسير ، حتى قيل انه اعلم الناس بالتفسير .

يقول ابن ابي مليكة : " رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه ، فيقول له ابن عباس : اكتب ، قال : حتى سأله عن التفسير كله . " (٢)

لذا اعتمد على تفسيره المحدثون والمفسرون وفي ذلك يقول سفيان الثورى : " اذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك " (٣) .

ويقول ابن كثير :

" مجاهد احد أئمة التابعين المفسرين ، كان من أخصاء أصحاب ابن عباس ، وكان اعلم اهل زمانه بالتفسير ، حتى قيل : انه لم يكن احد يريد بالعلم وجه الله الا مجاهد وطاووس " . (٤)

----

(١) سير اعلام النبلاء : حـ ٤ ص ٤٥٥ .
(٢) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٩٠ .
(٣) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٩١ .
(٤) البداية والنهاية لابن كثير : حـ ٩ ص ٢٢٤ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

لمجاهد - رحمه الله - تفسير كبير " وصل الينا برواية عبد الله بن أبي نجيح (١) وأخذ الطبرى من هذا التفسير حوالي سبعمائة مرة (٧٠٠) بالرواية التالية :

حدثنا محمد بن عمرو الباهلي ، قال : حدثنا ابو عاصم النبيل ، قال : حدثني عيسى بن ميمون المكي ، قال : حدثنا ابن ابي نجيح عن مجاهد .

بالاضافة الى ان بعض هذا التفسير جاء عن طريق تفاسير أخرى مثل تفسير ابن جريج ، والثورى ، ومعمر بن راشد ، وعبد الرزاق ابن همام ، وورقاء بن عمر ، وشبل بن عباد . " (٢)

ومالاحظته في اثناء قراءتي في بعض كتب التفسير بالمأثور أن مجاهدا - رحمه الله - في تفسيره لبعض الآيات القرآنية التي يبدو ظاهرها بعيدا يعمل عقله في حرية واسعة واكثار وينزلها على التشبيه والتمثيل ، ولعل هذا المسلك الذى اتبعه هو الذى جعل بعض العلماء يتقون تفسيره . (٣)

---

(١) عبد الله بن ابي نجيح ابو يسار الثقفي المكي ، من اخص الناس بمجاهد - رحمه الله - ، وثقه يحيى بن معين وغيره ، وقال ابن عيينه : هو مفتي أهل مكة بعد عمرو بن دينار ، توفي سنة احدى وثلاثين ومائة . سير اعلام النبلاء : حـ ٦ ص ١٢٥ .

(٢) تاريخ التراث : حـ ١ ص ٤٨ .

(٣) وقد مرّ في الصفحة السابقة توثيق العلماء له .

ويأخذونه بتحفظ لأنه كان يطلب الرأى كثيرا من علماء النصارى وأحبار اليهود .

ففي ميزان الاعتدال : " ان ابا بكر بن عياش قال : قلت للأعمش : مابال تفسير مجاهد مخالف ؟ أو مابالهم يتقون مجاهدا ؟ كما في رواية ابن سعد ، قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب "(١)

وان صح عن مجاهد انه كان يأخذ عن أهل الكتاب فيستبعد عنه انه تغافل عن توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله :
" لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم " و(٢) ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ (٣)

وهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما الذى بالغ في النهي عن الأخذ من اهل الكتاب ولعل أخذه عنهم كان ضمن حدود معينة.

---

(١) ميزان الاعتدال : حـ ٣ ص ٤٣٩ .
(٢) مسند احمد : حـ ٤ ص ١٣٦ ، صحيح البخارى كتاب التفسير ، سورة البقرة باب: (وقالوا اتخذ الله ولدا) حـ ٦ ص ٢٥ .
(٣) سورة البقرة : الآية " ١٣٦ ".

نماذج من تفسيره بالرأى :

١ - عند تفسير قوله تعالى من سورة القيامة :

* وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * الى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * (١)

ينقل ابن كثير تفسير مجاهد الذى فسر الآيتين بقولـه :

" تنتظر الثواب من ربها (٢) .

ويبدو أن هذا التفسير عن مجاهد هو الذى اعتمده منكروا رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة مع ان اهل السنة والجماعة مقرون برؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة. (٣)

٢ - وفي قوله تعالى من سورة البقـرة :

* وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * (٤)

ينقل ابن جرير الطبرى عند تفسير هذه الآية قول مجاهـد هذا : " مسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة وانما هو مثل ضربه الله لهم " كمثل الحمار يحمل اسفارا " (٥)

---

(١) الآيتان : " ٢٢ ، ٢٣ " .

(٢) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٤٥٠ .

(٣) سيأتي لهذا الموضوع مزيد بيان في الفصل الاول من الباب الثاني ان شاء الله .

(٤) الآية " ٦٥ " .

(٥) تفسير الطبرى : جـ ٢ ص ١٧٣ ونرى الطبرى يعلق على تفسير مجاهد في هذه الآية ويخطئه اذ يقول : " وهذا القول الذى قاله مجاهد قول لظاهر مادل عليه كتاب الله مخالف وذلك ان الله ==

٣ - وفي سورة مريم : الآيتان " ٧١ ، ٧٢ "

* وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً *

يقول مجاهد في تفسير هاتين الآيتين : " ورود المؤمنين النار هو الحمى التي تصيب المؤمن في دار الدنيا وهي حظ المؤمن من النار

== اخبر في كتابه انه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت كما اخبر عنهم أنهم قالوا لنبيهم : * أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً * سورة النساء الآية " ١٥٣ " . وان الله تعالى ذكره اصعقهم عند مسألتهم ذلك ربّهم ، وأنهم عبدوا العجل فجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وانهم أمروا بدخول الارض المقدسة فقالوا لنبيهم :
* فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ * سورة المائدة : الآية " ٢٤ " .

فابتلاهم بالتيه ، فسواء قائل قال : هم لم يمسخوا قردة ، وقد اعتبر جل ذكره انه جعل منهم قردة وخنازير - وآخر قال : لم يكن شيء مما اخبر الله عن بني اسرائيل انه كان منهم - من الخلاف على انبيائهم ، والنكال والعقوبات التي احلها الله بهم . ومن أنكر شيئا من ذلك وأقر بآخر منه ، سئل البرهان على قوله ، وعورض - فيما انكر من ذلك - بما أقرّ به ، ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو أثر صحيح .

هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة التي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه . وكفى دليلا على فساد قول ، اجماعها على تخطئته ". تفسير الطبرى : جـ ٢ ص ١٧٣ .

فلا يردها " (١)

نماذج من تفسيره اللغوى :

كان مجاهد - رحمه الله - مفسرا لغويا يشرح الالفاظ الصعبة ويفسر العبارات المشكله بما عنده من العلم بأساليب العرب واصطلاحاتهم وتضلعه في لغتهم .

وفي كثير من آثاره التفسيرية يبدو مجاهد لغويا خبيرا ، واليك بعض الأمثلة التي تدل على ذلك :

---

(١) تفسير القرطبي : حـ ١١ ص ١٣٨ ، وذكر القرطبي اقوال السلف في الورود فقال : اختلف الناس في الورود ، فقيل : الورود الدخول ، وروى عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الورود الدخول ، لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما . كما كانت على ابراهيم " - وقد عقب ابن كثير على هذا الحديث بقوله : غريب ولم يخرّجوه ، تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ١٢٣ ، - " وهذا قول ابن عباس وغيره .
وقيل الورود : الممر على الصراط ، وهذا القول مروى عن ابن عباس ايضا وابن مسعود وكعب الاحبار ، وقاله الحسن وقيل : الورود : اشراف واطلاع وقرب . ثم بعد أن ذكر أقوال العلماء في ذلك واختلافهم قال : وظاهر الورود الدخول الا أن النار تكون بردا وسلاما على المؤمنين وينجون منها سالمين " . بتصرف من تفسير القرطبي : حـ ١١ ص ١٣٦ ومابعدها .

١ - قال تعالى في سورة الحج ، الآية " ٢٩ " :

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ .

يقول مجاهد : " اعتق من الجبابرة أن يسلطوا عليه " ،

وفي رواية اخرى في تسمية البيت بالعتيق قال : " لأنه لم يرده أحد بسوء الا هلك " (١) .

٢ - وفي قوله تعالى في سورة الرعد ، الآية " ٣١ " .

﴿ أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

يقول مجاهد : أفلم : يتبين (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٢١٨ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ ١٦ ص ٤٥٤ .

تفسيره القرآن بالقرآن :

يفسر مجاهد - رحمه الله - القرآن بالقرآن :

١- ففي قوله تعالى من سورة فاطر :

﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ﴾ (١).

قال : هو كقوله : في سورة الأنعام ، الآية " ١٦٤ " :

﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ (٢)

٢ - وفي قوله تعالى من سورة العنكبوت :

﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ (٣)

يقول مجاهد - رضي الله عنه - في تفسير هذه الآية هو كقوله تعالى في سورة النحل ، الآية " ٢٥ " :

﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ﴿ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (٤)

مما تقدم يتضح ان مجاهدا - رحمه الله - في منهجه الذى اتبعه في تفسير القرآن الكريم لم يقتصر على اعمال الرأى وسؤال اهل الكتاب ، بل كان الى جانب ذلك يفسر القرآن من الناحية اللغوية على ضوء ماكان معه من معرفة لغة العرب ، وايضا يفسر القرآن بالقرآن .

---

(١) الآية " ١٨ " .

(٢) تفسير مجاهد : جـ ٢ ص ٥٣١ ، ط/ مجمع البحوث الاسلامية ، اسلام آباد .

(٣) الآية " ١٣ " .

(٤) تفسير مجاهد : جـ ٢ ص ٤٩٤ .

وفاتــــه :

اختلف المؤرخون في تاريخ وفاتــه ،

قال ابو نعيم : مات سنة اثنتين ومائة .

وقال ابن حبان : مات بمكة سنة اثنتين أو ثلاث ومائــــة وهو ساجد .

وقال يحيى القطان : مات سنة اربع ومائة . وهو الأشهر.(١)

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ١٠ ص ٤٢ .

عكرمه مولى ابن عبـــاس

ترجمتـــــه :

هو:عكرمة القرشي الهاشمي ، ابوعبد الله المدني ، مولـــــى ابن عباس - رضي الله عنهما - اصله من البربر من أهل المغرب ، كـــان لحصين بن ابي الحر العنبرى فوهبه لعبد الله بن عباس ، حيث جـــاء واليا على البصرة لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - .

روى عن جابر بن عبد الله ، والحسن بن علي بن ابي طالـــب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمـــرو ابن العاص وطائفة . (١) .

وعنـــه : ابراهيم النخعي ومات قبله ، وابو الشعثاء جابـــر ابن زيد ، والشعبي وهما من اقرانه وآخرين . (٢)

اختلاف العلماء في توثيقه :

اختلف علماء الجرح والتعديل في توثيق عكرمة - رحمه الله - فمنهـــم من وثقه وشهد له بالعلم والفضل ، ومنهم من لم يوثقه وبالتالي لم يـــرو عنه .

وفي البداية سأستعرض شهادات الموثقين له ومبلغه من العلم ،ثم اذكر ماطعن به عكرمه والرد على تلك المطاعن.

---

(١) تهذيب الكمال في اسماءالرجال : حـ ٢ ص ٩٥٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٦٤ .

شهادات الموثقين له :

كثير من العلماء النقاد اشادوا بمكانة عكرمة العلمية ووثقوه ،

وهاهي أولا : أقوال بعض العلماء في الاشادة بمكانته العلمية :

قال شهر بن حوشب وقد سأله نفر وقد قدم عكرمة ، ألا تأتيه؟

فقال : " ايتوه فانه لم تك أمة الا كان لها حبر وان مولى بن عباس حبر هذه الأمة " (١).

وقال ايوب عن عمرو بن دينار : " دفع اليّ جابر بن زيد مسائل اسأل عنها عكرمة ، وجعل يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس هذا البحر فسلوه ".

وقال سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار : " سمعت ابا الشعثاء يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا أعلم الناس . "

وقيل لسعيد بن جبير : " تعلم احدا أعلم منك ؟ قال : نعم، عكرمة " .

وقال اسماعيل بن ابي خالد سمعت الشعبي يقول : " مابقي احد أعلم بكتاب الله من عكرمة " .

وعن قتادة قال : " اعلم الناس بالحلال والحرام الحسن ، وأعلمهم بالمناسك عطاء ، واعلمهم بالتفسير عكرمة " ، وفي رواية عن قتادة : " كان عكرمة اعلمهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم " (٢)

----

(١) تهذيب الكمال : حـ ٢ ص ٩٥٠ .

(٢) المرجع السابق : حـ ٢ ص ٩٥١ .

وكان مجاهد وسعيد بن جبير يلقيان على عكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن آية الا فسرها لهما ، فلما نفد ماعندهما ، جعل يقول : انزلت آية كذا في كذا وانزلت آية كذا في كذا .

وقال سفيان بن عيينة : " سمعت ايوب يقول : لو قلت لك ان الحسن - يعني البصرى - ترك كثيرا من التفسير حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها لصدقت " .

وكان سفيان الثورى يقول بالكوفة: " خذوا التفسير عن اربعة " ، وذكر عكرمة من هؤلاء الاربعة .

وكان عكرمة يقول : " اني لأخرج الى السوق فأسمع الرجل يتكلم فيفتح لي خمسون بابا من العلم " .

وقال يحيى بن ايوب المصرى : " قال لي ابن جريج : قدم عليكم عكرمة ، قلت : بلى ، قال : فكتبتم عنه ؟ قلت : لا ، قال فاتكم ثلثا العلم " (١)

وعن ابي سلمة سعيد بن يزيد قال : سمعت عكرمة يقول : " مالكم لا تسألوني افلستم " (٢) .

من النصوص المتقدمة يتضح ان عكرمة كان صاحب مكانة عالية في تفسير القرآن الكريم شهد له العلماء بالفضل والعلم ، فقد ظل - رحمه الله - يطلب العلم اربعين سنة ولا عجب في ذلك فهو تلميذ ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) تهذيب الكمال : جـ ٢ ص ٩٥١ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء ص ٩٥٢ .

ترجمان القرآن الذى كان يضع الكبل (١) في رجله ليعلمه القــرآن والسنن ، قال عكرمة : " طلبت العلم اربعين سنة وكان ابن عباس يضع الكبل في رجلي على تعليم القرآن والسنن " (٢)

ففاق اقرانه من التابعين وبلغ في العلم مبلغا عظيما حتى انـه بين لابن عباس بعض ما أشكل عليه في القرآن الكريم ، ففي قوله تعالـى :

﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٣)

روى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس في الآية قـال : " ما أدرى أنجا الذين قالوا : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ ﴾ أم لا ؟ قال عكرمة : فلم أزل به حتى عرفته انهم قد نجوا فكساني حلة ". (٤)

ثانيا - شهادات العلماء في توثيقه :

قال حماد بن زيد : سمعت ايوب وسئل عن عكرمة كيف هـو ؟ قال : لولم يكن عندى ثقة لم أكتب عنه " .

وعن حماد بن عبد الله قال : " قيل لايوب اكنتم اوكانوا يتهمـون عكرمة ؟ قال : اما انا فلم اكن اتهمه " .

---

(١) الكبل : هو ، القيد ، ترتيب القاموس المحيط : مادة : (ك ب ل) : حـ ٤ ص ٩ .
(٢) طبقات المفسرين للداودى : حـ ١ ص ٣٨٠ ط / الأولى .
(٣) سورة الأعراف : الآية " ١٦٤ " .
(٤) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ٢٥٨ .

وقال ابو بكر المروزي ، قلت لاحمد بن حنبل : " يحتج بحديث عكرمه ؟ قال : نعم يحتج بحديثه " .

وقال عثمان بن سعيد الدارمي قلت ليحيى بن معين : " فعكرمة أحب اليك عن ابن عباس او عبيد الله بن عبد الله ؟ فقال كلاهما ، ولم يخير ، فقلت : فعكرمة او سعيد بن جبير ؟ فقال : ثقة وثقه ولم يخير. قال وسألته عن عكرمة بن خالد فقال : ثقة ، قلت : هو أصح حديثا اوعكرمة مولى ابن عباس ، فقال : كلاهما ثقتان " .

وقال العجلي : " مكي تابعي ثقة برئ مما يرميه به الناس" .

وقال البخاري : " ليس احد من اصحابنا الا وهو يحتج بعكرمة ".

وقال النسائي : ثقة .

وقال عبد الرحمن بن ابي حاتم: سألت ابي عن عكرمة مولى ابن عباس كيف هو ؟ قال : ثقة ، فقلت : يحتج بحديثه ؟ قال : نعم اذا روى عنه الثقات ، وقال : سئل أبي عن عكرمة وسعيد بن جبير ايهما اعلم بالتفسير ؟ فقال : اصحاب ابن عباس عيال على عكرمة " .

وقال ابو احمد بن عدي : " وعكرمة مولى ابن عباس لم أخرج ههنا من حديثه شيئا لان الثقات اذا رووا عنه فهو مستقيم الحديث ،الا ان يروى عنه ضعيف فيكون قد اتى من قبل الضعيف لا من قبله ،ولم يمتنع الائمة من الرواية عنه ، واصحاب الصحاح ادخلوا احاديثه اذا روى عنه ثقة في صحاحهم ، وهو اشهر من ان احتاج ان اخرج له شيئا من حديثه وهو لا بأس به " .

---

(١) تهذيب الكمال : جـ ٢ ص ٩٥٢ . بتصرف .

وقال الحاكم ابو احمد : " احتج بحديثه الأئمة القدماء لكن بعض المتأخرين اخرج حديثه من حيز الصحاح ." (١)

وقال ابن مندة في صحيحه : اما حال عكرمه في نفسه فقد عدله أمه من نبلاء التابعين فمن بعدهم وحدثوا عنه واحتجوا بمفاريده في الصفات والسنن والأحكام ". (٢)

مطاعن من لا يوثقونه :

نقل ابن حجر في - تهذيب التهذيب - ماطعن به عكرمه ونسبه الى قائليه وهذا بعض منه .

قال ابن لهيعة عن ابي الاسود : " كان عكرمة قليل العقل خفيفا ، كان قد سمع الحديث من رجلين وكان اذا سئل حدث به عن رجل ثم يسئل عنه بعد ذلك فيحدث به عن الآخر ، فكانوا يقولون ما أكذبه .

وقال مصعب الزبيري : " كان عكرمة يرى رأى الخوارج ، وزعم ان مولاه كان كذلك " .

وقال ابو خلف الخزاز عن يحيى البكاء : " سمعت ابن عمر يقول لنافع : اتق الله ويحك يانافع ولا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس ".

وروى عن سعيد بن المسيب انه كان يقول لغلامه برد : " يابرد لا تكذب عليّ كما يكذب عكرمة على ابن عباس". (٣)

---

(١) تهذيب الكمال : حـ ٢ ص ٩٥٢

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٧٢ .

(٣) نفس المصدر والجزء ص ٢٦٧ .

وقال جرير بن عبد الحميد عن يزيد بن ابي زياد : دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة مقيد على باب الحش ، قال : قلت مالهذا ؟ قال : انه يكذب على ابي ." (١)

وقال ابراهيم بن ميسرة عن طاووس : " لو ان مولى ابن عباس اتقى الله وكف عن حديثه لشدت اليه المطايا " (٢)

ويقال : انه اتفقت جنازته وكثير عزه بباب المسجد في يوم واحد فما قام اليها احد وشيع كثير عزه خلق كثير . (٣)

الرد على هذه المطاعن :

هذه المطاعن لم تكن تخفى على عكرمة - رحمه الله - ، وكان يفضل ان يواجهه بها متهموه حتى يستطيع أن يدافع عن نفسه .

قال حماد بن زيد عن ايوب : قال عكرمه : " رأيت هؤلاء الذين يكذبوني من خلفي أفلا يكذبوني في وجهي ، فاذا كذبوني في وجهي فقد والله كذبوني " (٤) .

أما قولهم : ان عكرمة كان يسمع الحديث من رجلين فاذا سئل حدث به عن واحد ، فيقولون ما أكذبه .

----

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٦٨ .

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٦٧ .

(٣) نفس المصدر والجزء : ص ٢٧١ .

(٤) نفس المصدر والجزء : ص ٢٦٧ .

فيرد عليه ، بقول حبيب بن ابي ثابت قال : " مرّ عكرمة بعطاء وسعيد بن جبير فحدثهم ، فلما قام قلت لهما : تنكران مما حدث شيئا قالا : لا " . (١)

وقول ابي اسحاق قال : " سمعت سعيد بن جبير يقول : انكم لتحدثون عن عكرمة بأحاديث لو كنت عنده ماحدث بها ، قال : فجاء عكرمة فحدث بتلك الأحاديث كلها . قال : والقوم سكوت فما تكلم سعيد ، قال ثم قام عكرمة فقالوا : يا ابا عبد الله ماشأنك ؟ قال : اصاب الحديث ". (٢)

وماقاله يحيى البكاء من ان ابن عمر قال لنافع أتق الله ولا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس فيرد عليه بالآتي :

أ - استشهاد عكرمة ببعض اصحابه على صدقه فيما يروى عن مولاه ابن عباس ، عن عثمان بن حكيم قال : " كنت جالسا مع ابي امامة بن سهل بن حنيف ، اذ جاء عكرمة ، فقال : يا ابا امامة اذكرك الله هل سمعت ابن عباس يقول ماحدثكم عكرمة عني فصدقوه فانه لم يكذب عليّ ، فقال ابو امامة : نعم " (٣)

ب - قال اسحاق بن عيسى الطباع سألت مالك بن أنس : " ابلغك ان ابن عمر قال لنافع : لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس ، قال : لا . ولكن بلغني ان سعيد بن المسيب قال ذلك لبرد مولاه " (٤)

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٦٦ .

(٢) تهذيب الكمال : حـ ٢ ص ٩٥٢ .

(٣) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٦٥ .

(٤) نفس المصدر والجزء : ص ٢٦٨ .

حـ - هذا القول من رواية يحيى البكاء ، " ويحيى البكاء متـــروك الحديث " (١) .

اما ماقاله يزيد بن ابي زياد من ان علي بن عبد الله بن عباس كــان يقيد عكرمة ويقول انه يكذب على ابـي فيرد عليه بما يلي :

يقول جابر بن زيد : " لا ينبغي ان يعرج على قول يزيـــد ابن ابي زياد ، لا نه ليس ممن يحتج بنقل مثله ، لا ن من المحال ان يجرح العدل بكلام المجروح " (٢) .

بالا ضافة الى ماقاله عباس الدورى عن ابن معين من ان ابن عبـاس مات وعكرمة عبد لم يعتق فباعه علي بن عبد الله بن عباس ثم استرده .(٣)

وماقيل من انهم لم يشهدوا جنازته ، فلعل ذلك ان ثبت كــان بسبب تطلب الامير له وتغيبه عنه حتى مات ، والذى نقل انهم شهدوا جنازه كثير ، وتركوا عكرمة لم يثبت لا ن ناقله لم يسم " (٤)

ومارمي به من الميل للخوارج ، فافتراء عليه ، قال ابن حجر : " فأما البدعة ،فان ثبتت عليه فلا تضر حديثه ، لا نه لم يكن داعية ، مــع انها لم تثبت عليه ". (٥)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، حـ ١٤ ص ٤٢٧ ؛ " هدى السارى "

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٧٢ .

(٣) نفس المصدر والجزء : ص ٢٦٥ .

(٤) نفس المصدر والجزء : ص ٢٧٣ .

(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : حـ ١٤ ص ٤٢٥ . " هدى السارى " .

هذا وقد اجمع عامة اهل العلم بالحديث على الاحتجاج بحديث عكرمة واتفق على ذلك رؤساء اهل العلم بالحديث منهم احمد بن حنبل وابن راهويه ويحيى بن معين وابو ثور ، وسئل اسحاق بن راهوية عن الاحتجاج بحديث عكرمة فقال : عكرمة عندنا امام الدنيا ، وتعجب من السوءال .

وقد روى عنه زهاء ثلاثمائة رجل من البلدان منهم زياده على سبعين رجلا من خيار التابعين ورفقائهم ، وهذه منزلة لا تكاد توجد لكثير من التابعين ، على ان من جرحه من الأئمة لم يمسكوا من الرواية عنه ولم يستغنوا عن حديثه ، وكان يتلقى حديثه بالقبول ويحتج به قرنا بعد قرن واماما بعد امام ، الى وقت الأئمة الاربعة الذين اخرجوا الصحيح وميزوا ثابته من سقيمه وخطأه من صوابه ، واخرجوا روايته ، وهم البخارى ، ومسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، فأجمعوا على اخراج حديثه واحتجوا به على ان مسلما كان اسوأهم رأيا فيه وقد اخرج عنه مقرونا وعدله بعد ما جرحه .

فعكرمة قد ثبتت عدالته بصحبة ابن عباس وملازمته اياه وبأن غير واحد من العلماء قد رووا عنه وعدلوه ، وكل رجل ثبتت عدالته لم يقبل فيه تجريح احد حتى يبين ذلك عليه بأمر لا يحتمل غيره . " (١)

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، بتصرف .

نماذج من تفسيره :

يلفت نظرنا في تفسير عكرمة - رحمه الله - السهولة في الشرح ، والعذوبة في التبسيط ، والبعد عن التعقيد ، فهو يجنح دائما الى المعنى البسيط المباشر للكلمة المراد تفسيرها من القرآن ويأتي به في صورة مرادف بسيط ودقيق فيفسر مثلا كلمة " أَنْكَالاً " في قوله تعالى :

* إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالاً وَجَحِيماً * (١)

قال : " قيودا " (٢)

ويفسر البنان في قوله تعالى :

* وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * (٣)

قال : " الاطراف ، ويقال كل مفصل " (٤)

ويفسر الارائك في قوله تعالى :

* هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ في ظِلَالٍ عَلَى الأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * (٥)

قال : هي السرر تحت الحجال ". (٦)

---

(١) سورة المزمل : الآية " ١٢ ".
(٢) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٤٣٧ .
(٣) سورة الانفال : الآية " ١٢ ".
(٤) تفسير الطبري : جـ ١٣ ص ٤٣٢ .
(٥) سورة يس : الآية " ٥٦ " .
(٦) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ٥٧٥ ، والحجال في اللغة : ج حجلة ، كالقبة وموضع يزين بالثياب والستور للعروس ، ترتيب القاموس المحيط : جـ ١ ص ٥٩٦ مادة (ح ج ل) .

كما نجد لعكرمة - رحمه الله - العديد من النظرات الفقهية الصائبة التي ضمنها تفسيره منها ماجاء في قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ إِلاَّ أَنْ يَعْفُونَ ﴾ (١)

قال : اذا طلق الرجل المرأة قبل ان يمسها وقد فرض لها ، فنصف الفريضة لها عليه ، الا ان تعفو عنه فتتركه . (٢)

وفي قوله تعالى من سورة البقرة :

﴿ وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ ﴾ (٣)

قال : " يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات ، الله اكبر ، الله اكبر " . (٤)

فهو رحمه الله يفسر الايام المعدودات بأيام التشريق ، بالاضافة الى الجانب الفقهي في تفسيره نجده يذكر سبب نزول الآية ففي قوله تعالى من سورة النحل :

﴿ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٥)

قال : " كان غلام لبني عامر بن لوى ، اظنه يقال له يعيش ، او من أهل الكتاب ، فقالت قريش : " هذا يعلم محمدا " ، صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عزّ وجل : ﴿ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٦)

----

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٧ " .

(٢) تفسير الطبرى : جـ ٥ ص ١٤٣ .

(٣) الآيـة " ٢٠٣ " .

(٤) تفسير ابن كثير : جـ ١ ص ٢٤٤ .

(٥) الآيـة : " ١٠٣ " .

(٦) تفسير سفيان الثورى : ص ١٦٧ .

وأخرج ابن جرير عن عكرمة قال : سأل اهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح ، فأنزل الله :

* وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً * (١)

فقالوا : تزعم انا لم نوءت من العلم الا قليلا ، وقد أوتينا التوراة وهي الحكمة ، " ومن يوءت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا " ،فنزلت :

* وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ * (٢) .

وفي تفسيره للآية :

* وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * (٣) .

يحكي ماحدث ليلة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة فيقول : " لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ، أمر علي بن أبي طالب فنام في مضجعه ، فبات المشركون يحرسونه ، فاذا رأوه نائما حسبوا أنه النبي صلى الله عليه وسلم فتركوه . فلما أصبحوا ثاروا اليه وهم يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم ، فاذا هم ، بعليّ ، فقالوا : اين صاحبك ؟ قال : لا ادرى ! قال : فركبوا الصعب والذلول (٤) في طلبه (٥)

---

(١) سورة الاسراء : الآية " ٨٥ " .

(٢) سورة لقمان : الآية " ٢٧ " ، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، ص ١٦٩ .

(٣) سورة الانفال : الآية " ٣٠ " .

(٤) الصعب من الابل ، هو الذى لم يركب قط ،لانه لا ينقاد لراكبه ، ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ٨٢٠ ،ونقيضه " الذلول ": وهو السهل المنقاد . ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ٢٦٥ ، مادة (ص ع ب) مادة (ذلّ) .

(٥) تفسير الطبرى : حـ ١٣ ص ٤٩٦ .

يتبين من النماذج المتقدمة ان عكرمة - رحمه الله - كـــــان عالما بتفسير القرآن الكريم فهو يفسره من الناحية اللغوية ، ويذكـــــر جانبا من اسباب النزول ، كما كان بارعا في الناحية الفقهية.

وفاتـــــه :

مات - رحمه الله - بالمدينة سنة اربع ومائة وهو ابن ثمانين سنة(١) وقيل غير ذلك .

---

(١) تهذيب الكمال في اسماء الرجال : حـ ٢ ص ٩٥٢ .

عطاء بن ابي رباح

ترجمته :

عطاء بن ابي رباح ، ابو محمد بن اسلم القرشي مولاهم المكي ، ولد سنة سبع وعشرين من الهجرة ، كان من سادات التابعين فقها وعلما وورعا ، (١)

حدّث عن عائشة ، وام سلمة ، وام هانيء ، وابي هريرة ، وابن عباس وطائفة - رضي الله عنهم - . (٢)

وروى عنه : ابنه يعقوب ، وابو اسحاق السبيعي ، ومجاهد والزهري ، وايوب السختياني ، والاعمش ، والأوزاعي ، وابن جريج ، وخلق كثير . (٣)

كان المسجد الحرام فراشه عشرين سنة ، وكان من احسن الناس صلاة . (٤)

مكانته العلمية :

كان - رحمه الله - عالما كثير الحديث ادرك مائتين من الصحابة كما قال عن نفسه : (ادركت مائتين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) (٥)

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ١٩٩ .

(٢) سير اعلام النبلاء : حـ ٥ ص ٧٩ .

(٣) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ١٩٩ .

(٤) سير اعلام النبلاء : حـ ٥ ص ٩٨

(٥) المرجع السابق : ص ٨١ .

" وقال عنه محمد بن عبد الله الديباج : مارأيت مفتيا خيرا من عطاء انما كان مجلسه ذكر الله لا يفتر فان سئل احسن الجواب .

وقال اسماعيل بن امية : كان عطاء يطيل الصمت فاذا تكلم خيل الينا انه يؤيد .

وقال عبد الله بن عباس : يا اهل مكة تجتمعون عليّ وعندكم عطاء ؟

وعن عمرو بن سعيد عن ابيه قال : قدم ابن عمر - رضي الله عنهما - مكة فسالوه ، فقال : تجمعون لي المسائل وفيكم عطاء ؟ " (١)

" وعن ابي جعفر الباقر قال : " خذوا عن عطاء ما استطعتم ".

وقال " مابقي على ظهر الأرض احد اعلم بمناسك الحج من عطاء "

وكان يقول للناس - وقد اجتمعوا - : عليكم بعطاء ، هو والله خير لكم مني ". (٢)

وروى ابراهيم بن عمر بن كيسان قال : اذكرهم في زمان بني أمية يأمرون في الحج منادبا يصيح : لا يفتي الناس الا عطاء بن أبي رباح ، فان لم يكن عطاء ، فعبد الله بن أبي نجيح .

وقال ابو حازم الأعرج : فاق عطاء أهل مكة في الفتوى.

وعن قتادة قال : قال لي سليمان بن هشام : هل بالبلد - يعني مكة - احد ؟ قلت : نعم ، اقدم رجل في جزيرة العرب علما ، فقال : من ؟ قلت : عطاء بن أبي رباح .

---

(١) تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ٩٨ .

(٢) سير اعلام النبلاء : حـ ٥ ص ٨١ .

وعن قتادة ايضا قال : اذا اجتمع لي اربعة ، لم التفت الى غيرهم ولم ابال من خالفهم : الحسن ، وابن المسيب ، وابراهيم ، وعطاء ، هؤلاء أئمة الأمصار .

وجاء اعرابي يسأل فأرشد الى سعيد بن جبير فجعل الاعرابي يقول : اين ابو محمد ؟ فقال سعيد : مالنا ههنا مع عطاء شيء .

وعن أبي حنيفة قال : مارأيت فيمن لقيت افضل من عطاء .

وقال الثوري ، عن سلمة بن كهيل : مارأيت احدا يريد بهذا العلم وجه الله غير هؤلاء الثلاثة : عطاء ، وطاووس ، ومجاهد " (١) .

منهجه في التفسير :

كان - رحمه الله - يتحرج من القول في القرآن برأيه ، فقد سئل عن مسألة فقال : لا أدري ، فقيل له الا تقول فيها برأيك ؟ قال : اني استحي من الله ان يدان في الأرض برأيي . (٢)

ولعل تحرجه من القول في القرآن برأيه كان سببا في اقلاله من الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما مع انه كان احد تلاميذه القريبين منه اذا ماقورنت بمجاهد وسعيد بن جبير - رحمهما الله - .

ولكن هذا الأمر لم يقلل من قيمته العلمية فقد انتهت اليه فتوى أهل مكة .

---

(١) سير اعلام النبلاء : حـ ٥ ص ٨١ ومابعدها . باختصار وتصرف.

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٧ ص ٢٠٤ .

نماذج من تفسيره :

لعطاء - رحمه الله - تفسير " وفيما يبدو ان هذا التفسير لم يكن كبيرا وقد استخدمه الطبرى بالرواية الآتية :

القاسم بن الحسن الهمداني (المتوفي سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٥م)
- الحسين بن داود المصيصي (المتوفي سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠ م) - حجاج بن محمد المصيصي (المتوفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م) - ابن جريج (المتوفي سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م) . كما ان الثعلبي افاد من هذه التفسير في كتابه الكشف والبيان " . (١)

أولا - تفسيره بالمنقول من الأقوال :

١ - قال تعالى : * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ * (٢) .

روى ابن جرير الطبرى عن ابن جريج قال : سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : * وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ * قال : لما نزلت سورة النساء عزل الناس طعامهم فلم يخالطوهم . قال : ثم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : انا يشق علينا ان نعزل طعام اليتامى وهم يأكلون معنا ! فنزلت : * وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُم * (٣)

---

(١) تاريخ التراث العربي : جـ ١ ص ٥١ .
(٢) سورة البقرة : الآية " ٢٢٠ " .
(٣) تفسير الطبرى : جـ ٤ ص ٣٥٢ .

٢ - وفي قوله تعالى : من سورة الأنفال : الآية " ٦٥ " :

﴿ إِنْ يَكُنْ مِنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾

قال عطاء - رحمه الله - في تفسير هذه الآية ، كان لا ينبغي لواحد أن يفر من عشرة فخفف الله عنهم . (١) وهذا هو قول ابن عباس - رضي الله عنهما - (٢)

ثانيا - تفسيره الاجتهادى :

١- قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ (٣) الآية .

قال عطاء - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : يعقوب النافله ، والنافله عطية . (٤)

٢ - وفي قوله تعالى : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ (٥)

روى الطبرى عن عبد الملك بن ابي سليمان قال : " سألت عطاء ابن ابي رباح عن قول الله جل ثناؤه : ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ﴾ قال : من لقيت من الناس فقل له حسنا من القول ". (٦)

---

(١) تفسير سفيان الثورى : ص ١٢١ .

(٢) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ٣٢٤ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية " ٧٢ " .

(٤) تفسير سفيان الثورى : ص ٢٠٢ ، ويرى ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم ان النافله : ولد الولد ، يعني ان يعقوب ولد اسحاق . ابن كثير : حـ ٣ ص ١٨٥ .

(٥) سورة البقرة : الآية " ٨٣ " .

(٦) تفسير الطبرى : حـ ٢ ص ٢٩٦ .

٣ - وفي قوله تعالى :

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (١)

عبر عطاء - رحمه الله - عن فساد هؤلاء القوم - وهم طغاة ثمود ، قوم سيدنا صالح - بأنهم كانوا يقرضون الدراهم .

يعني أنهم كانوا يأخذون منها ، وكانهم كانوا يتعاملون بها عددا كما كان العرب يتعاملون . (٢)

وفاته :

مات عطاء - رحمه الله - سنة اربع عشرة ومائة ، وقيل سنة خمس عشرة ومائة ، والأول هو المشهور . (٣)

---

(١) سورة النمل : الآية " ٤٨ " .

(٢) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ٣٦٧ .

(٣) سير اعلام النبلاء : ٥/٨٨ .

المبحث الثاني

تراجم لأهم اتباع عبدالله بن مسعود

- علقمة بن قيس
- مسروق بن الأجدع
- الحسن البصري
- قتادة بن دعامة السدوسي

علقمة بن قيس

ترجمته :

علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك بن علقمة ، كنيته ابو شبل ، " كناه بذلك عبد الله بن مسعود رضي الله عنه " (١) ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عن : عمر ، وعثمان ، وعلي ، وسعد ، وحذيفة ، وابي الدرداء ، وابن مسعود ، وابي موسى ، وعائشة ، وغيرهم .

وعنه : ابن اخيه عبد الرحمن بن يزيد بن قيس ، وابن اخته ابراهيم بن يزيد النخعي وجماعة. (٢)

مكانته العلمية :

كان علقمة من اعلام الهدى والتقى والورع والاستقامة ، قال عنه الامام احمد : " ثقة من اهل الخير " .

وقال عثمان بن سعيد : قلت لابن معين علقمة احب اليك أوعبيدة ؟ (٣) فلم يخبر . قال عثمان : كلاهما ثقة ، وعلقمة أعلم بعبد الله (٤) .

---

(١) الطبقات الكبرى : حـ ٦ ص ٨٦ .
(٢) تهذيب التهذيب : حـ ١ ص ٢٧٦ .
(٣) هو : عبيدة بن عمرو السلماني المرادي الكوفي ، سبق التعريف به في الفصل الأول ص (٦٨) .
(٤) تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٢٧٧ .

قال الامام الذهبي : " كان فقيها اماما بارعا طيب الصوت بالقرآن ، ثبتا فيما ينقل صاحب خير وورع . كان يشبه ابن مسعود في هديه ودله وسمته وفضله " (١)

قال قابوس بن ابي ظبيان قلت لأبي : لأى شيء كنت تدع الصحابة وتأتي علقمة ؟ قال : " ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألون علقمة ويستفتونه " .

وقال عبد الرحمن بن يزيد : قال ابن مسعود : " ما أقرأ شيئا وما أعلم شيئا الا وعلقمة يقرؤه ويعلمه " . (٢) قيل يا أبا عبد الرحمن : " والله ماعلقمة بأقرئنا " قال بلى انه والله لا قرؤكم " .

وكان علقمة يقول لاصحابه : " امشوا بنا نزدد ايمانا - يعني يتفقهون - " (٣) .

كان - رحمه الله - " يقرأ القرآن في خمس أو ست ليال ، وكان حسن الصوت جيد التلاوة ، حتى انه كان يقرأ على عبد الله بن مسعود ، وفي حجر عبد الله المصحف فيعجب ابن مسعود من قراءته فيقول له : رتل فداك ابي وامي " (٤)

----

(١) تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ٤٨ .
(٢) المرجع السابق : حـ ١ ص ٤٨ .
(٣) حلية الأولياء : حـ ٢ ص ٩٩ .
(٤) الطبقات الكبرى : حـ ٦ ص ٩٠ .

قال منصور عن ابراهيم : كان اصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس ويعلمونهم السنة ويصدر الناس عن رأيهم ستة. علقمة والاسود وذكر الباقين .

وقال غالب ابو الهذيل ، قلت لابراهيم : اعلقمة كان افضل أو الاسود ، فقال : علقمة.

وقال مرة الهمداني : كان علقمة من الربانيين (١)

كان علقمة يتوقى الشهرة ، فقد قال له الصحابة : " لو صليت في المسجد وتجلس ونجلس معك ، فنسأل ؟ قال : اكره ان يقال : هذا علقمة " (٢)

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٢٧٧ .
(٢) الطبقات الكبرى : حـ ٦ ص ٨٨ .

نماذج من تفسيره :

نرى لعلقمة بن قيس نظرات تفسيرية فقهية متناثرة لا يجمعها الا رباط من الاجتهاد الصائب ، ولابد من وجود هذه النظرات الفقهية في ذلك الوقت والذى لم يزل مبكرا ، وذلك تأثرا بنشاط استاذه ابن مسعود رضي الله عنه الذى كان له بلا شك صداه في كافة الدوائر العلمية في ذلك العصر ، واليك بعض النماذج :

١) روى ابن جرير عن علقمة في قوله تعالى :

* فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ * فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ *(١) قال : " اذا أهل الرجل بالحج فأحصر، بعث بما استيسر من الهدى ، شاة . فان عجل قبل ان يبلغ الهدى محله - حلق رأسه ، أو مس طيبا ، او تداوى - كان عليه فدية من صيام أو صدقة او نسك ، والصيام ثلاثة ايام ، والصدقة ثلاثة آصع (٢) على ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع ، والنسك شاة "(٣)

----

(١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ ".

(٢) الصاع : الذى يكال به وتدور عليه احكام المسلمين وهو اربعة امداد كل مد رطل وثلث والرطل اربع حفنات بكفي الرجل المعتدل الكفين ، ترتيب القاموس المحيط : ج ٢ ص ٨٦٧ .

(٣) تفسير الطبرى : ج ٤ ص ٧٢

٢) وفي قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ ﴾ (١)

روى ابن جرير الطبري عن علقمة في (الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ) ، قال : الولي (٢) .

٣) وفي قوله تعالى :

﴿ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ﴾ (٣)

قال : " اذا برأ الرجل فمضى من وجهه ذلك حتى أتى البيت ، حل من حجه بعمرة ، وكان عليه الحج من قابل ، وان هو رجع ولم يتم الى البيت من وجهه ذلك ، فان عليه حجة وعمرة ود ما لتأخيره العمرة ، فان هو رجع متمتعا في اشهر الحج ، فان عليه ما استيسر من الهدى ، شاه ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجع " (٤)

الامثلة المتقدمة بينت بعض النواحي الفقهية في تفسير علقمة ـ رحمه الله ـ وقد اقتصرت على بيان هذه الناحية لانها الغالبة في تفسيره .

وفاتــــه :

مات سنة احدى وستين من الهجرة ، وله من العمر تسعون عاما (٥) وقيل غير ذلك في تاريخ وفاته وعمره .

---

(١) الآية " ٢٣٧ " .

(٢) تفسير الطبرى : حـ ٥ ص ١٤٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .

(٤) تفسير الطبرى : حـ ٤ ص ٨٩ .

(٥) تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٢٧٨ .

مسروق بن الأجدع

ترجمته :

هو مسروق بن الأجدع بن مالك بن أمية بن عبد الله بن وداعه الهمداني الوداعي الكوفي العابد من كبار التابعين ، يكنى بأبي عائشة قال مسروق قال لي عمر : ما اسمك ؟ قلت : مسروق بن الاجدع . قال : الاجدع شيطان ، انت مسروق بن عبد الرحمن .

روى عن ابي بكر الصديق ، وعمر وعثمان وعلي ، ومعاذ بن جبل ، وخباب بن الارت ، وابن مسعود ، وابيّ بن كعب ، وجماعة.

وروى عنه ابن اخيه محمد بن المنتشر بن الاجدع ، وابو وائل ، وابو الضحى والشعبي وابراهيم النخعي وغيرهم (١)

مكانته العلمية :

ادرك - رحمه الله - الصدر الاول من الصحابة وروى عنهم - كما سبق - ولكنه كان مكثرا عن ابن مسعود ، روى عنه الكثير ، وكان اعلم اصحاب ابن مسعود ، سئل الشعبي عن مسألة فقال : " مارأيت احدا اطلب للعلم في أفق من الآفاق من مسروق " .

وقال الشعبي : خرج مسروق الى البصرة الى رجل يسأله عن آية ، فلم يجد عنده فيها علما ، فأخبر عن رجل من أهل الشام ، فقدم علينا ههنا ، ثم خرج الى الشام الى ذلك الرجل في طلبها ." (٢)

وقال ايضا : " كان مسروق اعلم بالفتوى من شريح وكان شريح اعلم بالقضاء . "

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ١٠ ص ١٠٩ .

(٢) حلية الاولياء : حـ ٢ ص ٩٦ .

وذكره منصور بن المعتمر عن ابراهيم ، في اصحاب ابن مسعود الذين كانوا يعلمون الناس السنة . " (١) .

" وكان شريح يستشير مسروقا " (٢) ، وهذا يدل على أن ثقة القاضي شريح كبيرة في علم مسروق ومقدرته " .

كما كان - رحمه الله - كثير العبادة ، مجهد نفسه فيها ، " روى انس بن سيرين عن امرأة مسروق انه كان يصلي حتى تورم قدماه."

وقال شعبة : " حج مسروق فلم ينم الا ساجدا " (٣)

توثيق العلماء له :

وثقه كثير من العلماء النقاد وشهدوا له بالعلم والفضل .

قال عنه ابن عيينة : " مسروق بعد علقمة لا يفضل عليه احد . "

وقال علي بن المديني : " ما اقدم على مسروق من اصحاب عبد الله احدا " . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : " كان من عباد أهل الكوفة " .

وقال عنه اسحاق بن منصور : " لا يسئل عن مثله " .

وقال العجلي : " كوفي تابعي ثقة ، وكان احد اصحاب عبد الله الذين يقرئون ويفتون " .

وقال ابن سعد : " كان ثقة وله احاديث صالحة . " (٤)

----

(١) تهذيب التهذيب : جـ ١٠ ص ١١٠ .

(٢) الطبقات الكبرى : جـ ٦ ص ٨٣ .

(٣) تهذيب التهذيب: جـ ١٠ ص ١١٠ .

(٤) المصدر السابق : جـ ١٠ ص ١١٠ - ١١١ .

نماذج من تفسيره :

استفاد مسروق - رحمه الله - في تفسير القرآن الكريم من علمه بأسباب النزول فكان كثيرا مايذكر سبب نزول الآية ، ففي قوله تعالى :

* لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ * (١).

اخرج ابن جرير عنه قال : " تفاخر النصارى واهل الاسلام، فقال هؤلاء : نحن افضل منكم ، وقال هؤلاء : نحن أفضل منكم ، فأنزل الله قوله تعالى في سورة النساء : الآية " ١٢٣ " :

* لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ * (٢)

وفي قوله تعالى : * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ * (٣).

اخرج ابن ابي حاتم عن مسروق قال : قال اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ماينبغي لنا ان نفارقك فانك لو قدمت لرفعت فوقنا ، ولم نرك فأنزل الله :

* وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ .. * الآية (٤)

وفي قوله تعالى في سورة الأنبياء :

* وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ * (٥)

---

(١) سورة النساء : الآية " ١٢٣ " .

(٢) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٨٣ .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٣ " .

(٤) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٧٤ .

(٥) الآيتان : " ٧٨ ، ٧٩ " .

يقول : الحرث عنب (إِذْ نَفَشَتْ فيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ) قال ، بالليل ، فحكم فيها داود عليه السلام أن تدفع اليهم الغنم ، قال سليمان : ماقال داود ؟ قالوا : دفع اليهم الغنم . فقال : لوكنت انا ، لم ادفعها ، ولكن كنت اجعلها لهم ينتفعون بأصوافها وألبانها وسمنها ، ويقوم اصحاب الغنم بالحرث ، حتى يصيرونه الى مثل ماكان ، ثم ترد عليهم الغنم ويردون الحرث على اربابه . فأنزل الله عزّ وجل :
* فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيمانَ * (١)

فهو في هذا المثال الأخير يفسر نوع الحرث بقوله : انه العنب ويحكى ماحكم به داود عليه السلام ومادار من حديث بين سيدنا سليمان عليه السلام وبين القوم .

ونجد مسروقا - رحمه الله - لا يكتفى في تفسيره لآى القرآن الكريم بذكر سبب النزول فحسب بل يفسر الآى ايضا بذكر شيء من امور الآخرة ، ففي قوله تعالى من سورة البقرة :

* وَبَشِّرِ الَّذينَ آمنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ * (٢) .

يقول : نخل الجنة نضيد (٣) من اصلها الى فرعها ، وثمرها أمثال القلال ، كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى ، وماؤها يجرى في غير اخدود " (٤)

---

(١) سورة الأنبياء : الآية " ٧٩ " ، تفسير سفيان الثورى : ص٢٠٢
(٢) الآية " ٢٥ " .
(٣) نضيد : يقال : نضدت المتاع بعضه على بعض القيته فهو منضود ونضيد ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ص ٤٩٦ ، ط / دار المعرفة .
(٤) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٣٨٤ .

وهو كما مر كان مكثرا عن ابن مسعود رضي الله عنه ، فنجده ينقل تفسيره للآية : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ، قَالُوا : مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ، قَالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ (١)

يقول : سئل ابن مسعود عن هذه الآية : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ﴾ فقال : رفه عن قلوبهم ، ثم يكمل مسروق - رحمه الله - تفسير الآية بقوله : اذا تكلم الله بالوحي ، سمع اهل السماوات صلصلة كصلصلة الحديد على الصفوان (٢) فيفزعون فيخرون سجدا ويظنون انه من امر الساعة فاذا رفه عن قلوبهم ، ينادوا :

﴿ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا : الحَقَّ . وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ ﴾ (٣)

ويسأل ابن مسعود عن قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (٤)

فيقول ابن مسعود رضي الله عنه : " ارواح الشهداء عند الله كطير خضر ، تأوى الى قناديل معلقة بالعرش ، تسرح في الجنة حيث شاءت .... " (٥)

---

(١) سورة سبأ : الآية " ٢٣ " .

(٢) الصفوان : الحجر الصلد الضخم ويسمى صفاه ، ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ٨٣٤ ، مادة (ص ف و) .

(٣) سورة سبأ : الآية " ٢٣ " ، تفسير سفيان الثورى : ص ٤٢٣

(٤) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ " .

(٥) تفسير سفيان الثورى : ص ٧ .

وهو ايضا لا يكتفي بالسؤال عن تفسير الآية بل يفسر قولـــه تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ ﴾ (١)

بقوله : " المحافظة عليها : المحافظة على وقتها ، وعـدم السهو عنها " (٢)

وفاتـــه :

مات - رحمه الله - سنة ثلاث وستين من الهجرة (٣) علـــى الأشهر .

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٨ " .

(٢) تفسير الطبري : حـ ٥ ص ١٦٨ .

(٣) تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ٥٠ .

الحسن البصـــرى

ترجمتــــه :

" الحسن بن ابى الحسن البصرى ابو سعيد ، واسم ابى الحسن يسار ، مولى الانصار ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر - رضي الله عنه -.

وروى ان امه كانت خادمة لام سلمة زوج رسول الله صلى الله عليـــه وسلم ، وربما بعثتها في حاجة فيبكي الحسن فتناوله ثديها ، فرأوا ان تلك الحكم التي رزقها من بركات ذلك .

وروى ان ام سلمة اخرجته الى عمر - رضي الله عنه - فدعا لـــه فقال : " اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس " (١) .

روى عن أبيّ بن كعب وسعد بن عبادة ، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهم - ولم يدركهم .

وروى عنه : حميد الطويل ، وايوب ، وقتادة ، وعوف الاعرابي ، وبكر بن عبد الله المزني (٢) .

---

(١) طبقات الفقهاء : ص ٨٧ .

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٢ ص ٢٦٤ .

مكانته العلمية :

شهد له العلماء بغزارة العلم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم واحكام الحلال والحرام.

" سئل انس بن مالك عن مسألة ، فقال : سلوا مولانا الحسن فأنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا .

وقال ابو قتاده العدوى : الزموا هذا الشيخ يعني الحسن ، فما رأيت أحدا اشبه رأيا بعمر بن الخطاب منه .

وروى بلال بن ابي برده قال : سمعت ابي يقول : والله لقد ادركت اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما رأيت احدا اشبه باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من هذا الشيخ ، يعني الحسن . (١)

وقال علي بن زيد : ادركت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب، وذكر آخرين ثم قال : فلم أر مثل الحسن ، ولو ان الحسن ادرك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رجل لاحتاجوا الى رأيه . (٢)

وقال مطر الوراق : كان جابر بن زيد رجل اهل البصرة ، فلما ظهر الحسن كان كأنما جاء من الاخرة فهو يخبر عما رأى وعاين .

وقال ابو عوانة عن قتادة : ماجالست فقيها قط الا رأيت فضل الحسن عليه .

---

(١) طبقات الفقهاء : ص ٨٧ .

(٢) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

وقال بكر المزني : من سره ان ينظر الى اعلم عالم ادركناه في زمانه فلينظر الى الحسن فما ادركنا الذى هو اعلم منه .

وقال ابو جعفر الرازى عن الربيع بن انس : اختلفت الى الحسن عشر سنين او ماشاء الله فليس من يوم الا سمع منه مالم يسمع قبل ذلك .

وكان اذا ذكر عند ابي جعفر يعني الباقر قال : ذاك الذى يشبه كلامه كلام الانبياء .

وقال محمد بن سعد : كان الحسن جامعا عالما رفيقا ثقة مأمونا عابدا ناسكا كثير العلم فصيحا جميلا وسيما .

وقال العجلي : تابعي ثقة رجل صالح صاحب سنة. (١)

نماذج من تفسيره :

أقواله في التفسير المنقول :

قال تعالى في سورة البقرة :

* وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ * (٢)

روى ابن جرير الطبرى عن عكرمة والحسن البصرى قالا :

* وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ *

---

(١) تهذيب التهذيب : جـ ٢ ص ٢٦٣ .

(٢) الآية " ٢٤٠ " . ونلاحظ ان هذه الآية منسوخة وقد تأخرت في ترتيب الآيات عن الآية الناسخة * وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا * سورة البقرة الآية "٢٣٤" ، فالمنسوخ يتقدم على الناسخ نزولاً اما في ترتيب المصحف فقد يأتي الناسخ قبل المنسوخ

نسخ ذلك بآية الميراث ومافرض لهن فيها من الربع والثمن ، ونسخ اجل الحول أن جعل أجلها اربعة اشهر وعشرا " (١)

وفي قوله تعالى :

﴿ وَلاَ تَتَخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُواً ﴾ (٢)

قال الحسن : هو الرجل يطلق ويقول : كنت لاعبا او يعتق أو ينكح ويقول كنت لاعبا فأنزل الله : ﴿ وَلاَ تَتَخِذُوا آيَاتِ اللّهِ هُزُواً ﴾ فالزم الله بذلك . (٣)

ثانيا - تفسيره الاجتهادى :

١ - قال تعالى : ﴿ لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِسَاءَ مَالَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْتَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةًوَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٤)

كان الحسن يقول : لكل مطلقة متاع دخل بها اولم يدخل بها وان كان قد فرض لها .

وسئل عن رجل طلق امرأته قبل ان يدخل بها ، وقد فرض لها هل لها متاع ؟ قال : نعم والله ! فقيل للسائل أوما تقرأ هذه الآية :

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٥ ص ٢٥٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٢٣١ " .

(٣) تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٢٨١ .

(٤) سورة البقرة : الآية " ٢٣٦ " .

﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَافَرَضْتُمْ ﴾ (١)

قال : نعم والله ! (٢) .

٢ - وفي قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ (٣)

روى ابن ابي حاتم عن اياس بن معاوية لما استقضى اتاه الحسن فبكى ، فقال : ما يبكيك ؟ قال : يا ابا سعيد بلغني أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ، ورجل مال به الهوى فهو في النار ، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة ، فقال الحسن البصرى: ان فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والانبياء حكما يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم ، قال الله تعالى :

﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾

فأثنى الله على سليمان ولم يذم داود . (٤)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٧ " .

(٢) تفسير الطبرى : جـ ٥ ص ١٢٥ .

(٣) سورة الأنبياء : الآيتان " ٧٨ ، ٧٩ " .

(٤) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ١٨٦ .

٣ - وفي قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرةِ حَسَنَةً ﴾ (١)

قال الحسن في قوله تعالى : ﴿ آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ ،
أى : الرزق الطيب والعمل النافع في الدنيا ، ﴿ وفي الاخِـــــرةِ حَسَنَةً ﴾ ، أى : الجنة . (٢)

٤ - وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَطْعِمُوا القَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ﴾ (٣) .

قال : (القَانِعَ) : هو المتعفف الذى لا يسأل .

(والْمُعْتَرَّ) : الذى يتعرض لك . (٤)

وفاتـــــه :

مات بالبصرة سنة عشر ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة. (٥)

----

(١) الآية : " ٢٠١ "
(٢) تفسير سفيان الثورى : ص ٦٥ .
(٣) سورة الحج : الآية " ٣٦ " .
(٤) تفسير سفيان الثورى : ص ٢١٤ .
(٥) طبقات الفقهاء : ص ٨٧ .

قتادة بن دعامة السدوسي

ترجمته :

هو : قتادة بن دعامة بن قتادة بن سدوس ، ابو الخطاب السدوس البصرى ، ولد سنة احدى وستين من الهجرة .

روى عن أنس بن مالك ، وعبد الله بن سرجس وابي الطفيل ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة ، وجابر بن زيد والحسن البصرى ومحمد ابن سيرين وغيرهم .

وعنه : ايوب السختياني ، وحماد بن سلمة ، والاوزاعي ، والليث بن سعد ، وابو عوانة وآخرون (١)

مكانته العلمية :

كان - رحمه الله - قوى الحافظة شهد له معاصروه بذلك ، قال عمر بن عبد الله : " لما قدم قتادة على سعيد بن المسيب " جعل يسأله أياما وأكثر فقال له سعيد اكل ماسألتني عنه تحفظه ؟ قال : نعم ، سألتك عن كذا فقلت فيه كذا ، وسألتك عن كذا فقلت فيه كذا ، وقال فيه الحسن كذا ، حتى رد عليه حديثا كثيرا ، قال : فقال سعيد : ماكنت اظن ان الله خلق مثلك " .

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٣٥١ .

وشهد له ابن سيرين بقوة الحافظة ايضا فقال : " قتادة احفظ الناس " (١)

وقال معمر : " قال قتادة لسعيد بن ابي عروبة : يا أبا النضر خذ المصحف ، قال : فعرض عليه سورة البقرة فلم يخطيء فيها حرفا واحدا ، وقال : فقال : ياأبا النضر احكمت ؟ قال : نعم ، قال لأنا لصحيفة جابر بن عبد الله احفظ مني لسورة البقرة ، قال : وكانت قرئت عليه ". (٢)

وبجانب قوته الحافظة فقد كان على مبلغ عظيم من العلم ، حتى قال فيه سعيد بن المسيب : " ما أتاني عراقي أحسن من قتادة ". (٣)

قال معمر : " قيل للزهرى : اقتادة اعلم عندك ام مكحول "(٤) ؟ قال : لا بل قتادة ، ماكان عند مكحول الا شيء يسير .

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : حـ ٧ ص ٢٢٩ .

(٣) تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٣٥٣ .

(٤) هو : مكحول بن عبد الله ، ابوعبد الله ، من سبى كابل ، وكان معلم الامام الأوزاعي .

قال الزهرى : العلماء أربعة ، سعيد بن المسيب بالمدينة ، وعامر الشعبي بالكوفة ، والحسن بن ابي الحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام ، مات سنة ثمان عشرة ومائة وقيل : ثلاث عشرة ، طبقات الفقهاء ، للشيرازى : ص ٧٥ .

وقال معمر ايضا : " كنا نجالس قتادة ونحن احداث ، فنسأل عن السند فيقول مشيخه حوله : مه ان ابا الخطاب سند ، فيكسرونا عن ذلك ". (١)

وقال ابو حاتم :

" سمعت احمد بن حنبل وذكر قتاده فأطنب في ذكره ، فجعل ينشر من علمه وفقهه ومعرفته بالاختلاف والتفسير ووصفه بالحفظ والفقه وقال : قلما تجد من يتقدمه اما المثل فلعل ". (٢)

توثيق العلماء لـه :

وثقه كثير من العلماء وشهدوا له بالعلم والفضل .

قال ابن سعد : " كان ثقة مأمونا حجة في الحديث، كان يقول بشيء من القدر " . ولعل هذا الامر جعل بعض الرواة يتحرجون من الرواية عنه .

وقال ابن حبان في الثقات : " كان من علماء الناس بالقرآن والفقه ومن حفاظ اهل زمانه " .

وقال يحيى بن معين : " ثقة " .

وقال ابو زرعة : " قتادة من اعلم اصحاب الحسن " .

وقال ابو حاتم : " اثبت اصحاب انس الزهرى ثم قتادة "(٣)

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد : حـ ٧ ص ٢٣٠ .

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٨ ص ٣٥٤ .

(٣) نفس المصدر والجزء : ص ٣٥٥ .

منهجه في التفسير :

كان قتادة - رحمه الله - متمسكا أشد التمسك بالسلفية والبعد عن الرأى في تفسير القرآن الكريم ، وفي ذلك يقول :

" ما أفتيت بشيء من رأى منذ عشرين سنة " (١)

وفي رواية أخرى يقول ابو هلال : " سألت قتادة عن مسألة ، فقال : لا أدرى ، فقلت : قل برأيك ، قال : ماقلت برأى منذ اربعين سنة " (٢)

ويبدو ان قتادة " كان له تفسير كبير الحجم ؛ ذلك لأن الطبرى ذكر الرواية عن قتادة اكثر من ثلاثة آلاف مرة (٣٠٠٠) بهذه الرواية : حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة " (٣) .

نماذج من تفسيره :

أولا - اقواله في التفسير المنقول :

١ - قال تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴾ (٤)

قال قتادة رضي الله عنه : قيل لعائشة - رضي الله عنها - : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر ؟

---

(١) طبقات المفسرين ، للداودى : حـ ٢ ص ٤٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ، لابن سعد : حـ ٧ ص ٢٢٩ .

(٣) تاريخ التراث العربي : حـ ١ ص ٥٢ .

(٤) سورة يس : الآية " ٦٩ " .

قالت رضي الله عنها : كان ابغض الحديث اليه غير أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل ببيت اخي بني قيس فيجعل اوله آخره ، وآخره أوله ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : ليس هذا هكذا يارسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اني والله ما أنا بشاعر وما ينبغي لي " (١)

٢ - وفي قوله تعالى :

* وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ * (٢)

نجده يفسر هذه الآية بقول ابن عباس فيقول : " كان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول : الآيات التسع : يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدهر ، والسنين في بوادبهم ومواشيهم ، ونقص من الثمرات في امصارهم " (٣)

فقد أتى بكلام ابن عباس ليفسر به معنى الآيات التسع .

٣ - وفي قوله تعالى :

* وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ * (٤)

عن معمر عن قتادة قال : كان المسلمون يسبون أصنام الكفار فيسب الكفار الله ، فأنزل الله :

* وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ .. * الآية (٥)

----

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٥٧٩ ، انظر تحفة الاحوذى ، كتاب الاستئذان والآداب ، باب ماجاء في انشاد الشعر : حـ ٨ ص ١٤٠ وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) سورة الاسراء : الآية " ١٠١ "

(٣) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٦٦ .

(٤) سورة الأنعام : الآية " ١٠٨ "

(٥) لباب النقول في اسباب النزول ، وتفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ١٦٤

ثانيا - تفسيره الفقهي :

نجد لقتادة - رحمه الله - كثيرا من التفسيرات الفقهية المبنية على نظر واع وايمان قوى ؛ فهو تلميذ نجيب لمدرسة الفقه التي أرسى اساسها عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - واليك بعض الأمثلة التي توضح ذلك :

١ - في قوله تعالى :

﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ﴾ (١)

يروى ابن جرير الطبرى عن قتادة في قوله : ﴿ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ ﴾ (٢) ان الله تبارك وتعالى كره الضرار في الحياة وعند الموت ، ونهى عنه ، وقدم فيه ، "فلا تصلح مضارة في حياة ولا موت" (٣)

٢ - وفي قوله تعالى من سورة النساء :

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ (٤)

قال قتادة : " ردوا ذلك الحكم الى كتاب الله أو الى رسوله صلى الله عليه وسلم بالسؤال في حياته ، اوبالنظر في سنته بعد وفاته" (٥)

---

(١) سورة النساء : الآية " ١٢ " .
(٢) سورة النساء : الآية " ١٢ "
(٣) تفسير الطبرى : جـ ٨ ص ٦٥ .
(٤) الآيــة : " ٥٩ " .
(٥) تفسير القرطبي : جـ ٥ ص ٢٦١ .

٣ - وفي قوله تعالى من سورة البقرة :

﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾ (١)

يروى ابن جرير الطبرى عن قتادة في هذه الآية قال : هـذا رجل اصابه خوف أو مرض أو حابس حبسه عن البيت ، يبعث بهديه ، فاذا بلغ محله صار حلالا ، فان أمن أو برأ أو وصل الى البيت فهي له عمرة ، وأحلّ ، وعليه عام قابل وان هو لم يصل الى البيت حتى يرجع الى اهله ، فعليه عمرة وحجة وهدى . ثم قال : وهي المتعة التي لا يتعاجم (٢) الناس فيها أن اصلها كان هكذا " (٣)

وفاتـه :

مات - رحمه الله - سنة ثمان عشرة ومائة وهو ابن ست او سبع وخمسين سنة (٤) وقيل غير ذلك في تاريخ وفاته وعمره .

---

(١) الآيـة : " ١٩٦ ".
(٢) قوله : "لايتعاجم الناس . . " اى : لا يشك الناس ولا يتنازعون ولا يختلفون في بيانها ، واصل هذا الحرف من قولهم: "استعجم عليه الامر " ، اى : استبهم والتبس ، لسان العرب : حـ ٢ ص ٦٩٨ .
(٣) تفسير الطبرى : حـ ٤ ص ٢٢ وص ٩٠ .
(٤) تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ١٢٣ .

المبحث الثالث

تراجم لأهم أتباع أبي بن كعب

- أبو العاليه رفيع بن مهران الرياحي .
- محمد بن كعب القرظي .
- زيد بن أسلم .

ابو العالية الرياحي

ترجمته :

هو : رفيع بن مهران ابو العالية الرياحي ، مولاهم البصري ، أدرك الجاهلية وأسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين ، ودخل على ابي بكر الصديق وصلى خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

روى عن علي بن ابي طالب وابن مسعود وابي موسى الاشعري ، وابي ايوب وابي بن كعب وجماعة . (١)

مكانته العلمية :

من التابعين الذين وثق في علمهم بالقرآن وتفسيره ،

قال عنه " ابن معين وابو زرعة ، وابو حاتم : ثقة ، وقال ابن ابي داود : ليس احد بعد الصحابة اعلم بالقراءة من ابي العالية" (٢)

" أخذ القرآن عن زيد بن ثابت ، وابن عباس ، وعرضه على عمر ، وعن الربيع بن انس انه قرأ على ابي العاليه " (٣) قال : " وقرأ ابو العالية على أبي بن كعب .

ومن قرأوا عليه شعيب بن الحبحاب ، والحسن بن الربيع بن أنس ، والاعمش ، وغيرهم ." (٤)

---

(١) تهذيب التهذيب : حـ ٣ ص ٢٨٤ .

(٢) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء : حـ ١ ص ٢٥١ .

(٣) غاية النهاية في طبقات القراء : حـ ١ ص ٢٨٤ .

(٤) حلية الاولياء : حـ ١ ص ٢٥١ .

منهجه في التفسير :

ذكر السيوطي في الاتقان ان ثمة نسخة كبيرة في التفسير رواها " ابو جعفر الرازى عن الربيع بن انس عن ابي العاليه عن أبي بن كعب ، وقد أخرج منها ابن جرير الطبرى في تفسيره ، وابن ابي حاتم كثيرا ، كما أخرج منها الحاكم في المستدرك ، والامام احمد في مسنده . (١)

وعند تتبع ما جاء في بعض هذه الكتب نلاحظ ان ابا العالية في تفسيره لآيات القرآن الكريم كان يتبع المنهج النقلي واليك :

نماذج من تفسيره :

أولا : تفسيره بالمنقول من الأقوال :

١) أخرج ابن جرير عن ابي العاليه - رحمه الله - في قوله تعالى :
* قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * (٢)

قال : قالت اليهود : لن يدخل الجنة الا من كان هودا ، فأنزل الله * قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ .. * الاية (٣)

٢) وفي سبب نزول قوله تعالى :
* وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلاَ تُسْرِفُوا * (٤)

---

(١) الاتقان في علوم القرآن : ﺣ ٢ ص ٢٤٢ .
(٢) سورة البقرة: الآية " ٩٤ ".
(٣) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٢١ .
(٤) سورة الانعام : الآية " ١٤١ ".

اخرج ابن جرير عنه قال : كانوا يعطون شيئا سوى الزكاة ثم تسارفوا ، فنزلت هذه الآية . (١)

٣) وفي قوله تعالى :

* وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ ، بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا * وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * (٢)

اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عنه قال : " كان لرجل من المسلمين على رجل من المشركين دين ، فأتاه يتقاضاه ، فكان فيما تكلم به : والذى ارجوه بعد الموت انه كذا وكذا ، فقال له المشرك : انك تزعم انك تبعث من بعد الموت ، فأقسم بالله جهد يمينه : لا يبعث الله من يموت ، فنزلت الآية " (٣)

ثانيا - تفسيره الاجتهادى :

وردت عن ابي العالية قطع كبيرة في التفسير (٤) من ذلك ما جاء في قوله تعالى :

* فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * (٥)

روى ابن جرير عن الربيع بن انس عن ابي العاليه في قوله : * تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قال : " كان قبله مؤمنون ، ولكن يقول : انا اول من آمن بأنه لا يراك احد من خلقك الى يوم القيامة ". (٦)

---

(١) لباب النقول : ص " ١٠٤ ".
(٢) سورة النحل : الآية " ٣٨ ".
(٣) لباب النقول في اسباب النزول : ص ١٣٣
(٤) حلية الاولياء : جـ ٢ ص ٢٢٠
(٥) سورة الاعراف : الآية " ١٤٣ ".
(٦) تفسير الطبرى : جـ ١٣ ص ١٠٣ .

٢) وفي قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴾ (١)

روى ابن جرير عن الربيع عن ابي العاليه : ﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ، يقول : لا تأخذوا عليه أجرا . قال : وهو مكتوب عندهم في الكتاب الاول : يا ابن آدم ، علم مجانا كما علمت مجانا ". (٢)

٣) وفي قوله تعالى من سورة التوبة :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ... ﴾ (٣)

روى ابن جرير عن الربيع بن أنس عن ابي العاليه قال : كل ماذكره الله في القرآن من " الامر بالمعروف والنهي عن المنكر " ، ف " الأمر بالمعروف " ، دعاء من الشرك الى الاسلام ، و" النهي عن المنكر " ، النهي عن عبادة الاوثان والشياطين ". (٤)

وفاتــه :

مات ابو العاليه سنة تسعين ، وقيل : سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ، والاصح الاول . (٥)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٤١ " .

(٢) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٥٦٥ ، والمجان : عطية الشيء بلا منّة ولا ثمن ترتيب القاموس المحيط : حـ ٤ ص ٢٠٧ مادة (م / ج / ن) .

(٣) الآية " ٧١ " .

(٤) تفسير الطبرى : حـ ١٤ ص ٣٤٨ والذى أراه تبعا للمفسرين أن النصوص عامة في كل معروف وكل منكر .

(٥) تهذيب التهذيب : حـ ٣ ص ٢٨٤ .

محمد بن كعب القرظـــي

ترجمتـــه :

هو محمد بن كعب بن سليم بن اسد القرظي ، ابو حمزة ، وقيل : ابو عبدالله المدني من حلفاء الأوس ، وكان ابوه من سبى قريظة ، سكن الكوفة ثم المدينة .

قال الترمذى : " سمعت قتيبة يقول : " بلغني ان محمد بن كعب القرظي ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم "

وقال ابو داود : " انه سمع قتيبة ايضا يقول انه رآه " .

ولكن يبدو ان هذه الأقوال غير صحيحة ، لان ابن حجر يقول :

" ان ماتقدم نقله عن قتيبة من انه ولد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لا حقيقة له ، وانما الذى ولد في عهده هو ابوه ، فقد ذكروا انه كان من سبى قريظة ممن لم يحتلم ولم ينبت ، فخلوا سبيله " .

روى عن العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبد الله بـــن مسعود ، وعمرو بن العاص ، وابي ذر ، وابي الدرداء ، وآخرين ، ويقال ان الجميع مرسل ، كما روى عن ابي بن كعب بالواسطة .

وروى عنه ، اخوه عثمان ، ويزيد بن الهاد ، والوليد بن كثير ، ومحمد بن المنكدر وآخرون . (١)

مكانته العلمية :

شهد له العلماء بالعلم والورع وكثرة الحديث والعدالة .

قال ابن سعد : " كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا "

وقال العجلي : " مدني تابعي ثقة ، رجل صالح عالم بالقرآن " (٢)

---

(١) تهذيب التهذيب: حـ ٩ ص ٤٢١ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

" وقد وردت عنه الرواية في حروف القرآن ، وقال عون بن عبد الله: ما رأيت احدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي ، وامتدح العجلي فيه علمه به . " (١)

وقال ابن حبان : " كان من افاضل اهل المدينة علما وفقها " (٢)

نماذج من تفسيره :

مما جاء عنه في التفسير في قوله تعالى :

١ - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ (٣)

روى ابن جرير الطبرى عن أبي صخر عن محمد بن كعب القرظي " أنه كان يقول في هذه الآية : ﴿ اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ ، يقول : اصبروا على دينكم ، وصابروا الوعد الذى وعدتكم ، ورابطوا عدوى وعدوكم حتى يترك دينه لدينكم " (٤)

٢ - وفي قوله تعالى من سورة النساء :

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ . . . ﴾ الى قوله : ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴾ (٥)

روى ابن جرير عنه انه قال : جاء اناس من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ان موسى جاء بالألواح من عند الله ، فأتنا بالألواح من عند الله حتى نصدقك ! فأنزل الله :

-----

(١) غاية النهاية في طبقات القراء : حـ ٢ ص ٢٢٣ .

(٢) تهذيب التهذيب : حـ ٩ ص ٤٢١ .

(٣) سورة آل عمران : الآية " ٢٠٠ ".

(٤) تفسير الطبرى : حـ ٧ ص ٥٠٢ .

(٥) الآيات : " ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ .

﴿ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ .. ﴾ الى قوله : ﴿ وَقَوْلِهِمْ على مَرْيَمَ بُهْتَاناً عَظِيماً ﴾ (١)

٣ - وفي قوله تعالى من سورة الأنفال : الآية " ٤٧ " :

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ .

روى ابن جرير الطبرى عنه انه قال : لما خرجت قريش من مكة الى بدر ، خرجوا بالقيان (٢) والدفوف ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَراً وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ (٣)

٤ - ومما اخرجه الطبرى ايضا عن محمد بن كعب القرظي ماجاء في قوله تعالى :

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ في سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤) .

عن ابي صخر قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار ، والعباس بن عبد المطلب ، وعلي بن ابي طالب ، فقال طلحة : انا صاحب البيت ، معي مفتاحه ، لو اشاء بت فيه ! وقال العباس : انا صاحب السقاية والقائم عليها ، ولو اشاء بت في المسجد ! وقال علي : ما ادرى ماتقولان ، لقد صليت الى القبلة ستة اشهر قبل الناس، وانا صاحب الجهاد ! فأنزل الله :

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٩ ص ٣٥٦ . سورة النساء: الآيات من ١٥٣ الى ١٥٦

(٢) القيان : واحدها قينة ، وتعني الأمة المغنية ، ترتيب القاموس المحيط حـ ٣ ص ٧٢٦ .

(٣) تفسير الطبرى : حـ ١٣ ص ٥٨١ .

(٤) سورة التوبة : الآية " ١٩ ".

﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمَارَةَ المَسْجِدِ الحَرَامِ .. ﴾ (١) الآية

مما تقدم من الامثلة يتضح ان محمد بن كعب القرظي رحمه الله كان من المصادر التي اعتمد عليها ابن جرير الطبرى في تفسيره ، فقد أخرج عنه - غير هذا - قدرا كبيرا .

واذا كانت معرفة أسباب النزول ضرورية للمفسر ، فان ما اخرجه الطبرى عنه في هذا المجال قد ساعده دون شك على فهم كثير من الآيات القرآنية .

كذلك اذا كانت معرفة احوال من نزل فيهم القرآن من الاهمية بمكان لمن يتصدى لبيان القرآن وتفسيره فاننا نقول ان الطبرى قد افاد من ذلك الشيء الكثير بما اخرجه عنه .

ولم يكن الطبرى وحده هو الذى صنع ذلك ، وانما توجد نقول كثيرة (٢) تدل على ان الثورى وابن اسحاق والبيهقي قد نقلوا عنه اخبارا في اسباب النزول واحوال من نزل فيهم القرآن .

<u>وفاتـــه :</u>

كان رحمه الله يقص في المسجد ، فسقط عليه وعلى اصحابه سقف فمات هو وجماعة معه تحت الهدم سنة ثماني عشرة ومائة وهو ابن ثمان وسبعين سنة (٣) وقيل في تاريخ وفاته وعمره غير ذلك .

---

(١) سورة التوبة : الآية " ١٩ " ، تفسير الطبرى : حـ ١٤ ص ١٧١ .

(٢) راجع لباب النقول في اسباب النزول ، للسيوطي ص : ٢٨ ، ٦٦ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٧٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٦ .

(٣) تهذيب التهذيب : حـ ٩ ص ٤٢٢ .

زيـــد بن اسلـــم

ترجمتـــه :

هو زيد بن اسلم العدوى أبو اسامة ويقال : ابو عبد الله المدنـــي الفقيه ، مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

روى عن ابيه ، وابن عمر ، وابي هريرة ، والسيدة عائشة ، وجابـــر ابن عبد الله ، وانس بن مالك ، وغيرهم .

وعنه : أولاده الثلاثة اسامة وعبد الله وعبد الرحمن ، كما روى عنــــه الامام مالك بن أنس امام دار الهجرة ، وابن عجلان ، وابن جريج ، وايـــوب السختياني ، ومعمر وهشام والسفيانان وجماعة. (١)

مكانته العلمية :

من سادات التابعين الذين شهد لهم العلماء بغزارة العلم والثقـــة فيما يروونه ،

قال الامام احمد وابو زرعة وابو حاتم ومحمد بن سعد والنسائي وابـــن فراش : " ثقة " .

وقال يعقوب بن شيبة عنه : " ثقة من اهل الفقه والعلم وكان عالمـــا بتفسير القرآن " (٢)

وماشهد به هؤلاء العلماء لزيد رحمه الله كان معروفا به بيـــن معاصريه حتى اننا نجد علي بن الحسين يجلس اليه متخطيا مجالس قومـه ،

----

(١) تهذيب التهذيب : جـ ٣ ص ٣٩٥ .

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

فقال له نافع بن جبير : " تتخطى مجالس قومك الى عبد عمر بن الخطاب ، فقال علي بن الحسين : انما يجلس الرجل الى من ينفعه في دينه . "

وكانت لزيد بن اسلم حلقة علم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو حازم الاعرج : " لقد رأيتنا في مجلس زيد بن اسلم اربعين فقيهاً ادنى خصلة فينا التواسي (١) بما في ايدينا ، ومارأيت فيه متماريين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا " (٢) .

وقد وردت عنه " الرواية في حروف القرآن ، وأخذ عنه القراءة شيبة ابن نصاح ، واخذ عنه مالك التفسير " (٣) .

منهجه في تفسير القرآن :

كان زيد بن اسلم رحمه الله يكثر من تفسير القرآن برأيه ولا يتحرج من ذلك ولكنه كان ثقة عدلا .

قال حماد بن زيد عن عبيد الله بن عمر : " لا أعلم به بأسا الا انه يفسر برأيه القرآن ويكثر منه " (٤)

شهد عبيد الله بن عمر لزيد بن اسلم بالثقة والعدالة الا انه اخذ عليه اكثاره من القول بالرأى ، فلعل عبيد الله بن عمر كان كغيره من الصحابة والتابعين الذين كانوا يتحرجون من القول في القرآن برأيهم ، على ان زيدا

---

(١) والمقصود كل واحد منا يواسي اخاه بما عنده .
(٢) طبقات المفسرين ،للداودى : حـ ١ ص ١٧٦ .
(٣) غاية النهاية في طبقات القراء : حـ ١ ص ٢٩٦ .
(٤) تهذيب التهذيب : حـ ٣ ص ٣٩٦ .

كان فيما يبدو يجيز القول بالرأى الذى يعتمد على الشواهد ويقوم على الاستنباط ولا حرج في ذلك فقد توفرت لديه الشروط اللازمة للمفسر ، فأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم متوفرة عنده ، وهو واسع العلم ، كما انه احاط بأسباب النزول ، وعرف احوال من نزل فيهم القرآن ، واكبر الظن ان اتجاه زيد بن اسلم الى اعمال الرأى في النص القرآني والاستناد الى الدلائل في تفسيره لم يمنعه من ان يقول بالمأثور في الآيات التي وردت فيها اقوال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أخرج ابن ابي حاتم عنه قال :

١ - لما نزلت : * قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ * (١)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " (٢) بالسيوف ، قالوا : ونحن نشهد ان لا اله الا الله ، وانك رسول الله ، فقال بعض الناس : لا يكون هذا ابدا أن يقتل بعضنا بعضا ونحن مسلمون ، فنزلت :

* انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ * وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ * لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * (٣)

---

(١) سورة الانعام : الآية " ٦٥ " .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب العلم ، باب الانصات للعلماء : جـ ١ ص ٤١ .

(٣) سورة الانعام : الآيات " ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ " ، لباب النقول في اسباب النزول ، للسيوطي : ص ١٠٢ .

٢ - ايضا أخرج ابن ابي حاتم عن زيد بن اسلم في قوله تعالى :

﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا ﴾ (١)

قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية واصحابه حين صدهم المشركون عن البيت ، وقد اشتد ذلك عليهم فمر بهم اناس من المشركين من أهل المشرق يريدون العمرة ، فقال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : نصد هولاء كما صدّوا اصحابنا ، فأنزل الله : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ ﴾ الآية (٢).

٣ - وأخرج ابن اسحاق وابو الشيخ عن زيد بن اسلم في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ (٣).

قال : مرّ شاس بن قيس ، وكان يهوديا على نفر من الأوس والخزرج يتحدثون ، فغاظه مارأى من تألفهم بعد العداوة ، فأمر شابا معه من يهود أن يجلس بينهم فيذكرهم يوم بعاث ففعل ، فتنازعوا وتفاخروا حتى وثب رجلان : أوس بن قيظي من الاوس ، وجبار بن صخر من الخزرج ، فتقاولا وغضب الفريقان وتواثبوا للقتال ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حتى وعظهم واصلح بينهم ، فسمعوا واطاعوا ، فأنزل الله في أوس وجبار ومن كان معهما :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ الآية ، وفي شاس بن قيس قوله تعالى في سورة آل عمران : الآية "٩٩" .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (٤)

وفي هذه الأمثلة يتبين أن زيدا - رحمه الله - تناول التفسير بالمأثور في الآيات التي وردت فيها أقوال النبى صلى الله عليه وسلم ، وتعرض لاسباب النزول واحوال من نزل فيهم القرآن .

---

(١) سورة المائدة : الآية " ٢ " .
(٢) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٨٦ .
(٣) سورة آل عمران : الآية " ١٠٠ ".
(٤) لباب النقول في اسباب النزول : ص ٥٥ .

واليك نماذج من تفسيره بالاجتهاد :

١ - روى ابن جرير الطبرى عن يعقوب بن عبد الرحمن قال : " قلت لزيد ابن اسلم : من ﴿ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (١)

قال : هم الذين يشهدون الصبح " (٢)

٢ - وفي قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ (٣)

يقول زيد رحمه الله : " ان المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم .

والمعنى على قوله يكون : " لقد كنت في غفلة من هذا القرآن قبل

---

(١) سورة آل عمران : الآية "١٧".

(٢) تفسير الطبرى : جـ ٦ ص ٢٦٧ ، وحكى ابن جرير الطبرى ثلاثة اقوال في المراد من قوله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ ، احدهما : انهم المصلون بالاسحار وهذا قول قتادة رضي الله عنه ، والثاني : انهم المستغفرون ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول في دعائه : رب امرتني فأطعتك ، وهذا سحر ، فاغفر لي ، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يحيي الليل صلاة ، ثم يقول : يانافع ، اسحرنا ؟ فيقول : لا فيعاود ابن عمر الصلاة ، فاذا قال نافع : نعم ، قعد ابن عمر يستغفر ويدعو حتى يصبح .
وكان أنس بن مالك يقول : امرنا ان نستغفر بالاسحار سبعين استغفارة ،
والثالث : قول زيد بن اسلم المتقدم : هم الذين يشهدون الصبح ، ثم رجح القول الثاني ، جـ ٦ ، ص ٢٦٦ - ٢٦٧ .

(٣) سورة ق : الآية " ٢٢ " .

ان يوحى اليك فكشفنا عنك غطاءك بانزاله اليك فبصرك اليـــــوم حديد " (١)

وفاتـــه :

مات سنة ست وثلاثين ومائة من الهجرة .

وكان ابو حازم يقول : " لا اراني الله يوم زيد ، انه لم يبق احـد ارضى لديني ونفسي منه ، فأتاه نعي زيد فعقر فما شهده " (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ٢٢٥ ، وفي المراد بالخطاب في قوله: (لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ . . .) ثلاثة اقوال :
احدها : المتقدم من كلام زيد بن اسلم.
والثانـــي : ان المراد بذلك الكافر وهذا القول مروى عن ابن عباس.
والثالـــث : ان المراد بذلك كل احد من بر وفاجر ، لان الاخـرة بالنسبة الى الدنيا كاليقظة ، والدنيا كالمنام. وهذا مروى عـــن ابن عباس ايضا ، والظاهر من السياق ان الخطاب مع الانسان من حيث هو . والله اعلم.

(٢) تذكرة الحفاظ : حـ ١ ص ١٣٢ ، وفي التهذيب أن أبا حـــازم الأعرج الذى أشار اليه الذهبي في تذكرة الحفاظ اسمه سلمة بـــن دينار الشمار المدني : ١٤٣/٤ .

حجية التفسير المأثور عن التابعين :

اختلف العلماء في الأخذ بأقوال التابعين في التفسير عند عدم وجود تفسير مأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو عن صحابته رضي الله عنهم .

فقد عدها بعضهم من قبيل الرواية بالمأثور ، لأنّ غالب تفاسيرهم تلقوها عن الصحابة ، واعتبرها آخرون من قبيل الاجتهاد بالرأى الشخصي لكثرة اختلافهم اكثر من اختلاف الصحابة .

واختلف العلماء ايضا في قبولها والعمل بها .

قال الزركشي : وفي قول التابعين روايتان عن احمد ، واختار ابن عقيل المنع. (١)

وقال شعبة بن الحجاج وغيره : اقوال التابعين في الفروع ليست حجة ، فكيف تكون حجة في التفسير ؟ يعني أنها لا تكون حجة على غيرهم ممن خالفهم . (٢)

وهذا صحيح ، لكن عمل المفسرين على خلافه ، فقد حكوا في كتبهم اقوالهم لان غالبها تلقوها عن الصحابة.

قال ابن كثير :

اذا لم تجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، ولا في اقوال الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك الى اقوال التابعين . (٣)

---

(١) البرهان في علوم القرآن : جـ ٢ ص ١٥٩ .

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ ١٣ ص ٣٦٨

(٣) تفسير ابن كثير : جـ ١ ص ٤ .

اما اذا اجمعوا على الشيء ، فلا يرتاب في كونه حجة ، لأنهم أخذوه عن الصحابة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم ، ويرجع في ذلك الى لغة القرآن ، أو السنة ، او عموم لغة العرب ، أو أقوال الصحابة في ذلك . (١)

اما اختلاف الرواية عن احمد - في المنع والجواز - فلعله يقصد فيما كان من اقوالهم وآرائهم . (٢)

----

(١) تفسير ابن كثير : جـ ١ ص ٥ .
(٢) البرهان في علوم القرآن : جـ ٢ ص ١٥٨ .

الباب الثاني

قضايا التفسير

الفصل الأول : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات العقيدة .

الفصل الثاني : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات الأحكام .

الفصل الثالث : موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات الأخلاق .

الفصل الأول

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات العقيدة

المبحث الأول : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا

المبحث الثاني : مرتكب الكبيرة

المبحث الثالث : الجن

المبحث الرابع : اليوم الآخر

المبحث الأول

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا

اختلف السلف في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه بعيني رأسه في دار الدنيا على قولين ، قول يثبت الرؤية ، وقول ينفيها مع جواز حدوثها في الدنيا ، فقد سأل موسى عليه السلام ربه الرؤية ، وهو عليه السلام لا يجهل مايجوز او يمتنع على ربه.

وقبل الخوض في عرض الأقوال اذكر المعنى اللغوى لكلمة الرؤية.

جاء في معجم مقاييس اللغة قوله :

" الراء والهمزة والياء اصل يدل على نظر وابصار بعين أو بصيره .. والرّى : مارأت العين من حال حسنة ، والعرب تقول : ريته في معنى رأيته . وتراءى القوم اذا رأى بعضهم بعضا " (١)

ومن هذا نستطيع ان نقول ان الرؤية في اللغة تتناول امرين : رؤية بصر ، ورؤية بصيرة ، والتي يعبرعنها بعبارات مختلفة منها القلب والعقل .

بم تكون الرؤية ؟

الرؤية تكون بأحد شيئين ، امابالبصر او بالبصيرة . قال ابن سيده : الرؤية : " النظر بالعين والقلب ، وتقول : نظرت الى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب ، ويقال : رأى رؤية نظر بالعين ، ورأى رأيا اعتقد بالعقل ، ورؤية العين تتعدى الى مفعول واحد نحو رأى زيد القمر ،

---

(١) معجم مقاييس اللغة : حـ ٢ ص ٤٧٢ ، ٤٧٣ .

وهي ماتحصل بالمشاهدة والمعاينة ، اما روءية القلب فتتعدى الى مفعولين فيقال : رأيت زيدا عالما ، وهي الروءية العلمية التي تحصل بالعلم والمعرفة ، فهي بمعنى العلم ، والعلم يتعدى الى مفعولين . (١)

واليك أقوال العلماء في الروءية :

القول الأول :

اثبات روءية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في دار الدنيا : وهذا مذهب ابن عباس وكعب رضي الله عنهم ، وكان الحسن يحلف على ذلك ، وحكى مثله عن ابن مسعود وابي هريرة ، ونسبه الامام الواحدى الى انس وعكرمة والحسن والربيع، واصحاب هذا القول يعتمدون على الاحاديث الآتي ذكرها ، ونلاحظ انه لم يرد فيها تقييد للروءية بالعين بل جاءت مطلقة.

ومن هذه الاحاديث مايأتي :

١ - حديث ابن عباس الذى رواه الامام احمد في مسنده قال : حدثنا اسود ابن عامر حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت ربي تبارك وتعالى "(٢)

٢ - وروى الترمذى في صحيحه قال : حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموى اخبرنا أبي أخبرنا محمد بن عمرعن ابي سلمة عن ابن عباس في قول الله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرى، عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى ﴾ (٣) .

---

(١) لسان العرب : حـ ١ ص ١٠٩٢ مادة (رأى).

(٢) مسند الامام احمد : حـ ١ ص ٢٩٠ ، وهذا الحديث رجاله رجال الصحيح كما نص على ذلك الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد : حـ ١ ص ٧٨

(٣) سورة النجم : الآيتان " ١٣ ، ١٤ ".

قال ابن عباس : قد رآه النبي صلى الله عليه وسلم. (١)

٣ - ومن الأدلة ماجاء في الصحيحين عن شريك بن عبد الله واللفظ للبخاري انه قال : سمعت أنس بن مالك يقول ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم في المسجد الحرام فقال اولهم : ايهم هو ؟ فقال اوسطهم : هو خيرهم ، وقال آخرهم : خذوا خيرهم . فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه ، فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق جبريل مابين نحره الى لبته (٢) حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب .. الى ان قال : حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو ادنى فاوحى الله فيما اوحى اليه خمسين صلاة على امتك كل يوم وليلة ... " (٣)

فعلى هذا تكون الضمائر في (دنا) ، و (تدلى) ، و (كان) و (أوحى) لله عز وجل ، وتكون قد حصلت الرؤية للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء والمعراج .

---

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : حـ ٩ ص ١٦٩ ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن .

(٢) اللّبة : موضع القلادة من الصدر ، معجم مقاييس اللغة : حـ ٥ ص ٢٠٠ مادة (لب) .

(٣) صحيح البخارى : حـ ٩ ص ١٨٢ ،كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾

٤ - واستدلوا ايضا بما رواه الترمذى ، قال : " حدثنا عمر بن نبهان بن صفوان الثقفي ، اخبرنا يحيى بن كثير العنبرى أخبرنا سلم بن جعفر عن الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس قال : " رأى محمد ربه ، قلت : اليس الله يقول :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ (١)

قال : ويحك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وقد رأى محمد ربه مرتين " (٢) .

ويؤيده مارواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد قال :

روى الوليد قال : حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال : حدثنا خالد بن اللجلاج قال : حدثني عبد الرحمن بن عائش الحضرمي قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " رأيت ربي في احسن صوره فقال : فيم يختصم الملأ الاعلى . . . " (٣)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول : ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده . (٤)

---

(١) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ ".

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : حـ ٩ ص ١٦٨ ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

(٣) كتاب التوحيد ، لابن خزيمة : ص ٢١٥ .

(٤) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : حـ ١ ص ٧٩ ، وقال الهيثمي رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ، خلا جمهور بن منصور الكوفي ، وجمهور ابن منصور ذكره ابن حبان في الثقات.

وعنه قال : نظر محمد صلى الله عليه وسلم الى ربه ، قال عكرمة : فقلت لابن عباس : نظر محمد الى ربه ؟ قال : نعم ، جعل الكلام لموسى ، والخلة لابراهيم والنظر لمحمد (١).

وفي تفسير القرطبي : " اجتمع ابن عباس وكعب الاحبار ، فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا رأى ربه مرتين ، ثم قال ابن عباس : اتعجبون ان الخلة تكون لابراهيم ، والكلام لموسى ، والروئية لمحمد صلى الله عليه وسلم . فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، ثم قال : ان الله قسم روئيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام ، فكلم موسى ، ورآه محمد ". (٢)

وروى الترمذى عند تفسير قوله تعالى :

* وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اَمْوَاتًا بَلْ اَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * (٣)

عن طلحة بن خراش ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، يقول :

" لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي ياجابر مالي أراك منكسرا ؟ قلت يارسول الله استشهد أبي وترك عيالا ودينا ، قال : قال ألا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قال : بلى يارسول الله ، قال : ماكلم الله أحدا قط الا من وراء حجابه ، وأحيا اباك فكلمه كفاحا (٤) ، فقال : تمنّ عليّ اعطيك ، قال : يارب تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال الرب تبارك وتعالى : انه قد سبق مني أنهم لا يرجعون قال : وانزلت هذه الآية :

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد حـ١ص٧٩ ، وقال الهيثمي : رواه الطبراني في الاوسط ، وفيه حفص بن عمر العدني ، روى ابن ابي حاتم توثيقه عن ابي عبد الله الطهراني ، وقد ضعفه النسائي وغيره.

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى : جـ ٩ ص ١٦٦ ، تفسير القرطبي ٧/٥٦

(٣) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ ".

(٤) كفاحا : اى مواجهة ليس بينهما حجاب ولا رسول ، النهاية في غريب الحديث والاثر : جـ ٤ ص ١٨٥ .

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ﴾ الآية (١)

فهذا الحديث يفيد تكليم الله لأبي جابر مواجهة ، ويعني ذلك أنه رآه قبل الناس في الآخرة ، وهذا يؤيد رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء اذ لا يتقدمه الى رؤيته احد من امته . (٢)

موقف الامام احمد بن حنبل :

اعتمادا على الاحاديث المروية عن ابن عباس رضي الله عنهما التي مر ذكرها بنى الامام احمد رأيه وقال : " نعم رآه حقا ، فان رؤيا الأنبياء حق ولا بد " . (٣)

يقول النووى نقلا عن صاحب التحرير :

" والحجج وان كانت كثيرة ولكنا لا نتمسك الا بالأقوى منها وهو حديث ابن عباس رضي الله عنهما اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم" . (٤)

---

(١) سورة آل عمران : الآية " ١٦٩ "
تحفة الأحوذى : حـ ٨ ص ٣٦٠ ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ولا نعرفه الا من حديث موسى بن ابراهيم.
وقال ابن القيم : حديث جابر بن عبد الله في كلام الرب لابيه اسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه حادى الارواح الى بلاد الافراح ص ٢٥٣ .

(٢) صحيح الترمذى بشرح الامام ابن العربي المالكي : حـ ١١ ص ١٣٨ .

(٣) زاد المعاد : حـ ٣ ص ٣٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٥ ، كتاب الايمان ، باب : اثبات رؤية الله سبحانه وتعالى .

هذا سياق ادلة اصحاب القول باثبات روءية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء وبيان وجه دلالتها والحق ان بعض هذه الأدلة محتمل الدلالة ، وبعضها لم يصح رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وبيان ذلك :

١ - الحديث الذى رواه احمد في مسنده من طريق عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " رأيت ربي تبارك وتعالى ".

والحديث الذى رواه الترمذى عن طريق ابي سلمة عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴾ (١)

قال ابن عباس : " قد رآه النبي صلى الله عليه وسلم " (٢)

فالروءية فيهما مطلقة لم تقيد بعين أو قلب ، ثم قد وردت عن ابن عباس احاديث صحيحة ذكرت فيها الروءية مقيدة بالقلب كما جاء من طريق عطاء عن ابن عباس قال في قوله تعالى :

﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ (٣)

قال : رآه بقلبه . (٤)

ومن طريق ابي العالية عن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ مَاكَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (٥)

---

(١) سورة النجم : الآيتان " ١٣ ، ١٤ " .

(٢) تحفة الاحوذى : حـ ٩ ص ١٦٩ كتاب التفسير .

(٣) سورة النجم : الآية " ١١ " .

(٤) تحفة الاحوذى : حـ ٩ ص ١٦٩ كتاب التفسير .

(٥) سورة النجم : الآيات " ١١ ، ١٢ ، ١٣ " .

قال : " رآه بفؤاده مرتين " (١)

فيجب حمل المطلق على المقيد في هذه الروايات التي وردت عن ابن عباس حتى يزول التعارض ويتضح المقام.

أما حديث شريك بن عبد الله الذى جاء في الصحيحين وقال فيه : سمعت انس بن مالك يقول ليلة اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر . . . "

فلم يترك العلماء مجالا للكلام عنه متنا وسندا حتى بينوا علله بيانا كافيا .

قال ابن حجر في قوله : " ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو ادنى " .

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب يعني صحيح البخارى ،حديث اشنع ظاهرا ولا اشنع مذاقا من هذا الفصل ، فانه يقتضي تحديد المسافة بين احد المذكورين وبين الآخر ، وتمييز مكان كل واحد منهما ، هذا الى مافي التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذى تعلق من فوق الى اسفل ، قال : فمن لم يبلغه من هذا الحديث الا هذا القدر مقطوعا من غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها اشتبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه اما رد الحديث من اصله واما الوقوع في التشبيه . . . " (٢)

----

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٧ ، كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله سبحانه وتعالى .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : حـ ١٣ ص ٤٨٣ ، كتاب التوحيد ، باب (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً) .

وقد نبه مسلم في صحيحه على مافي رواية شريك من المخالفة ، فقال بعد سياقه لسند الحديث وبعض متنه :

" وقدم فيه شيئا وأخر وزاد ونقص " (١)

وقال النووى في شرحه لصحيح مسلم ، قال الحافظ عبد الحق رحمه الله في كتابه الجمع بين الصحيحين :

" هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن انس وقد زاد فيه زيادة مجهولة ، واتى فيه بألفاظ غير معروفة ، وقد روى حديث الاسراء جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين ، كابن شهاب وثابت البناني وقتادة - يعني عن انس - فلم يأت احد منهم بما أتى به شريك ، وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث . " (٢)

بالاضافة الى ان راوى الحديث وهو : شريك قد خالف غيره من المشهورين في هذا الحديث بأكثر من عشرة اشياء ذكرها صاحب فتح البارى منها قوله :

" قبل ان يوحى اليه ، وأنه حينئذ فرض عليه الصلاة ، وهذا لا خلاف بين أحد من أهل العلم انما كان قبل الهجرة بسنة وبعد ان اوحى اليه بنحو اثنتي عشرة سنة ، ثم قوله : ان الجبار دنا فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو ادنى" وعائشة رضي الله عنها تقول : "ان الذي دنى فتدلى جبريل ". (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب الاسراء برسول الله : حـ ٢ ص ٢١٧ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء ص ٢١٠ ، وانظر فتح البارى : حـ ١٣ ص ٤٨٤ كتاب التوحيد ، باب ماجاء فى قوله عز وجل : ﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسى تَكْلِيماً ﴾

(٣) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : حـ ١٣ ص ٤٨٤ ، كتاب التوحيد باب قوله : ﴿ وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسى تَكْلِيماً ﴾

والمشهور في الحديث انه جبريل عليه السلام . فقد روى مسلم فقال :

" حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر عن عبد الملك عن عطاء عن ابي هريرة ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى ﴾ (١) قال : رأى جبريل " (٢)

وروى البخارى في صحيحه : " حدثنا طلق بن غنام ، حدثنا زائدة عن الشيباني قال : سالت زرا عن قوله تعالى :

﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ مَا أَوْحى ﴾ (٣)

قال : أخبرنا عبد الله أن محمدا رأى جبريل له ستمائة جناح " (٤)

وأحاديث اخرى بينت هذا كحديث مسروق الذى في الصحيحين . (٥)

واما مارواه الترمذى عن ابن عباس من طريق عكرمة قال : رأى محمد ربه ، قلت اليس الله يقول :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ (٦)

---

(١) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٤ ، كتاب الايمان ، باب معنى قوله : ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى ﴾ .

(٣) سورة النجم : الآيتان " ٩ ، ١٠ " .

(٤) صحيح البخارى : حـ ٦ ص ١٧٦ كتاب التفسير ، تفسير سورة " النجم " .

(٥) صحيح مسلم : حـ ٣ ص ٨ ، كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله سبحانه وتعالى ، صحيح البخارى : حـ ٦ ص ١٧٦ ، كتاب التفسير ، تفسير سورة " النجم " .

(٦) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ " .

قال : وبحسك ذاك اذا تجلى بنوره الذى هو نوره ، وقال أربه مرتين فظاهره انه لا يقصد الرؤية بالعين لانها لا تكون من غير تجل ، اذ لا يتصور تجلي الرب بنور ليس نوره حتى تمكن رؤيته ، فيدل الحديث على الرؤية التي لا تجلى فيها ، ولاتكون بالبصر اطلاقا وهي رؤية القلب ، اذ البصر لا يدرك الا المتجلى الظاهر .

ثمّ لفظ ابن عباس أربه مرتين مما يؤيد حمل كلامه على الرؤيا مناما أو بالقلب ، وقد حمل شيخ الاسلام ابن تيمية قول ابن عباس على الرؤية بالمنام فقال :

" ان ابن عباس رضي الله عنهما لم يقل انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعيني رأسه يقظة ، ومن حكى ذلك فقد وهم ، وقال : ماثبت عن الامام احمد من اثبات رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه انما يعني رؤية المنام فانه سئل عن ذلك فقال : نعم رآه ، فان رؤيا الانبياء حق ، ولم يقل انه رآه بعيني رأسه ". (١)

والاحتجاج بحديث اختصام الملأ الاعلى الذى ورد فيه " رأيت ربي في أحسن صورة " لا يتم لعدم صحته متنا وسندا حيث ان الرواية الصحيحة تخالف مادل عليه .

وقد قال ابن خزيمة قبل سياقه للحديث : " وقد روى الوليد بن مسلم خبرا يتوهم كثير من طلاب العلم ممن لا يفهم علم الاخبار انه صحيح من جهة النقل ، وليس كذلك هو عند علماء اهل الحديث" (٢)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : حـ ٦ ص ٥٠٩ ، ٥١٠ ، وتفسير المنار : حـ ٩ ص ١٤٥ .

(٢) كتاب التوحيد ، لابن خزيمة : ص ٢١٤ .

وقال ابن تيمية : " هذا الحديث يروى من طريق ابن عباس ، ومن طريق ام الطفيل وغيرهما ، وفيه : انه وضع يده بين كتفي ، حتى وجدت برد انامله على صدري - وهذا لم يكن ليلة المعراج ، فان هذا الحديث كان بالمدينة.

وفي الحديث : ان النبي صلى الله عليه وسلم نام عن صلاة الصبح ثم خرج اليهم ، وقال : رأيت كذا وكذا ، وهو من رواية من لم يصل خلفه الا بالمدينة كأم الطفيل وغيرها ، والمعراج انما كان من مكة باتفاق اهل العلم وبنص القرآن والسنة المتواترة ، كما قال الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾ (١)

فعلم ان هذا الحديث كان رؤيا منام بالمدينة ، كما جاء مفسرا في كثير من طرقه : انه كان رؤيا منام" مع ان رؤيا الانبياء وحي ، لم يكن رؤيا يقظة ليلة المعراج " . (٢)

يؤيد هذا أن الصحيح من روايات الحديث هو مارواه الترمذي في سننه واحمد في مسنده (٣) ، ولفظ الترمذي ، عن معاذ بن جبل قال :

" احتبس عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجوز في صلاته ، فلما سلم دعا بصوته فقال لنا : على مصافكم كما انتم ،

---

(١) سورة الاسراء : الآية "١" .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيميه : حـ ٣ ص ٣٨٧ .

(٣) مسند احمد : حـ ٥ ص ٢٤٣ .

ثم انفتل الينا فقال : أما اني سأحدثكم ماحبسني عنكم الغداة اني قمت من الليل فتوضأت فصليت ماقدر لي فنعست في صلاتي فاستثقلت فاذا أنا بربي تبارك وتعالى في احسن صورة ، فقال : يامحمد ، قلت رب لبيك ، قال فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ .... " (١)

فيجاب على هذا بحمل الرواية المطلقة التي جاءت في حديث الوليد بن مسلم ان صحت على المقيدة في هذا الحديث ، والتي ثبتت صحتها حسما للنزاع وتمشيا مع النصوص الظاهرة.

واما الرواية التي جاء فيها عن ابن عباس ان محمدا رأى ربه مرتين ، مرة ببصره ومرة بفؤاده ، فقد عارضها ماروى مسلم في صحيحه (٢) عنه في الحديث السابق (٣) " وهو انه رآه بفؤاده مرتين " .

فهو مخالف لهذا التقسيم في هذا الحديث ، والنصوص الثابتة الصحيحة تعارضه ايضا وتنفي الروءية البصرية كما في صحيح مسلم عن ابي ذر قال :

" سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ فقال : نور اني أراه ". (٤)

---

(١) تحفة الأحوذى ، كتاب التفسير ، سورة ص : حـ ٦ ص ١٠٦ .
وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٧ ، كتاب الايمان ، باب اثبات روءية الله سبحانه وتعالى .

(٣) ص (١٨٧) من هذا الموضوع.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ١٢ ، كتاب الايمان ، باب ماجاء فى روءية الله عز وجل .

والأحاديث التي تعارضه كلها في الصحيح فيجب الأخذ بها ، وغالبها مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد في اثباتها له صلى الله عليه وسلم حديث مرفوع .

والرواية التي من طريق عكرمة والتي قال فيها : قلت لابن عباس : نظر محمد الى ربه ؟ قال : نعم . جعل الكلام لموسى والخلة لابراهيم ، والرؤية لمحمد .

وما روى الترمذي عن طريق الشعبي قال : لقي ابن عباس كعبا بعرفة فسأله عن شي فكبر .. " الحديث .

ظاهرهما الاستنباط اذ ليس فيهما رفع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، وتعارضهما الروايات الصحيحة عنه انه رآه بقلبه ، وانه رآه بفؤاده مرتين ، ثم رواية عكرمة عنه لا يبعد ان تكون مما سمعه من كعب الاحبار ثم حديث عائشة رضي الله عنها المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قولها لمسروق حين احتج بقوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ ﴾ (١) ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرى ﴾ (٢)

انا اول هذه الامه سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انما هو جبريل . (٣) .

وهذا الحديث بهذا النص لا يدع لصاحب رأى مقالا .

---

(١) سورة التكوير : الآية " ٢٣ " .

(٢) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٨ ،كتاب الايمان ، باب اثبات رؤية الله سبحانه وتعالى .

وحديث جابر الذى فيه تكليم الله لابيه كفاحا ، رواه ابن ماجه والترمذى من طريق واحد ، وقال عنه الترمذى : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقال : لا نعرفه الا من حديث موسى بن ابراهيم .

ورواه غير واحد من كبار اهل الحديث عن موسى بن ابراهيم (١).

وقال المباركفورى في التحفة :

" قوله أخبرنا موسى بن ابراهيم بن كثير الانصارى الحرامي بفتح المهملة والراء ، صدوق يخطيء ، وقال عن طلحة بن خراش بكسر المعجمة بعدها راء ابن عبد الرحمن الانصارى المدني صدوق ". (٢)

ثم ليس هناك طريق اخرى للحديث تعضده فلا يصح الاعتماد عليه ، وخاصة في مثل هذه المسائل .

وهو ايضا معارض بقوله تعالى :

﴿ وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللّهُ إِلاّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْيُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَايَشَاءُ ﴾ (٣)

والاحاديث التي تنفي الروية بالعين صحيحة وقد مر بعضها .

فان قيل : الآية والاحاديث التي جاءت بنفي الروية خاصة في الدنيا ، وحديث جابر رضي الله عنه السابق في عالم البرزخ فلا معارضة .

---

(١) تحفة الاحوذى بشرح الترمذى : جـ ٨ ص ٣٦١ ، كتاب التفسير ، وسنن ابن ماجه : جـ ٢ ص ٩٣٦ ،كتاب الجهاد ، باب فضل الشهادة في سبيل الله .

(٢) تحفة الاحوذى بشرح الترمذى : جـ ٨ ص ٣٦٠ ، كتاب التفسير .

(٣) سورة الشورى : الآية " ٥١ ".

وان سلمنا بصحة الحديث وعدم المعارضة ، وان الله عز وجل كلمه من غير حجاب ، لكن احتمال الروئية وعدمها قائم ، فلا تجب الروئية مع حصول الكلام مباشرة ، فلا يجوز الاعتماد على هذا في اثباتها ، لان الاحتمال قائم ، حيث انه يحصل الكلام كفاحا من غير روئية كما في مخاطبة الضرير.

أما قول صاحب التحرير الذى نقله النووى عند ترجيح القول بالاثبات : والحجج وان كانت كثيرة ولكننا لا نتمسك الا بالاقوى منها ، وهو حديث ابن عباس " اتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم . . " الحديث .

فقد مرّ الكلام عنه قريبا ، وابن عباس لم يخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانما الظاهر من سياق الحديث أنه يخاطب من نفى روئية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه ، وأظهر مايقال عنه أنه رأى لابن عباس استنبطه ولم يسمعه من الرسول صلى الله عليه وسلم.

واما باقي الاحاديث التي تمسك بها فهي مطلقة لم تقيد فيها الروئية ، وقد نقل عن ابن عباس احاديث صحيحة قيدت فيها الروئية بالفوءاد وقد مرّ ذكرها قريبا . (١)

----

(١) انظر هذه الاقوال من ص ١٨١ الى ص ١٩٥ في بحث : " روئية الله وتحقيق الكلام فيها " للدكتور احمد الناصر المحمد .

مد ص ١٢١ الى ص ١٨٤

القول الثانـــي :

نفي رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا بعيني رأسه .

وعلى رأس القائلين بهذا القول السيدة عائشة رضي الله عنها ، وهـــذا هو المشهور عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ونقل عن ابي هريرة قولان في ذلك ولكن المشهور عنه النفي ، وهو المشهور عن ابي ذر ايضا وهو قـــول جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين " (١)

واستدل هؤلاء بعدة أدلة منها :

أولا : ماورد في الصحيحين عن مسروق واللفظ لمسلم قال : كنت متكئـــا عند عائشة فقالت : يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية (٢) ؟ قلت : ماهن ؟ قالت : من زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ، فقد اعظم على الله الفرية قال : وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عزّ وجل :

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴾ (٣) ، ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (٤)

فقالت : انا أول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رايته منهبطا من السماء سادا اعظم خلقه مابين السماء الى الارض فقالت : أولم تسمـــع ان الله يقول : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (٥)

---

(١) انظر شرح الطحاوية: ص ١٣٧ وشرح صحيح الترمذى لابن العربي المالكي جـ ١٢ ص ١٦٩ .

(٢) الفرية : الكذب ، النهاية في غريب الحديث والاثر : جـ ٣ ص ٤٤٣ مادة (فرا) .

(٣) سورة التكوير : الآية " ٢٣ " .

(٤) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٥) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ "

أو ألم تسمع ان الله يقول :

* وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ * (١)

وفي هذا النص نفي روءية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بصريح قوله صلى الله عليه وسلم حين سألته السيدة عائشة عن ذلك ، أنه جبريل ، فالروءية المذكورة في الآيتين روءية جبريل عليه السلام ، ثم استشهاد السيدة عائشة لما ذهبت اليه بالآيتين تأولا لتوءكد هذا المذهب وتبين لمسروق خطأ فهمه للآيتين اللتين احتج بهما عليها ، وقد روى عن ابي ذر لفظ صريح بنفي روءيته صلى الله عليه وسلم لربه ببصره ، فروى عنه في قوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * (٢)

قال : " رآه بقلبه ولم يره بعينه " . (٣)

وروى عن ابراهيم التيمي في قوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * (٤)

قال : " رآه بقلبه ولم يره ببصره " (٥)

والصحيح الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الآية على غير ما تأولها ابو ذر وابراهيم التيمي وأن المرئ انما هو جبريل عليه السلام على صورته . (٦)

---

(١) سورة الشورى : الآية " ٥١ " ، صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ٣ ص ٨ ، كتاب الايمان ، باب اثبات روءية الله .

(٢) سورة النجم : الآية "١٣" .

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة : ص ٢٠٨ .

(٤) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة : ص ٢٠٨ .

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ٣ ص ٣ ، كتاب الايمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى .

واستدلوا ثانيا :

بالحديث الذى رواه عبد الله بن شقيق عن ابي ذر رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك ؟ قال : " نور أنـــى أراه " (١).

ويروى عن عبد الله بن شقيق قال : قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته ، قال : عن اى شيء كنت تسأله ؟ قال : كنـــت اسأله هل رأيت ربك ؟ قال ابو ذر : قد سألت ، فقال : رأيت نورا. (٢)

وقد عقب ابن كثير على هذا الحديث فقال : " ... وقد حكى الخلال في علله ان الامام احمد سئل عن هذا الحديث فقال : مازلت منكرا له وما ادرى ماوجهه .. " .

وحاول ابن خزيمة ان يدعي انقطاعه بين عبد الله بن شقيق وبين ابي ذر ، واما ابن الجوزى فتأوله على ان أبا ذر لعله سأل رسول الله صلى الله عليه وسلـم قبل الاسراء فأجابه بما اجابه به ، ولو سأله بعد الاسراء لاجابه بالاثبات ، وهذا ضعيف جدا ، فان عائشة رضي الله عنها قد سألت عن ذلك بعد الاســراء ولم يثبت لها الرؤية . ومن قال انه خاطبها على قدر عقلها أو حاول تخطئتهـــا فيما ذهبت اليه كابن خزيمة في كتاب التوحيد فانه هو المخطيء .. " (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ١١ ، كتاب الايمان ، باب ماجاء في رؤية الله .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٣) تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ٢٥٢ ، وانظر كتاب التوحيد لابن خزيمة : ص ٢٠٦ .

واذا كان الامر على هذا النحو الذى بينت فما وجه الدلالة في قوله صلى الله عليه وسلم : " نور أني أراه " ، والجواب يراد بذلك أن هناك نورا منعني رؤيته ، ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر في الحديث " رأيت نورا " فهذا النور المرئي هو الذى حال بينه وبين رؤية الله عز وجل .

فهذه الادلة يظهر منها امتناع رؤية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بعيني رأسه في دار الدنيا ، وكلها جاءت في الصحيح ، وفيها النص الصريح ، وهي احاديث مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم وصريحة في النفي ، وقد جاءت أحاديث اخرى كثيرة رويت بروايات مختلفة وكلها تنص على امتناع الرؤية في الدنيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

الجمع بين القولين :

بعد ذكر القولين وأدلتهما نجد أن منشأ الخلاف هو تأويل الآيات من سورة النجم في قوله تعالى :

* ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَاكَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى * (١)

وقوله في نفس السورة :

* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * (٢) وقوله : * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * (٣) .

---

(١) سورة النجم : الآيات " ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ "

(٢) سورة النجم : الآية " ١٣ ".

(٣) سورة التكوير : الآية " ٢٣ ".

فالمثبت لروئيته صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل قال : ان الضمائر ، دنا وتدلى وكان واوحى ، وكذا الضمير المنصوب في رآه في الآيتين لله عز وجل (١) .

ولكننا حين نبحث عن معنى هذه الآيات في السياق القرآني والسورة الكريمة نجد انها لا تدل على روءية محمد صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل ، وانما السياق يدل على أن المرئي هو جبريل عليه السلام ، والأحاديث صريحة في هذا منها : ما رواه عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى :

* وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أخرى * (٢)

قال :" رأى جبريل". (٣)

وما ورد عن الشيباني قال : سألت زر بن حبيش عن قول الله عز وجل

* فكان قاب قوسين أو أدنى * (٤)

قال : أخبرني ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل له ستمائة جناح ". (٥)

----

(١) انظر : روح المعاني ، للالوسي : مجلد ٩ حـ ٢٧ ص ٥٢ ، تفسير سورة " النجم " .

(٢) سورة النجم : الآية " ١٣ " .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٤ ، كتاب الايمان ، باب معنى قوله تعالى : * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أخرى *

(٤) سورة النجم : الآية " ٩ " .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٣ ، كتاب الايمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى .

وروى عن زر عن عبد الله قال :

* مَاكَذَبَ الفُؤادُ مَارَأى * (١)

قال : " رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح " (٢)

وروى البخارى بسنده عن الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه في قوله تعالى :

* لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِهِ الكُبْرى * (٣)

قال : " رأى رفرفا أخضر قد سد الأفق " (٤)

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن الشيباني انه سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال :

* لَقَدْ رَأى مِنْ آيَاتِ رَبِهِ الكُبْرى * (٥)

قال : " رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح " . (٦)

وعن مسروق قال : كنت متكئا عند عائشة فقالت : يا ابا عائشة ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد اعظم على الله الفرية . قلت : ماهن ؟ قالت: من زعم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية ، قال : وكنت متكئا فجلست فقلت : يا أم المؤمنين انظريني ولا تعجليني ألم يقل الله عز وجل :

---

(١) سورة النجم : الآية "١١" .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٣ ،كتاب الايمان ، باب في ذكر سدرة المنتهى .

(٣) سورة النجم : الآية " ١٨ " .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة النجم ، حـ ٦ ص ١٧٦ .

(٥) سورة النجم : الآية "١٨"

(٦) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٣ ، كتاب الايمان ،باب في ذكر سدرة المنتهى .

﴿ وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ ﴾ (١) ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾ (٢)

فقالت : أنا اول هذه الامة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : انما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه مابين السماء الى الارض ." (٣)

وعن ابن اشوع عن عامر عن مسروق قال : قلت لعائشة فأين قوله : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ﴿ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ﴾ (٤)

قالت : انما ذاك جبريل عليه السلام كان يأتيه في صورة الرجال ، وأنه أتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسدّ أفق السماء " (٥)

اما الاحاديث التي وردت فيها الروءية فكلها مطلقة لم يصرح فيها بعين أو فوءاد . والاحاديث التي وردت عن ابن عباس رضي الله عنهما كلها مطلقة او مقيدة بالفوءاد ، ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه ، وكذلك الامام احمد تارة يطلق الروءية وتارة يقيدها بالفوءاد . ولكن بعض من سمع كلام ابن عباس رضي الله عنهما والامام احمد في الروءية فهم منه روءية العين ، وليس في الأدلة مايقتضي ذلك .

---

(١) سورة التكوير : الآية "٢٣" .

(٢) سورة النجم : الآية " ١٣ ".

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي : جـ ٣ ص ٨ ، كتاب الايمان ، باب اثبات روءية الله .

(٤) سورة النجم : الآيات " ٨ ، ٩ ، ١٠ " .

(٥) صحيح مسلم بشرح النووي : جـ ٣ ص ١١ ، كتاب الايمان ، باب ماجاء في روءية الله عز وجل .

ولذلك حاول بعض العلماء الجمع بين القولين ، فرأى ان النافي للروءية انما ينفي روءية النبي صلى الله عليه وسلم لربه بعيني رأسه ، وان المثبت للروءية حمل قوله على روءية الفوءاد ، جمعا بين الأدلة ، اذ انه ليس في الادلة مايقتضي انه صلى الله عليه وسلم رآه بعينه ، كما انه لم يثبت ذلك عن احد الصحابة ، ولم يرد في ذلك نص صريح من الكتاب والسنة.

يزاد على هذا ان الله تعالى قال :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ (١)

ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك اولى. وكذلك قوله تعالى :
﴿ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ﴾ (٢) ، ﴿ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ (٣).

ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك اولى ، فالحق ان المرئي في الآيات هو جبريل عليه السلام ، وان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير ربه بعيني رأسه ، وانما رآه بقلبه . (٤)

روءية الله عز وجل بالقلب في الدنيا :

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى ربه تبارك وتعالى بقلبه ، وهذه الروءية الثابتة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقلبه روءية صحيحة حيث

---

(١) سورة الاسراء : الآية " ١ ".
(٢) سورة النجم : الآية " ١٢ ".
(٣) سورة النجم : الآية " ١٨ ".
(٤) راجع بحث "رؤية الله وتحقيق الكلام فيها" ، للدكتور احمد الناصر .

رفعت جميع الحجب عن قلبه صلى الله عليه وسلم حتى كافحت روحه الشريفة ذات الله تبارك وتعالى فرآه لذلك روءية صحيحة. (١)

قال النووى : قال الامام ابو الحسن الواحدى: " وعلى هذا رأى بقلبه روءية صحيحة ، وهو ان الله تعالى جعل بصره في فوءاده ، او خلق لفوءاده بصرا حتى رأى ربه روءية صحيحة كما يرى بالعين ". (٢)

ولم ينازع في هذا احد من الائمة المشهورين .

روءية الله عز وجل في المنام :

اتفق الصحابة رضوان الله تعالى عليهم والتابعون من بعدهم على جوازها ووقوعها ، فقد روى اهل العلم حديثا من طرق كثيرة انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه في المنام.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" رأيت ربي في احسن صوره . . " .

وروى بلفظ آخر عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتاني الليلة ربي في احسن صورة ". (٣)

---

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ ٥ ص ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٤٩٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٣ ص ٦ ، كتاب الايمان ، باب اثبات روءية الله .

(٣) كتاب التوحيد لابن خزيمة : ص ٢١٧ ، ٢١٨ .

وحديث معاذ بن جبل الذى رواه الترمذى واحمد في مسنده (١)

فيه دليل على روءية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل مناما وقد مرت الاشارة الى هذا الحديث سابقا لمن استدل به على ان الروءية كانت في حالة اليقظة ولا دلالة فيه على ذلك بل هي مناما كما جاءت مفسرة في كثير من طرق الحديث ، والذى نقل عن الامام احمد في اثبات روءية النبي صلى الله عليه وسلم لربه انما يعني روءية المنام فانه سئل عن ذلك فقال : نعم رآه ، فان روءيا الأنبياء حق ، وكان لفظ الامام احمد كلفظ ابن عباس رضي الله عنهما . (٢)

روءية الله تعالى في الآخرة :

روءية الموءمنين لله عز وجل يوم القيامة أمر مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الامة كما هو متفق عليه بين ائمة الاسلام فروءية الموءمنين له عز وجل في الآخرة ومناجاته والفوز برضاه هي اعلى نعيم اهل الجنة ،

" والاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه الدالة على الروءية متواترة رواها عنه ابو بكر الصديق وابو هريرة وابو سعيد الخدرى ، وجرير بن عبد الله البجلي ، وصهيب بن سنان الرومي ، وعبد الله بن مسعود الهذلي ، وعلي ابن ابي طالب ، وابو موسى الاشعرى ، وعدى بن حاتم الطائي ، وانس بن مالك الانصارى ، وبريدة بن الحصيب الاسلمي ، وابو رزين العقيلي ، وجابر بن عبد الله ، وابو امامة الباهلي ، وزيد بن ثابت ، وعمار بن ياسر ، وعائشة ام الموءمنين ، وعبد الله بن عمر ، وعماره بن رويبه ، وسلمان الفارسي ، وحذيفة بن اليمان ،

---

(١) راجع ص (١٩١) من هذا الموضوع

(٢) تفسير المنار : جـ ٩ ص ١٤٥ . انظر رسالة الدكتور احمد الناصر المحمد " روءية الله وتحقيق الكلام فيها ".

وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وحديثه موقوف ، وأبي بن كعب ، وكعب بن عجره وفضالة بن عبيد ، وحديثه موقوف ، ورجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم غير مسمى .. " (١)

والادلة على روية المؤمنين ربهم في الاخرة كثيرة منها قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢)

واعظم به من دليل ، فهذه الوجوه الناضرة سبب نضارتها انها الى ربها ناظرة فهي وجوه مشرقة بهية مسرورة حسنة بروءيته عز وجل .

وروى البخارى بسنده عن جرير بن عبد الله قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ انكم سترون ربكم عيانا ﴾ (٣)

وروى مسلم في صحيحه بسنده عن ابي بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " جنتان من فضة آنيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما ، ومابين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الارداءالكبرياء على وجهه في جنةعدن ". (٤)

---

(١) حادى الارواح الى بلاد الافراح : ص ٢٠٥ .

(٢) الآيتان : " ٢٢ ، ٢٣ " .

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قوله ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ .... ﴾ حـ ٩ ص ١٥٦ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب اثبات روءية المؤمنين لربهم : حـ ١٧ ص ٣ .

وفي مسلم عن عطاء بن يزيد الليثي ان ابا هريرة اخبره ان ناسا قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارّون (١) في روءية القمر ليلة البدر ؟ قالوا : لا يارسول الله ، قال : فانكم ترونه كذلك .." (٢)

هذه بعض الادلة في اثبات روءية الموءمنين لربهم يوم القيامة ، وهي ادلة واضحة وصريحة غير قابلة للنقد ، توجب اعتقاد روءية الله عز وجل في الآخرة بلا كيف ولا تحديد ولا جهة ولا انحصار .

لكن :

يبدو في آية سورة الانعام عند قوله تعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ ﴾ (٣)

مايشبه معارضة هذه الآية لآية سورة القيامة :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٤) لكن الجمع بين الآيتين ممكن .

---

(١) تضارون : يروى بالتشديد والتخفيف ، فالتشديد بمعنى لا تتخالفون ولا تتجادلون في صحة النظر اليه ، لوضوحه وظهوره ، واما التخفيف فهو من الضير ، لغة في الضر ، والمعنى فيه كالاول . النهاية في غريب الحديث والأثر : جـ ٣ ص ٨٢ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب اثبات روءية الموءمنين في الاخرة لربهم : جـ ٣ ص١٧ .

(٣) الآيـة " ١٠٣ "

(٤) الآيتان : " ٢٢ ، ٢٣ "

يقول ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ (١)

" لا تدركه الابصار في الدنيا ويراه المؤمنون في الآخرة لاخبار الله عز وجل في قوله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢)

وفي رواية أخرى عنه قال : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ ﴾ (٣) اى لا تحيط به وهو يحيط بها " ، وبذلك فسره قتادة وابن المسيب (٤) .

" لان الله سبحانه وتعالى بين انه منزه عن سمات الحدوث ومنها الادراك بمعنى الاحاطة والتحديد كما تدرك سائر المخلوقات " . (٥)

وقال الزجاج :

" المعنى أى لا يبلغ كنه حقيقته كما تقول ادركت كذا وكذا ، لانه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم الاحاديث في الرؤية يوم القيامة " (٦)

---

(١) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ "

(٢) سورة القيامة : الآيتان " ٢٢ ، ٢٣ " ، تفسير القرطبي : حـ ٧ ص ٥٤ .

(٣) سورة الانعام : الآية " ١٠٣ " .

(٤) تفسير البحر المحيط : حـ ٤ ص ١٩٥ .

(٥) تفسير القرطبي : حـ ٧ ص ٥٤ .

(٦) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة .

وقال ابو حيان المفسر : في قوله تعالى :

﴿ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ (١)

دلالة على ان الادراك لا يراد به هنا مجرد الروئية ، اذ لو كان مجرد الروئية لم يكن له تعالى بذلك اختصاص ولا تمدح لانا نحن نرى الابصار ، فدل على ان معنى الادراك : الاحاطة بحقيقة الشيء ، فهو تعالى لا يحيط بحقيقته الابصار ، وهو محيط بحقيقتها ." (٢)

والحق ان المنفي في هذه الآية الكريمة :

﴿ لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾ (٣)

هو الادراك المشعر بالاحاطة بالكنه ، اما مطلق الروئية فلا تدل الآية على نفيه بل هو امر ثابت بالآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة المصرحة بروئية الموئمنين ربهم في الآخرة التي هي افضل اللذات . (٤)

وبعد ،

مما تقدم يتضح ان السيدة عائشة رضي الله عنها انكرت روئية النبي صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء والمعراج ، ومثله عن ابي هريرة ، وهو المشهور عن ابن مسعود وابي ذر رضي الله عنهم . واستدلوا بأدلة جاءت في الصحيح وفيها النص الصريح بنفي روئية الرسول صلى الله عليه وسلم لربه بعيني رأسه في دار الدنيا .

---

(١) سورة الأنعام : الآية " ١٠٣ " .

(٢) تفسير البحر المحيط : حـ ٤ ص ١٩٥ .

(٣) سورة الأنعام : الآية " ١٠٣ " .

(٤) هذا المبحث بكامله ملخص لما جاء في رسالة الدكتور/ احمد الناصر المحمد وهي بعنوان : " روئية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها " وقد تقدم بهذه الرسالة في عام ١٣٩٦ هـ .

وخالف في ذلك واثبت الروءية ابن عباس رضي الله عنهما وكعب الاحبار وكان الحسن البصرى يحلف على ذلك ، وحكى مثله عن ابن مسعود وابي هريرة ، " وروى باسناد لا بأس به عن شعبة عن قتادة عن أنس قال : رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه " (١) ، ونسبه الواحدى الى انس وعكرمه والحسن والربيع.

ولمثبتي الروءية أدلتهم ، التي قلت عندها انه يجب ان يحمل المطلق منها على المقيد حتى يزول التعارض ويستقيم المعني ، ويكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى ربه ولكن ليس بعيني رأسه بل بقلبه .

اما روءية المؤمنين لربهم يوم القيامة فقد اجمع الصحابة والتابعون على ذلك ولا مخالف لهم الا أن مجاهدا رضي الله عنه نقل عنه عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ (٢)

قوله : " تنتظر الثواب من ربها " (٣)

ولعله قول رآه ، وهو غير مسلم ، مع اجماع الصحابة والتابعين على اثبات روءية المؤمنين لربهم يوم القيامة. (٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : جـ ٣ ص ٥ ، كتاب الايمان ، باب اثبات روءية الله.

(٢) سورة القيامة : الآيتان " ٢٢ ، ٢٣ " .

(٣) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٤٥٠ .

(٤) راجع رسالة الماجستير « رؤية الله وتحقيق الكلام فيها » للدكتور : احمد الناصر الحمد . من ص ١٣١ الى ص ١٨٤

المبحث الثاني

مُرتكبُ الكبيرة

مرتكب الكبيرة

ان ارتكب المؤمن بعض الكبائر ولم تكفر بحد أو توبة نصوح ، أو مرض أو مصيبة أو شيء من المكفرات ، فهو محاسب على عمله ، ولكن هل يخلد في النار ؟ ان ذلك يبدو في مواضع من القرآن منها قوله تعالى :

* وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ * (١)

وقوله في سورة النساء :

* وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا * (٢)

وقوله في سورة الجن :

* وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا * (٣)

وفي مواضع من القرآن يبدو ان مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ، منها قوله تعالى في سورة السجدة :

* أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ * (٤)

وقوله : * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ * (٥)

وفي مواضع من القرآن يبدو ان مرتكب الكبيرة مؤمن ، اظهرها ما جاء في سورة الحجرات :

* وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا * (٦)

---

(١) سورة النساء : الآية " ١٤ ".
(٢) الآية : " ٩٣ ".
(٣) الآية : " ٢٣ ".
(٤) الآية : " ١٨ ".
(٥) سورة الانعام : الآية " ١٢١ ".
(٦) الآية : "٩" .

وهذه الآيات خالية من التعارض ، وانما هي تدعو الى نظرة كلية ، بها يستقيم الفهم ، وقبل الخوض في موضوع مرتكب الكبيرة التي لم يتب منها مرتكبها وعرض الأقوال في هذا ابدأ بالقول في انقسام المعاصى الى كبائر وصغائر .

فأقول : تنقسم المعاصي الى كبائر وصغائر ، قال تعالى :

﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ (١)

وقال تعالى في سورة النجم :

﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ (٢)

والمعنى في الآية الاولى :

ان تتركوا أيها المؤمنون الذنوب الكبائر التي نهاكم الله تعالى عنها يمح عنكم صغائر الذنوب .

ومعنى الآية الثانية :

ان الذين يبتعدون عن كبائر الذنوب وعن الفواحش ، الا اللمم - وهو ماقل وصغر من الذنوب - يغفر لهم عز وجل ذنوبهم .

يقول القرطبي :

نهى تعالى فى هذه السورة - اى سورة النساء - عن آثام هي كبائر ووعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر ، ودل هذا على ان من الذنوب

---

(١) سورة النساء : الآية " ٣١ ".

(٢) الآية : " ٣٢ ".

كبائر وصغائر " (١)

فالآيتان الكريمتان اوضحتا انقسام الذنوب الى كبائر وصغائر .

----

(١) تفسير القرطبي : حـ ٥ ص ١٥٨ .

ونقل الامام النووى قول ابي حامد الغزالي : " انكار الفرق بين الصغيرة والكبيرة لا يليق بالفقه وقد فهما من مدارك الشرع " ثم قال : " ولا شك في كون المخالفة قبيحة جدا بالنسبة الى جلال الله تعالى ، ولكن بعضها اعظم من بعض ، وتنقسم باعتبار ذلك الى ماتكفره الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم يوم عرفة أو صوم عاشوراء او فعل الحسنة اوغير ذلك مما جاءت به الاحاديث الصحيحة ، والى مالا يكفره ذلك كما ثبت في الصحيح مالم يغش كبيره ، فسمى الشرع ماتكفره الصلاة ونحوها صغائر ومالا تكفره كبائر ، ولا شك في حسن هذا ، ولا يخرجها هذا عن كونها قبيحة بالنسبة الى جلال الله تعالى فانها صغيرة بالنسبة الى مافوقها لكونها اقل قبحا ، ولكونها ميسرة التكفير "

صحيح مسلم بشرح النووى ،كتاب الايمان ، باب تعريف الكبيرة والصغيرة : حـ ٢ ص ٨٥ .

تعريـف الكبيرة :

وردت اقوال متعددة للعلماء في تعريف الكبيرة ، منها :

١) ان الكبيرة مايترتب عليها حد او توعد عليها بالنار او اللعنة او الغضب وقريب من هذا التعريف قول ابن عباس رضي الله عنهما والحسن البصري في تعريف الكبيرة وهو :

كل ذنب ختمه الله تعالى بنار أوغضب اولعنة اوعذاب .

وهذا التعريف مقبول .

٢) كل مانهى الله عنه فهو كبيرة ، لان كل مخالفة بالنسبة الى جلال الله تعالى كبيرة ، وهذا التعريف مروى عن ابن عباس(١) .

٣) قال ابن مسعود : الكبائر ، مانهى الله عنه في سورة النساء من الآية الاولى الى ثلاث وثلاثين آية منها . (٢)

٤) وقيل ما اتفقت الشرائع على تحريمه .

لكن هذا التعريف يقتضي ان شرب الخمر والفرار من الزحف والتزوج ببعض المحارم ونحو ذلك ليس من الكبائر ،وان الكذبة الواحدة الخفيفة من الكبائر . (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ،كتاب الايمان ، باب تعريف الكبيرة حـ٢ص ٨٤.

(٢) تفسير القرطبي : حـ ٥ ص ١٥٩ .

(٣) راجع في تعريف الكبيرة ، شرح العقيدة الطحاوية : ص ٤١٧ .

٥) قال امام الحرمين (١) : " كل جريمة تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة من الكبائر " .

وقال الامام ابو محمد بن عبد السلام : " لم اقف لاحد من العلماء على ضابط للكبيرة لا يسلم من الاعتراض ، والاولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها بدينه اشعارا دون الكبائر المنصوص عليها " (٢)

وهذا التعريف ارضى ، لان من تعرض بالسب او الشتم لله عز وجل او لرسوله ، أو كذب واستهان بالرسل ، او القى المصحف في الاماكن القذرة استهانة به او نحو ذلك ، فهي من الكبائر وان لم يصرح عز وجل في القرآن الكريم او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بأنها من الكبائر .

تعريف الصغيرة :

تعددت ايضا آراء العلماء في تعريف الصغيرة ، ومن ذلك :

١) ان الصغيرة مادون الحدين ، حد الدنيا وحد الآخرة .

٢) هي كل ذنب لم يختم بلعنة او غضب أو نار.

٣) الصغيرة ماليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة .

وهذا التعريف مقبول لما يأتي :

أ - لانه مأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينه واحمد بن حنبل

---

(١) هو الامام عبد الملك بن الشيخ ابي محمد الجويني عاش في الفترة ما بين ٤١٩ - ٤٧٨ هـ ، طبقات الشافعية للاسنوى ، جـ ١ ص ٤٠٩ ط / دار العلوم ، ١٩٨١ م.

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : جـ ١٠ ص ٤١٠ ، كتاب الادب ، باب عقوق الوالدين من الكبائر .

ب - قال تعالى : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً ﴾ (١)

فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أوعد بغضب الله ولعنته وناره .

جـ هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر (٢)

د - ان هذا الضابط مرجعه الى ماذكره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في الذنوب فهو حد يتلقى من خطاب الشارع (٣) .

اكبر الكبائر :

يرى العلماء انه لا انحصار للكبائر في عدد معين وقد سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الكبائر اسبع هي ، فقال : هي الى السبعين ، ويروى الى السبعمائة اقرب .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال الكبائر أربعة : اليأس من روح الله ، والقنوط من رحمة الله ، والامن من مكر الله ، والشرك بالله (٤)

وقد وردت عدة أحاديث صحيحة في اكبر الكبائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرويها عنه صحابته رضوان الله عليهم ، منها مارواه :

(١) عبد الرحمن بن ابي بكرة عن ابيه قال : " كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الا أنبئكم بأكبر الكبائر ، ثلاثا : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وشهادة الزور أو قول الزور " (٥)

---

(١) سورة النساء : الآية " ٣١ " .
(٢) راجع في تعريف الصغيرة شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤١٨ .
(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: جـ ١١ ص ٦٥٥ .
(٤) تفسير القرطبي : جـ ٥ ص ١٦٠
(٥) صحيح مسلم بشرح النووي ،كتاب الايمان ، باب اكبر الكبائر : جـ ٢ ص ٨١

٢) وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكبائر ، قال : الشرك بالله وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وقول الزور . (١)

٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم ، واكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (٢) .

٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يارسول الله : وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : نعم ، يسب ابا الرجل فيسب اباه ، ويسب امه فيسب امه ." (٣)

فهذه اربعة احاديث صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اكبر الكبائر ، الحديث الاول ذكر ثلاثا من الكبائر ، والحديث الثاني اضاف كبيرة رابعة وهي قتل النفس ، وفي الحديث الثالث ذكر سبعا من الموبقات - وهي المهلكات - ، والحديث الرابع جاء فيه ان من الكبائر شتم الرجل والديه ، فهذه مجتمعة باسقاط المكرر في بعض الاحاديث عشرة كبائر ، فمعنى هذا ان الكبائر لا تنحصر في عدد معين .

يقول الامام النووى : " . . . اما قوله صلى الله عليه وسلم الكبائر سبع ، فالمراد به من الكبائر سبع ، فان هذه الصيغة وان كانت للعموم فهي مخصوصة بلا شك وانما وقع الاقتصار على هذه السبع ، وفي الرواية الاخرى ثلاث ، وفي الاخرى اربع لكونها افحش الكبائر مع كثرة وقوعها لا سيما فيما كانت عليه الجاهلية ". (٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب اكبر الكبائر : حـ٢ ص ٨٢ .
(٢) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة .
(٣) المرجع السابق ، نفس الجزء ص ٨٣ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٢ ص ٨٤ .

حكم مرتكب الكبيرة :

المشهور عند أهل السنة ان الذنوب جميعها تغفر بالتوبة (١) بلا استثناء بين ذنب كبير أو صغير وانها تغفر لمن شاء الله ولو مات على غير توبة الا ذنب واحد الا وهو الشرك بالله ، فان المشرك ان مات ولم يتب فان الله عز وجل لا يغفر له بدليل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢)

----

(١) طريق التوبة هو السبيل الوحيد لرجوع الانسان الى طريق الاستقامة ومواقع التقوى ، لذلك دعا الله تعالى عباده ليتوبوا اليه ، واعلن انه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا . ولولا ان باب التوبة مفتوح لكل العصاة - مالم يحضر الموت - لتحول العاصي الذى ييأس من التوبة والغفران الى مجرم طاغ وشيطان خبيث .

وقد ذكر العلماء شروط قبول التوبة الخصها فيما يلي :

اذا كانت التوبة من معصية لا تتعلق بحق انسان فلقبولها هذه الشروط :

أ - ان يقلع المذنب عن المعصية.

ب - ان يندم على فعلها .

حـ - ان يعزم على ان لا يعود اليها ابدا .

واذا كانت التوبة من معصية تتعلق بحق انسان فلقبولها شرط رابع يضاف الى الشروط الثلاثة السابقة وهو : ان يؤدى لصاحب الحق حقه ، او نظير حقه ، او يحصل على مسامحته وعفوه من غير اكراه . فان تعذر عليه ان يسترضي اصحاب الحقوق ، يسأل الله ان يتولى عنه ارضاءهم .

من كتاب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، للنووى : ص ١١ . بتصرف.

(٢) سورة النساء : الآية " ١١٦ ".

وقال تعالى :

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (١)

هذه الآية دعوة للمذنبين الذين افرطوا في الجناية على انفسهم بالمعاصي ان لا ييأسوا من مغفرة الله ورحمته لان الله تعالى يعفو عن جميع الذنوب لمن يشاء، وان كانت مثل زبد البحر فهوعز وجل عظيم المغفرة واسع الرحمة.

ويتبين من هاتين الآيتين ان غفران الذنوب بالتوبة أمر لا خلاف فيه ، جاء في شرح العقيدة الطحاوية :

" غفران الكبائر والصغائر بعد التوبة مقطوع به ، غير متعلق بالمشيئة " (٢)

لكن ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما بسند صحيح ان قاتل المؤمن عمدا لا توبة له ، وممن ذهب الى انه لا توبة له من السلف :

" زيد بن ثابت ، وابو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وابو سلمة بن عبد الرحمن وعبيد بن عمير ، والحسن ، وقتادة والضحاك بن مزاحم " (٣)

وعن ابي الدرداء قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" كل ذنب عسى الله ان يغفره الا من مات مشركا ، او من قتل مؤمنا متعمدا " (٤)

---

(١) سورة الزمر : الآية " ٥٣ ".

(٢) ص ٤٢٠ .

(٣) تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٥٣٦ .

(٤) الحديث في سنن ابي داود عن خالد بن دهقان قال : حدثني ابن ابي زكريا عن ام الدرداء عن ابي الدرداء ، وله سند آخر حدث به هانيء بن كلثوم بن محمود بن الربيع عن عبادة بن الصامت يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عون المعبود كتاب الفتن ، باب في تعظيم قتل المؤمن : حـ ١١ ص ٣٥١

قال الذهبي في " الكاشف " : خالد بن دهقان بن عبد الله بن ابي زكريا ثقة : حـ ١ ص ٢٠٢ .

وقال : عبد الله بن ابي زكريا الخزاعي عن ام الدرداء . قال الاوزاعي : لم يكن بالشام رجل يفضل عليه . الكاشف : حـ ٢ ص ٧٨ . وبذلك البيان يكون الحديث صحيحا . وقال الهيثمي بعد ان اورد حديث عبادة بن الصامت : " رواه البزار ورجاله ثقات " مجمع الزوائد : حـ ٧ ص ٢٩٦ .

وروى ابن مردويه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" من قتل مؤمنا متعمدا فقد كفر بالله عز وجل " (١)

وروى الامام احمد بسنده عن حميد قال : اتاني ابو العالية انا وصاحب لي فقال لنا : هلما فأنتما اشب سنا مني ، واوعى للحديث مني فانطلق بنا الى بشر ابن عاصم ، فقال له ابو العالية : حدث هؤلاء حديثك فقال : حدثنا عقبة بن مالك الليثي قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأغارت على قوم فشد مع القوم رجل فاتبعه رجل من السرية شاهرا سيفه. فقال الشاد من القوم : اني مسلم، فلم ينظر فيما قال ، قال : فضربه فقتله فنمى الحديث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه قولا شديدا ، فبلغ القاتل ، فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب اذ قال القاتل : والله ماقال ماقال الا تعوذا من القتل ، قال : فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه وعمن قبله من الناس وأخذ في خطبته ، ثم قال ايضا : يارسول الله ماقال الذى قال الا تعوذا من القتل ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرف المساءة في وجهه فقال : ان الله ابى على من قتل مؤمنا ثلاثا " (٢)

----

(١) قال ابن كثير : هذا حديث منكر فاسناده تكلم فيه جدا .
تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٥٣٦ .

(٢) قال الحافظ الهيثمي : " رواه ابو يعلى واحمد باختصار الا انه قال : عقبة بن مالك بدل عقبة بن خالد ، والطبراني بطوله ورجاله رجال الصحيح غير بشر بن عاصم الليثي وهو ثقه مجمع الزوائد : حـ ٧ ص ٢٩٦ راجع مسند احمد : حـ ٤ ص ١١٠ .

واليك الآثار عن ابن عباس رضي الله عنهما كما في صحيح البخارى وتفسير ابن جرير الطبرى :

١) روى الطبرى بسنده عن سالم بن ابي الجعد قال : " كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره ، فأتاه رجل فناداه : ياعبد الله بن عباس ، ماترى في رجل قتل مؤمنا متعمدا ؟ فقال : ﴿ جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (١) قال : أفرأيت ان تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ؟ قال ابن عباس: ثكلته امه ! وانى له التوبة والهدى فوالذى نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : " ثكلته امه ! رجل قتل رجلا متعمدا جاء يوم القيامة أخذا بيمينه أو بشماله ، تشخب أوداجه (٢) دما ، من قبل عرش الرحمن ، يلزم قاتله بيده الاخرى ، يقول : سل هذا فيم قتلني ؟ " والذى نفس عبد الله بيده لقد انزلت هذه الآية فما نسختها من آية حتى قبض نبيكم صلى الله عليه وسلم ، ومانزل بعدها من برهان " (٣)

وفي رواية أخرى عنه ان الآية :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عظيمًا ﴾ (٤)

---

(١) سورة النساء : الآية " ٩٣ ".

(٢) الشخب : السيلان ، النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٢ ص ٤٥٠.
والودج : ما احاط بالعنق من العروق ، النهاية في غريب الحديث والأثر : حـ ٥ ص ١٦٥ .

(٣) تفسير الطبرى : حـ ٩ ص ٦٣ . انظر تحفة الاحوذى ، كتاب التفسير ، سورة النساء ، وقال ابو عيسى : هذا حديث حسن : حـ ٨ ص ٣٨٤.

(٤) سورة النساء : الآية " ٩٣ ".

نزلت بعد قوله تعالى في سورة الفرقان :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ (١)

وعن زيد بن ثابت نحوه ، وان آية النساء نزلت بعد آية الفرقان بستة اشهر وفي رواية بثمانية أشهر . (٢)

وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال : امرني عبد الرحمن بن ابزى ان أسأل ابن عباس عن هاتين :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا .. ﴾ (٣)

فسألته فقال : لم ينسخها شيء ، وعن :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ .... ﴾ (٤)

قال : نزلت في أهل الشرك (٥)

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآيتين :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ... ﴾ (٦) ﴿ ومن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا .... ﴾ (٧)

---

(١) الآيات : " ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ " ، تفسير الطبرى : حـ ٩ ص ٦٧ .

(٢) تفسير الطبرى : حـ ٩ ص ٦٨ .

(٣) سورة النساء : الآية " ٩٣ " .

(٤) سورة الفرقان : الآية " ٦٨ " .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التفسير باب قوله (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ..) حـ ٦ ص ١٣٩

(٦) سورة الفرقان : الآية " ٦٨ " .

(٧) سورة النساء : الآية " ٩٣ " .

قال : " وهذه آية مكية - اى آية سورة الفرقان - نسختها آية مدنية التي في سورة النساء " (١)

محاولة للتوفيق بين روايات ابن عباس المتقدمة والتي يبدو ظاهرها التعارض فهو - رضي الله عنهما - يقول مرة : ان آية الفرقان منسوخة ، وأخرى يقول : ان آية الفرقان نزلت في أهل الشرك .

يقول ابن حجر :

" ... ويمكن الجمع بين كلاميه بأن عموم التي في الفرقان خص منها مباشرة المؤمن القتل متعمدا ، وكثيرا من السلف يطلقون النسخ على التخصيص ، وهذا اولى من حمل كلامه على التناقض وأولى من دعوى انه قال بالنسخ ثم رجع عنه " (٢)

وبعد أن عرضت أقوال بعض الصحابة والتابعين في قوله تعالى :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً ... ﴾ (٣)

وكان قول بعضهم ان قاتل المؤمن عمدا مخلد في النار ، اذن كيف يستقيم خلود المؤمن مرتكب الكبيرة التي لم يتب منها في النار ؟ والله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٤)

ومعلوم أن قتل المؤمن عمدا وان كان كبيرة الا انه دون الشرك بالله ؟

للرد على هذا الأمر عدة اجابات ، منها :

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ ....) : جـ ٦ ص ١٣٨ .

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، باب (إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ....) : جـ ٨ ص ٤٩٦ .

(٣) سورة النساء : الآية " ٩٣ ".

(٤) سورة النساء : الآية " ٤٨ " .

(١) مارواه الطبرى عن ابي مجلز وابي صالح وارتضاه ان معنى الآية :

﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ (١)

ان جازاه وان شاء تجاوز عنه (٢)

(٢) الاجماع على ان الآية نزلت في مقيس بن ضبابة ، فقد اخرج ابن جرير من طريق ابن جريج عن عكرمة ، ان رجلا من الأنصار قتل اخا مقيس بن ضبابة فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم الدية فقبلها ، ثم وثب على قاتل اخيه فقتله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لا أومنه في حل ولا حرم) ، فقتل يوم الفتح ، قال ابن جريج ، وفيه نزلت هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا .. ﴾ (٣)

وفي القرطبي :

وبعد ان نقل اجماع العلماء على ان الآية نزلت في مقيس بن ضبابة ، قال :

ان مقيس بن ضبابة كان قد اسلم هو وأخوه هشام بن ضبابة ،فوجد هشام قتيلا في بني النجار فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فكتب له اليهم ان يدفعوا اليه قاتل اخيه وارسل معه رجلا من بني فهر ، فقال بنو النجار : والله مانعلم له قاتلا ولكنا نؤدى الدية ،فأعطوه مائة من الابل ، ثم انصرفا راجعين الى المدينة ، فعدا مقيس على الفهرى فقتله بأخيه وأخذ الابل ، وانصرف الى مكة كافرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا أومنه في حل ولا حرم) وأمر بقتله يوم فتح مكة وهو متعلق بالكعبة.(٤)

وفي رواية القرطبي هذه زيادة مفيدة وهو ان مقيسا هذا ارتد عن الاسلام ، ومعنى هذا ان الحكم هنا خاص بالمشركين ولا يحمل على المسلمين . وفي هذا يقول القرطبي : " واذا ثبت هذا بنقل اهل التفسير وعلماء الدّين فلا ينبغي ان يحمل على المسلمين ثم ليس الاخذ بظاهر الآية بأولى من الأخذ بظاهر قوله :

﴿ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴾ (٥)

---

(١) سورة النساء : الآية " ٩٣ ". (٢) تفسير الطبرى : جـ ٩ ص ٦١

(٣) تفسير الطبرى : جـ ٩ ص ٦١ ، واسباب النزول : الواحدى ص ٩٨ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب التفسير، باب: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ) : جـ ٨ ص ٢٥٨.

(٤) تفسير القرطبي : جـ ٥ ص ٣٣٣.

(٥) سورة هود : الآية " ١١٤ ".

وقوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ (١)

وقوله : ﴿ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (٢)

والأخذ بالظاهرين تناقض فلا بد من التخصيص (٣)

٣) روى القرطبي عن سعد بن عبيدة قال : " جاء رجل الى ابن عباس فقال : ألمن قتل مؤمنا متعمدا توبة ؟ قال : لا ، الا النار . قال : فلما ذهب قال له جلساؤه : اهكذا كنت تفتينا ؟ كنت تفتينا أن لمن قتل توبة مقبولة ، قال : اني لأحسبه رجلا مغضبا يريد ان يقتل مؤمنا . قال : فبعثوا في اثره فوجدوه كذلك (٤)

معنى هذا أن ابن عباس رضي الله عنهما افتى بعدم قبول توبة قاتل المؤمن متعمدا في موقف خاص وهو ان السائل كان رجلا مغضبا ويريد أن يقتل مؤمنا ، وعندما بعثوا بعض الناس في اثر السائل وجدوه كما قال .

فدرءا لوقوع مفسدة القتل وما يترتب عليه كانت فتوى ابن عباس هذه .

٤) قال النحاس : القول فيه عند العلماء أهل النظر انه محكم وانه يجازيه اذا لم يتب ، فان تاب فقد بين أمره بقوله :

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ ﴾ (٥)

فهذا لا يخرج عنه ، والخلود لا يقتضي الدوام ، قال الله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ ﴾ (٦)

---

(١) سورة الشورى : الآية " ٢٥ "

(٢) سورة النساء : الآية " ٤٨ ".

(٣) تفسير القرطبي : حـ ٥ ص ٣٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، نفس الجزء والصفحة.

(٥) سورة طه : الآية " ٨٢ ".

(٦) سورة الانبياء : الآية " ٣٤ " .

وقال تعالى : ﴿ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴾ (١)

وقال زهير : ولا خالدا الا الجبال الرواسيا

وهذا كله يدل على ان الخُلْد يطلق على غير معنى التأبيد ، فان هذا يزول بزوال الدنيا . وكذلك العرب تقول : لأخلدن فلانا في السجن ، والسجن ينقطع ويفنى ، وكذلك المسجون . ومثله قولهم في الدعاء : خلد الله ملكه وأبّد أيامه . (٢)

أقول :

ان جميع الذنوب التي يرتكبها الانسان سوى الشرك بالله ، عسى ان يغفرها الله عز وجل لمن يشاء من عباده ، فكل كبيرة لم يتب منها مرتكبها فهو في مشيئة الله ان شاء عفا عنه بفضله ورحمته وان شاء عاقبه بمقتضى عدله وحكمته مالم تكن كبيرته شركا بالله .

فمن ارتكب كبيرة محاسب على عمله ، والله تعالى يوازن بين اعماله الصالحة وبين جميع معاصيه ان لم يتب منها ، فان رجحت حسناته فهو الى الجنة باذن الله وكذلك اذا تساوت حسناته وسيئاته ، قال تعالى في كتابه العزيز :

﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾ ﴿ وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ (٣)

فالله تعالى يقيم الموازين العادلة التي توزن بها الاعمال يوم القيامة ، فلا ينقص محسن من احسانه ، ولا يزاد مسيء على اساءته ، وان كان العمل الذى عمله الانسان زنة حبة من خردل يجاء بها .

---

(١) سورة الهمزة : الآية " ٣ " .

(٢) تفسير القرطبي : حـ ٥ ص ٣٣٥ .

(٣) سورة الانبياء : الآية " ٤٧ " .

وان رجحت سيئاته فانه يدخل النار ، فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من اثم ، ثم يخرج منها بعد ان يتطهر ، وبعد ان يوفيه الله عز وجل جزاءه بمقتضى عدلـــه وحكمته .

روى الامام مسلم بسنده عن ابي سعيد الخدرى رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل اهل الجنة الجنة ، واهل النار النار ، ثم يقول تعالى : أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل (١) من ايمان ، فيخرجون قد اسودوا ، فيلقون في نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل ، ألم تر أنهـــا تخرج صفراء ملتوية. (٢)

وعن أنس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يخرج من النـــار من قال لا اله الا الله ، وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال : لا اله الا الله وفي قلبه وزن بره من خير ، ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفـــي قلبه وزن ذرة من خير ". (٣)

ثم يشفع الرسول صلى الله عليه وسلم ، بعد ان يأذن الله له ، وبعد انتهـــاء مدة العذاب في خروج العصاة من النار ، فقد ثبت في الاحاديث الصحيحة ان النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لاهل الكبائر بعد دخولهم النار ، فيقبل الله شفاعته فيهم ، ويخرجهم منها .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل نبي دعوة يدعوها فأريد ان اختبيء دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة " (٤)

----

(١) الخردل هو: حب شجر مسخن ، ملطف ، وذكر له صاحب القاموس بعض الصفات الطبية الأخرى : حـ ٢ ص ٣٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ،كتاب الايمان ، اخراج عصاة المؤمنين من النار : حـ ٣ ص ٣٥.

(٣) صحيح البخارى ، كتاب الايمان ، باب زيادة الايمان ونقصانه : حـ ١ ص ١٣.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب الشفاعة : حـ ٣ ص ٧٣.

وثبت في الاحاديث الصحيحة (١) خبر الاسرائيلي الذى قتل مائة نفس ، ثم سأل عالما هل لي من توبة ؟ فقال : ومن يحول بينك وبين التوبة ، ثم ارشده الى بلد يعبد الله فيه ، فهاجر اليه فمات في الطريق فقبضته ملائكة الرحمة.

واذا قبل عز وجل التوبة من رجل من بني اسرائيل قتل مائة نفس. فلأن تكون التوبة مقبولة من المسلمين من باب أولى .

---

(١) روى الامام مسلم بسنده عن ابي سعيد الخدرى ، ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا ، فسأل عن اعلم اهل الارض فدل على راهب ، فأتاه ، فقال : انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ،فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم ، فقال : انه قتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينه وبين التوبة . انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون الله فاعبد معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء ، فانطلق حتى اذا نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله ، وقالت ملائكة العذاب : انه لم يعمل خيرا قط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم ، فقال : قيسوا مابين الارضين فالى ايتهما كان ادنى فهوله ، فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة . "

صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب التوبة ، باب قبول توبة القاتل وان كثر قتله : حـ ١٧ ص ٨٢ .

وبعـــد ،

فما رآه عبد الله بن عباس ، وزيد بن ثابت ، وابو هريرة ، وعبد الله بن عمر ، وابو سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد بن عمير ، والحسن ، وقتاده ، والضحاك ابن مزاحم من ان قاتل المؤمن عمدا لا توبة له غير مسلم ، بدليل ان عبد الله بن عباس وابن عمر ، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم " أفتوا بأن له توبة " (١) ولعل ابن عباس افتى بعدم قبول توبة القاتل عمدا ، في موقف خاص وقد سبقت الاشارة اليه (٢) ، وخلاصته ان السائل كان رجلا مغضبا يريد ان يقتل ، فأفتاه بذلك زجرا وتهديدا له من ارتكاب معصية القتل .

وقد ورد اثر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في رجوعه عن قوله ان القاتل لا توبة له وهو اثر مشهور ، اى انه كان يقول اولا بخلود قاتل العمد في النار أخذا من ظاهر الآية ، ثم رجع عن هذا الرأى . والآية مؤولة على من استحل القتل فيكفر بذلك اوعلى طول العذاب وهو معنى الخلود . (٣)

اما فتوى ابن عمر وزيد بن ثابت القائلة بعدم قبول توبة القاتل فلعلها :

" تحمل ايضا على من استحل القتل اوعلى الزجر والتنفير ، وذلك لان جمهور السلف وجميع اهل السنة حملوا ماورد من ذلك على التغليظ وصححوا توبة القاتل كغيره " (٤) لان الاحاديث الصحيحة مصرحة بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لاهل الكبائر من امته فيخرجون من النار قد اسودوا فيلقون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل وعسى ان يعوض الله تعالى المقتول بما شاء من فضله من نعيم الجنة او يرفع درجته .

---

(١) تفسير القرطبي : جـ ٥ ص ٣٣٣ .

(٢) في ص (٢٢٦) من هذا الموضوع .

(٣) حسن الأثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر للشيخ محمد السيد درويش ص ٥٤١ .

(٤) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب الفتن ، باب في تعظيم قتل المؤمن : جـ ١١ ص ٣٥٢ .

المبحث الثالث

الجـــن

الجـــــن

تعـرض القرآن الكريم للحديث عن الجن في اكثر من ثلاثين آية ، وقد خصص عز وجل سورة كاملة ذكر فيها قصة نفر منهم استمعوا للقرآن الكريم مـــن تلاوة الرسول صلى الله عليه وسلم فآمنوا ثم تولوا الى قومهم منذرين .ولا نعرف من حقيقتهم الا ماجاءنا عن طريق الخبر الصادق من الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأبدأ أولا بالتعريف بالجن :

الجن في اللغـة :

الجن بالكسر خلاف الانس والواحد جني ، يقال : سميت بذلـــك لانها تستتر ولا ترى .

قال الراغب الاصبهاني : " اصل الجن الستر عن الحاسة ، يقال : جنه الليل واجنه وجن عليه فجنه ستره ". (١)

وكانوا في الجاهلية يسمون الملائكة جنا لاستتارهم عن العيون . (٢)

الشيطان في اللغـة :

الشيطان معروف ، يقال : من شطن اذا بعد فيمن جعل النون اصلا وقولهم الشياطين دليل على ذلك ، وقيل : هو من شاط يشيط اذا احتـــرق غضبا .

---

(١) المفردات في غريب القرآن : ص ٩٨ .

(٢) تاج العروس : حـ ٩ ص ١٦٥ .

وقال ابوعبيد : الشيطان كل عات متمرد من انس او جن اودابة

قال جرير :

ايام يدعونني الشيطان من غزل

وهن يهوونني اذ كنت شيطانـــا (١)

ابليس في اللغة :

يقال : ابلس الرجل : قطع به ، وابلس سكت ، وأبلس مـــن رحمة الله ، اى : يئس وندم ومنه سمى ابليس وكان اسمه عزازيـــل ، وابليس مشتق منه لانه ابلس من رحمة الله اى أويس ، وقيل لم يصرف لانـــه اعجمي معرفه.

وقيل : ان ابليس سمى بهذا الاسم لانه لما أويس من رحمة الله أبلس يأسا . (٢)

الجن على مراتـــب :

قال ابن عبد البر : الجن على مراتب ، فالاصل جن فان خالط الانس قيل عامر ، ومن تعرض منهم للصبيان قيل ارواح ، ومن زاد في الخبث ، قيـل شيطان ، فان زاد على ذلك قيل مارد ، فان زاد على ذلك قيل عفريت .

وقال الراغب : العفريت من الجن هو العارم الخبيث ، واذا بولغ فيه قيل عفريت نفريت

وقال ابن قتيبة : العفريت الموثق الخلق ، واصله من العفر وهو التراب ، ورجـل عفر بكسر اوله وثانيه وتثقيل ثالثه اذا بولغ فيه ايضا (٣).

----

(١) تاج العروس : حـ ٩ ص ٢٥٣.

(٢) لسان العرب : مادة (بلس) حـ ١ ص ٢٥٦.

(٣) فتح البارى ، كتاب احاديث الانبياء باب قوله تعالى : * ووهبنـــا لداود سليمان .... * حـ ٦ ص ٤٦٠.

الخلاصــــة :

ابليس ابو الشياطين واصلهم الاول ، والشيطان : هو المتمــرد من عالم الجن .

قال في الفتح : " الجن والشياطين مسمى واحد وانما صارا صنفيــن باعتبار الكفر والايمان فلا يقال لمن آمن منهم انه شيطان " (١)

طوائفهــم :

ينقسم الجن الى فريقين : موءمنين وكافرين وهذا تابع لما منحــه الله تعالى اياهم من الارادة ، قال تعالى في سورة الجن :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا المُسْلِمُونَ وَمِنَّا القَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴾ وَأَمَّا القَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (٢)

وقال تعالى :

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ (٣)

والمعـــنى :

ان منهم قوما صالحين ابرارا ، عاملين بما يرضى الله تعالى ، ومنهـــم قوم ليسوا صلحاء فهم طرائق مختلفة .

قال ابن عباس ومجاهد في قوله (كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا) ، " اى منا الموءمن ومنا الكافر " (٤)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة : (قل اوحى اليّ) : حـ ٨ ص ٦٧٥ .

(٢) الآيتان : " ١٤ ، ١٥ ".

(٣) سورة الجن : الآية " ١١ ".

(٤) تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ٤٣٠ .

مم خلقـــوا ؟ :

الجن مخلوقات سفلية ، مخلوقون من مارج من نار ، يقول تعالى : في كتابه الكريم مبينا المادة التي خلق منها الجان :

* وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ * (١)

هذه الآية تبين ان الله عز وجل خلق الجن من لهب خالـــــــص لا دخان فيه .

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ * قال : " من خالص النار " . (٢)

وفي رواية اخرى عنه قال : " خلقت الجن من مارج ، وهو لسان النار الذى يكون في طرفها اذا التهبت ". (٣)

وعن مجاهد قال : " المارج اللهب الاصفر والاخضر الذى يعلـــو النار اذا اوقدت ". (٤)

وقال تعالى في سورة الحجر :

* وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ * (٥)

---

(١) سورة الرحمن : الآية " ١٥ ".

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب صفـــة النار وانها مخلوقة : حـ ٦ ص ٣٣٣

(٣) فتح البارى كتاب بدء الخلق : باب صفة النـار وانها مخلوقـــة : حـ ٦ ص ٣٣٣ .

(٤) المرجع السابق ، كتاب التفسير ، سورة الرحمن : حـ ٨ ص ٦٢٢ .

(٥) الآيـــة : " ٢٧ ".

عن ابن عباس قال : " السموم الحارة التي تقتل " . (١)

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " السموم التي خلق منها الجان جزء من سبعين جزءا من نار جهنم ثم قرأ : ﴿ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾ (٢) .

فالسموم التي خلق منها الجان هي النار الشديدة الحرارة التي تنفذ في الجسم فتؤدى الى القتل ، ومعنى الآيتين متقارب .

اثبات وجودهم :

الايمان بوجود الجن جزء من الايمان بالغيب الذى امرنا به والمتدبر لآيات القرآن الكريم يجدها تصور ابليس بصوره الذى يتكلم ويجادل ويعص الله ويستكبر عن السجود لآدم ، ويعطي الوعود والاماني الى غير ذلك من الامور التي مابعد الحق فيها الا الضلال . والصفحات التالية من هذا المبحث تؤكد هذا الأمر .

----

(١) الدر المنثور : حـ ٤ ص ٩٨ .

(٢) سورة الحجر : الآية " ٢٧ " ، الدر المنثور : حـ ٤ ص ٩٨ .

امكان روءيتهم :

كان الجن يظهرون لسيدنا سليمان عليه السلام ، ويسخرهم في اعمال جسيمة ، كما كان عليه السلام مسلطا على تعذيب المسيئين منهم فيقيدهم في الاغلال وقد ثبت ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ في الأَصْفَادِ ﴾ (١)

ومن شأن الجن ان يرونا من حيث لانراهم ، قال تعالى :

﴿ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ (٢)

قال قتادة : - رحمه الله - في الآية : " والله ان عدوا يراك من حيث لاتراه لشديد الموءنة الا من عصم الله " (٣)

وقال مجاهد : " سأل - اى الشيطان - ان يرى ولا يرى ... فأجيب " (٤)

وقال الامام الشافعي : " من زعم انه يرى الجن ابطلنا شهادته ، الا ان يكون نبيا " (٥) ، قال ابن حجر تعقيبا على قول الامام الشافعي : " وهذا محمول على من يدعي روءيتهم على صورهم التي خلقوا عليها واما من ادعى انه يرى شيئا منهم بعد ان يتطور على صور شيء من الحيوان فلا يقدح فيه " (٦)

---

(١) سورة ص : الآيتان : " ٣٧ ، ٣٨ " .

(٢) سورة الاعراف : الآية " ٢٧ " .

(٣) الدر المنثور : جـ ٣ ص ٧٦ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم " جـ ٦ ص ٣٤٤ .

(٦) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

ومعنى هذا ان من شأنهم القدرة على التشكل بالاشكال الجسمية التي يمكن ان نراها بحسب استعداداتنا البشرية فقد جاء في طائفة من الاخبار ظهور بعض الشياطين للانس باشكال جسمانية مرئية منها ماحدث في غزوة بدر .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من بني مدلج في صورة سراقة بن مالك ابن جعشم فقال الشيطان للمشركين ﴿ لَاغَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ ﴾ (١) ، فلما اصطف الناس اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين ، واقبل جبريل عليه السلام الى ابليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل : ياسراقة اتزعم انك لنا جار فقال : ﴿ إِنِّي أَرَى مَالَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٢)

الجن لا يعلمون الغيب :

العلم بما غاب عن الابصار مما استأثر الله تعالى به فلا يطلع على غيبه احدا من خلقه الا من اختاره الله وارتضاه لرسالته ، فيظهره الله على مايشاء من الغيب ويرسل من امام الرسول ومن خلفه ملائكة وحرسا يحفظونه من الجن ويحرسونه في ضبط مايلقيه تعالى اليه من علم الغيب .

---

(١) سورة الانفال : الآية " ٤٨ ".

(٢) سورة الانفال : الآية " ٤٨ " والرواية من تفسير ابن كثير : جـ ٢ ص ٣١٧ .

قال تعالى في سورة الجن :

﴿ عَالِمُ الغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ على غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ (١)

وان كان الامر كذلك فان الجن لا يعلمون الغيب بدليل قوله تعالى :

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ المَوْتَ مَادَلَّهُمْ على مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ مَا لَبِثُوا في العَذَابِ المُهِينِ ﴾ (٢)

يذكر عز وجل في هذه الآية الكريمة كيفية موت سيدنا سليمان عليه السلام وكيف ان موته عمي على الجن ومادلهم على موته عليه السلام الا تلك الدابة تأكل عصاه التي كان متوكئا عليها ، فلما سقط عليه السلام عن عصاه اتضح للجن انهم لو كانوا يعلمون الغيب كما زعموا مامكثوا في الاعمال الشاقة تلك المدة .

عن ابن عباس قال : " لبث سليمان عليه السلام على عصاه حولا بعد ما مات ثم خرّ على رأس الحول فأخذت الانس عصا مثل عصاه ودابة مثل دابته فأرسلوها عليها فأكلتها في سنة " وكان ابن عباس يقرأ : " فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين سنة " (٣)

وعن قتادة قال : " كانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم يعلمون مافي غد فابتلوا بموت سليمان عليه الصلاة والسلام فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته وهم مسخرون تلك السنة ويعملون دائبين فلما خر تبينت الجن وفي بعض القراءة فلما خر تبينت الانس ان لو كان يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين وقد لبثوا يدأبون ويعملون له حولا بعد موته" (٤)

---

(١) الآيتان : " ٢٦ ، ٢٧ ".

(٢) سورة سبأ : الآية " ١٤ ".

(٣) الدر المنثور : حـ ٥ ص ٢٣٠ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

هل كان ابليس من الملائكة ؟

يرى بعض الصحابة والتابعين ان ابليس لم يكن من الملائكة ويرى البعض الاخر انه كان منهم ولعل اختلاف الاقوال عندهم جاء من اجتهادهم في قوله تعالى :

* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * (١)

في هذه الآية يخاطب عز وجل الملائكة ويأمرهم بالسجود لآدم عليه السلام وهذا الخطاب يتناول ابليس لانه كان من الملائكة وعندما أبى السجود واستكبر طرد وابعد من رحمة الله .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : " كان ابليس قبل ان يركب المعصية من الملائكة اسمه " عزازيل " وكان من سكان الارض وكان من اشد الملائكة اجتهادا واكثرهم علما ، فذلك الذى دعاه الى الكبر ، وكان من حي يسمون جنا ".

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : " جعل ابليس على ملك سماء الدنيا ، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم " الجن " وانما سموا الجن لانهم خزان الجنة ، وكان ابليس مع ملكه خازنا ".

وقال قتادة - رحمه الله - في قوله تعالى :

* إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ * (٢)

قال : " كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن " .

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٣٤ " .

(٢) سورة الكهف : الآية " ٥٠ " .

وعن سعيد بن المسيب قال :

" كان ابليس رئيس ملائكة سماء الدنيا " (١)

وقال سعيد بن جبير :

" ان الجن سبط من الملائكة خلقوا من نار وابليس منهم وخلق سائر الملائكة من نور ". (٢)

اما الحسن البصرى - رحمه الله - فقد قال في ابليس :

" هو ابو الجن كما ان آدم عليه السلام ابو البشر ، ولم يكن قط ملكا . " (٣)

والذى تطمئن اليه النفس من هذه الاقوال ان ابليس لم يكن من الملائكة وانما كان من الجن وآية سورة الكهف صريحة في هذا .

قال تعالى :

* وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ * (٤)

---

(١) راجع هذه الآثار في تفسير الطبرى : جـ ١ ص ٥٠٢ ومابعدها .

(٢) تفسير القرطبي : جـ ١ ص ٢٩٤ .

(٣) المحرر الوجيز : جـ ١ ص ١٧٨ .

(٤) الآية " ٥٠ " .

هل هم مكلفون :

الجن مخلوقات قابلة للعلم والمعرفة ، ذات ارادة واختيار فهم مكلفون بالايمان والعبادة منهيون عن الكفر والعصيان ، والدليل على ذلك ماجاء في القرآن الكريم من ذم الشياطين والتوقي من شرهم وما اعد لهم من العذاب الاليم ، وهذه الامور لاتكون الا لمن ارتكب المنهى عنه وخالف امر الله عز وجل ، والآيات الدالة على ذلك كثيرة منها قوله تعالى :

﴿ يَامَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا ، قَالُوا شَهِدْنَا عَلى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ القُرى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ، وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَارَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (١)

وقد اخرج ابو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " الخلق اربعة : فخلق في الجنة كلهم وخلق في النار كلهم وخلقان في الجنة والنار ، فأما الذين في الجنة كلهم فالملائكة واما الذين في النار كلهم فالشياطين ، واما الذين في الجنة والنار فالجن والانس لهم ثواب وعليهم عقاب " (٢)

واخرج ابن ابي حاتم وابو الشيخ عن الحسن قال : " الجن ولد ابليس والانس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان " (٣)

---

(١) سورة الانعام : الآيات : " ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ".

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور : جـ ٣ ص ٤٦.

(٣) الدر المنثور : جـ ٣ ص ٤٦.

وقال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (١)

والمعنى : " وما خلقت الثقلين الانس والجن الا لعبادتي وتوحيدى لا للاشتغال بطلب الدنيا ، بل عليهم العمل لما خلقوا له من العبادة .

وقد اخرج ابن جرير وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال في الآية : ليقروا له بالعبودية طوعا او كرها .

واخرج ابن المنذر عنه انه قال في قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ على ما خلقتهم عليه من طاعتي ومعصيتي .

واخرج ابن جرير وابن المنذر عن زيد بن اسلم - رحمه الله - في الآية قال : ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة . (٢)

هل كان فيهم نبي ؟ :

قال تعالى : ﴿ يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا ﴾ (٣)

في هذه الآية يخاطب عز وجل كافرى الجن والانس بقوله : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ... ﴾ اى : الم يأتكم الرسل يتلون عليكم آيات ربكم ويخوفونكم عذاب هذا اليوم الشديد . فقالوا : " بلى شهدنا على انفسنا بأن رسلك اتتنا وانذرتنا لقاء يومنا هذا . لكن من الذى انذرهم هل هم رسل من الانس ام رسل من الجن ؟

---

(١) سورة الذاريات : الآية " ٥٦ ".

(٢) الدر المنثور : ﺣ ٦ ص ١١٦ .

(٣) سورة الانعام : الآية " ١٣٠ ".

قال ابن عباس رضي الله عنهما : الرسل من بني آدم ومن الجن نذر (١) واخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن ابي حاتم عن مجاهد - رحمه الله - قال : ليس في الجن رسل انما الرسل في الانس والنذارة في الجن وقرأ : ﴿ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٢)

واخرج ابن جرير عن الضحاك بن مزاحم انه سئل عن الجن هل كان فيهم نبي قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : الم تسمع الى قول الله :

﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ (٣)

يعني بذلك ان رسلا من الانس ورسلا من الجن قالوا : بلى (٤)

اقول :

كما قال الحافظ ابن كثير : ان هذه الآية محتملة ولكنها ليست صريحة . (٥)

استماعهم القرآن :

استمع نفر من الجن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن ولم يشعر بهم ولا باستماعهم ، ولم يعلم بحضورهم وانما اخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم بواسطة الوحي .

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ١٧٧ .

(٢) سورة الاحقاف : الآية " ٢٩ ".

(٣) سورة الانعام : الآية " ١٣٠ ".

(٤) الدر المنثور : حـ ٣ ص ٤٦ .

(٥) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ١٧٧ .

قال تعالـــى :

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۞ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (١)

هذه الآية تتحدث عن استماع الجن للقرآن الكريم فهو عز وجل يقـــول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لقومك : ان ربي اوحى اليّ ان جماعة من الجن استمعوا لتلاوتي للقرآن ،فآمنوا به وصدقوه واسلموا ، ومصداق ذلك :

مارواه الامام البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكـــاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وارسلت عليهم الشهب فرجعـــت الشياطين ، فقالوا : مالكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وارسلت علينا الشهب ، قال : ماحال بينكم وبين خبر السماء الا ما حدث فاضربـــوا مشارق الارض ومغاربها فانظروا ماهذا الامر الذى حدث ، فانطلقوا فضربوا مشارق الارض ومغاربها ينظرون ماهذا الامر الذى حال بينهم وبين خبر السماء ، قال : فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة وهو عامد الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعـــوا القرآن تسمعوا له ،فقالوا هذا الذى حال بينكم وبين خبر السماء ، فهنالـــك رجعوا الى قومهم ، فقالوا : ياقومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ، يَهْدِي إِلَـــى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴾ (٢) وأنزل الله عز وجل على نبيـــه صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (٣) ، وانما اوحى اليه قول الجن . (٤)

---

(١) سورة الجن : الآيتان : " ١ ، ٢ ".

(٢) سورة الجن : الآيتان : " ١ ، ٢ ".

(٣) سورة الجن : الآية " ١ ".

(٤) صحيح البخارى كتاب التفسير ، سورة الجن : جـ ٦ ص ١٩٩ .

قال الحافظ البيهقي : " وهذا الذى حكاه ابن عباس رضي الله عنهما انما هو اول ماسمعت الجن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ولم يرهم ثم بعد ذلك اتاه داعي الجن فقرأ عليهم القرآن ودعاهم الى الله عز وجل كما رواه ابن مسعود رضي الله عنه. (١)

ورواية ابن مسعود رضي الله عنه التي اشار اليها البيهقي رواها الامام مسلم عن علقمة قال : " سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد احد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا . ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب (٢) فقلنا استطير (٣) او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء قال فقلنا يارسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن .... " (٤)

ومصداق ذلك قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ۞ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا ۞ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴾ (٥)

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ١٦٣.

(٢) الشعاب : رؤوس الجبال ، وما انفرج بين جبلين ، ومسيل الماء في بطن من الأرض لسان العرب : مادة (شعب) : حـ ٢ ص ٣٢٠ .

(٣) استطير : اى ذهب به بسرعة كأن الطير حملته . النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٣ ص ١٥١.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن : حـ ٤ ص ١٦٨.

(٥) سورة الاحقاق : الآية " ٢٩ "

تسخير الجن لسليمان عليه السلام :

سخر الله عز وجل الجن لسليمان عليه السلام يعملون له بقدرته تعالى وتسخيره لهم بمشيئته مايشاء من البنايات وغير ذلك .

وهذا مما انعم الله به وتفضل على نبيه عليه السلام .

قال تعالى : في سورة سبأ : الآيتان " ١٢ ، ١٣ " :

* وَمِنَ الجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ، وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ (١) وَتَمَاثِيلَ (٢) وَجِفَانٍ (٣) كَالجَوَابِ (٤) وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ (٥) *

---

(١) المحاريب : ج محراب ، وهو الغرفة ، وصدر البيت ، واكرم مواضعه .
ترتيب القاموس المحيط : حـ ١ ص ٦١١ .
وقال مجاهد : المحاريب بنيان دون القصور . تفسير ابن كثير :
حـ ٣ ص ٥٢٨ .

(٢) التمثال : بالكسر الصورة . ترتيب القاموس المحيط : حـ ٤ ص ٢٠٣ .
وقال مجاهد : كانت من نحاس ، وقال قتادة : من رخام ، الدر المنثور :
حـ ٥ ص ٢٢٨ .

(٣) الجفان : القصاع . ترتيب القاموس المحيط : حـ ١ ص ٥٠٨ ،
والجفنة خصت بوعاء الاطعمة . المفردات في غريب القرآن : ص ٩٤ .

(٤) الجواب : جمع جابية وهي الحوض الذى يجبى فيه الماء . لسان العرب
مادة : (جوب) : حـ ١ ص ٥٢٦ .
قال قتادة والحسن : كالحياض .

(٥) وقدور راسيات : قال قتادة : ثابتات لا يزلن عن مكانهن كن يرين بارض اليمن . وقال الحسن : القدور العظام التي لاتحول من مكانها .
وقال سعيد بن جبير : قدور عظام تفرغ افراغا .
انظر الدر المنثور : حـ ٥ ص ٢٢٨ .

وقال تعالى :

﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ والشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ (١)

كل انسان معه شيطان :

كل انسان معه شيطان يوسوس له ويدعوه الى عمل المنكر ويزينه له حتى الانبياء عليهم السلام ، قال تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ (٢)

وعن عروة ان السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا ، قالت: فغرت عليه ، فجاء فرأى ما اصنع ، فقال مالك ياعائشة اغرت ؟ قلت : ومالي لا يغار مثلي على مثلك ؟ فقال : ولقد جاءك شيطانك قلت : يارسول الله اومعي شيطان ؟ قال : نعم . قلت : ومع كل انسان شيطان ؟ قال : نعم. قلت : ومعك يارسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربي اعانني عليه حتى اسلم " (٣)

معنى هذا ان الآيات القرآنية والاحاديث النبوية تؤكد هذا الأمر وهو ان كل انسان معه شيطان يوسوس له ، ويزين له الباطل ، ويجرى فيه

---

(١) سورة ص: الآيات : " ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨

(٢) سورة الانعام : الآية " ١١٢ " .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ،كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وان مع كل انسان قرينا : جـ ١٧ ص ١٥٨ .

مجرى الدم في العروق ، وكلما بعد الانسان عن منهج الله سبحانه وتعالى كلما تمكن الشيطان منه فاغراه بالشر قولا وفعلا حتى يستولي عليه فيفعل بنو آدم الشر والفساد بايعاز من الشيطان ،لكن هل يقف الشيطان بجانب وليه الذى اطاعه في فعل المنكر مدافعا عنه ينصره وينقذه ، ام يتخلى عنه ويتبرأ منه وقت البلاء ؟ هذا ماستوضحه الفقرة التالية :

خذلان الشيطان للانسان :

تعددت في القرآن الكريم الآيات التي تحذر الانسان من عداوة ابليس له لان ابليس ومن معه من الشياطين هم اعداء الله الذين يمثلون الشر والفساد واعمالهم تتجه دائما وابدا الى التمرد على الله ،والى التفريق والتمزيق والتخريب من عهد آدم ابي البشر عليه السلام حتى يومنا هذا والى ان يرث الله الارض ومن عليها .

قال تعالى :

* يَابَني آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيكُمْ مِنَ الجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا * (١)

فالشيطان ظاهر العداوة للانسان وسيتخلى عنه بعد ان يمد له في الفساد مدا بدليل قوله تعالى :

* أَلْقِيَا في جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذى جَعَلَ مَعَ اللهِ إِلهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ في العَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلكِنْ كَانَ في ضَلالٍ بَعِيدٍ * (٢)

----

(١) سورة الاعراف : الآية " ٢٧ ".

(٢) سورة ق : الآيات " ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ " .

يقول تعالى للملكين ـ السائق والشهيد ـ اقذفا في جهنم كل كافر معاند للحق ، مانع لكل حق واجب عليه مشرك بالله لا يؤمن بوحدانيته .

هنا يقول القرين وهو الشيطان (١) المقيض له ربنا ما اضللته لكنه ضل واختار العمى على الهدى . (٢)

وقال تعالى في سورة الحشر:

﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

هذه الآية تبين ان الشيطان اغرى الانسان بالكفر فلما كفر تخلى عنه وخذله وتبرأ منه ، وقال اني اخاف الله وانتقامه ان كفرت به ، وقوله هذا كذب لانه لوخاف الله ماعصاه .

---

(١) اخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله : (قَالَ قَرِينُهُ) قال الشيطان .
واخرج الفريابي عن مجاهد في قوله (قَالَ قَرِينُهُ) قال الشيطان الذى قيض له . الدر المنثور : جـ ٦ ص ١٠٦ .

(٢) في الآية الكريمة محذوف دل عليه السياق كأن الكافر قال : يارب ان الشيطان هو الذى اطغاني ، فيقول قرينه ، ربنا ما اطغيته بل كان هو نفسه ضالا معاندا للحق .

(٣) الآيـة : " ١٦ " .

لا سلطان للشيطان على المؤمنين :

الشيطان ولي الذين يطيعونه ويتبعونه من كافرين وغيرهم وجزاء لهم يسلط عليهم عز وجل الشياطين تغريهم بالشر ، قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ (١)

والمعنى :

يسلط الله عز وجل الشياطين على الكافرين تغريهم بالشر حتى يركبوا المعاصي .

وقد اخرج ابن المنذر وابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية قال : " تغويهم اغواء " .

وعن مجاهد - رحمه الله - قال : " تشليهم اشلاء " .

وعن قتادة - رحمه الله - قال : " تزعجهم ازعاجا الى المعاصي " (٢)

فاذا كان هذا هو حال اتباع الشياطين فما حال اولياء الله ؟

يقول عز وجل في سورة النحل :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٣)

فالشيطان ليس له تسلط وقدرة على المؤمنين بالاغواء والكفر لانهم في رحمة الله وهم يعتمدون على الله في امورهم .

---

(١) سورة مريم: الآية " ٨٣ " .

(٢) الدر المنثور : ج ٤ ص ٢٨٤ .

(٣) الآيتان : " ٩٨ ، ٩٩ "

مقاومة الشيطان :

تحصن المسلم واحترازه من الشياطين ممكن وذلك بأن يتبع ماجاء به القرآن الكريم والسنة النبوية في مقاومة الشيطان ودفع ضرره ، وقد وجه عز وجل المؤمنين الى محاربة نزغات الشيطان بالاستعاذة " (١) منه . قال تعالى في سورة الاعراف :

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢)

عن قتادة في قوله : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ ﴾ ،

قال : " علم الله ان هذا العدو مبتغ ومريد " (٣)

وقال تعالى في سورة المؤمنون :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ، وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ، وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ (٤)

وقال تعالى :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ، وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٥)

---

(١) صيغة الاستعاذة هي قول : " اعوذ بالله من الشيطان الرجيم " وقد ورد بها نص عن النبي صلى الله عليه وسلم رواه الامام البخارى في صحيحه في كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده :
حـ ٤ ص ١٥١ .

(٢) الآيـة : " ٢٠٠ " .

(٣) الدر المنثور : حـ ٣ ص ١٥٤

(٤) الآيات : " ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ " .

(٥) سورة فصلت ، الآيات " ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ " .

وبالاضافة الى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم لدفع ضرره يمكن :

١) قراءة آية الكرسي ، لحديث ابي هريرة رضي الله عنه الذى قال فيه :
" وكلني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ، فأتاني آت فجعل يحثو[1] من الطعام فأخذته ، فقلت " لأرفعنك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . فقال : اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقك وهو كذوب ذاك شيطان " (٢)

٢) ذكر لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة لحديث ابي هريرة رضي الله عنه قال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي . . . " (٣)
الى غير ذلك من الاحاديث في الاستعاذة من الشيطان الرجيم .

وبعـــد :

فان الجن مخلوقات ذات ارادة ، منهم المؤمن ومنهم الكافر كما قال ذلك ابن عباس رضي الله عنهما ، مكلفون بالايمان ، منهيون عن الكفر ، مثابون على ايمانهم معذبون على كفرهم ، مخلوقون من خالص النار ، لا يرون على صورتهم الحقيقية ، ولا يعلمون الغيب ، الى غير ذلك من النقاط

---

(١) يحثو : يغرف بيديه ، النهاية في غريب الحديث والأثر : جـ ١ ص ٣٣٩ .
(٢) صحيح البخارى ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة ابليس وجنوده : جـ ٤ ص ١٤٩ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التهليل والتسبيح والدعاء : جـ ١٧ ص ١٧ .

التي تعرضت لها في ثنايا الموضوع ولم يختلف في هذه النقاط الصحابة والتابعون ، ولعل النقطة التي حدث فيها الخلاف بينهم هي : هل كان ابليس من الملائكة قبل ان يعص الله ؟ وفي ذلك يقول ابن عباس وابن مسعود وقتادة وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير: ان ابليس كان من الملائكة .

ويخالفهم الحسن البصرى ويقول : ان ابليس هو ابو الجن ولم يكن ملكا وقد ارتضيت قول الحسن - رحمه الله - لصريح قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (١)

فابليس لم يطع ما أمر به عز وجل لأن اصله قد خانه فانه خلق من مارج من نار وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت ذلك في حديث صحيح " (٢)

فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع ، وذلك انه كان قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة " (٣)

---

(١) سورة الكهف : الآية " ٥٠ " .

(٢) راجع صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الزهد ، باب في احاديث متفرقة : حـ ١٨ ص ١٢٣ .

(٣) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٨٨ .

المبحث الرابع

اليوم الآخر

اليوم الآخر

عمر الانسان في هذه الحياة الدنيا له اجل محدود ينتهي عنده ، لكن آماله وتطلعاته غير محدودة ، فهل من عالم آخر يحقق فيه آماله وتطلعاته ؟ ينظر الانسان حوله فيرى الخير والشر في صراع ، ومعارك كثيرة لاتنتهي ، الشر ينتصر على الخير ، الانسان لايرى عواقب الخير والشر ، فهل من عالم آخر يلقى فيه الشر جزاءه وينتصر فيه الخير ؟

اجل : وذلك مقتضى الحكمة الالهية ومن هنا وجب الايمان باليوم الآخر ، ولكن ما المقصود باليوم الآخر ؟

مفهوم اليوم الآخر :

اليوم الآخر خاتمة المطاف بالانسان واليه تنتهي الغاية من خلقه فالحياة الدنيا والحياة الآخرة حياة واحدة مستمرة ، اولها زرع وآخرها حصاد وحسب الزرع وما انفق فيه من جهد يكون الحصاد .

يبدأ اليوم الاخر بفناء هذه الحياة الدنيا ، فيفنى كل ماهو حي ، ثم ينشيء الله عز وجل النشأة الآخرة التي تبدأ بالبعث الذى تعود فيه الحياة للمخلوقات ، فيحقق عز وجل في هذه الحياة الأخرى ما اعده للمؤمنين من نعيم دائم لايزول ، وعذاب للكافرين .

والايمان باليوم الآخر ركن من اركان الايمان ، لذا يكثر القرآن الكريم من ذكره ويصوره بعدة صور - حتى يقربه الى الاذهان - فلا تكاد سورة تخلو منه ، فتارة بالأمر بالايمان به ، واخرى بالنهي عن الكفر به ، وبالتصريح في

مقامي الترغيب والترهيب ، وبالاشارة في مقام حث المؤمنين على العمل الصالح . . . بحيث يستطيع المرء ان يقرأ آيات القرآن الكريم المتصلة بهذه الموضوعات فيحيا في حياته الدنيا هذه تلك الحياة الآخرة .

ونلاحظ ارتباط الايمان بالله تعالى بالايمان باليوم الآخر في كثير من الآيات ، لان الايمان بالله عز وجل معرفة بخالق هذا الكون المستحق للعبادة وحده ، والايمان باليوم الآخر معرفة بما يصير اليه هذا الكون وايضا لان من مقتضى الايمان بالله تصديقه في جميع ما اخبر به وقد اخبر تعالى باليوم الآخر في وعده ووعيده .

اهتمام القرآن الكريم بـه :

اهتم القرآن الكريم اهتماما كثيرا بتقرير اليوم الآخر ، وتحدث عنه حديثا مستفيضا وذلك لان المشركين من العرب كانوا ينكرونه ويستبعدونه اشد الاستبعاد قال تعالى في سورة الواقعة :

* وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ * (١)

وقال تعالى :

* وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً * (٢)

كان هذا هو السبب الرئيسي في حديث القرآن عن اليوم الآخر بهذه الاستفاضة في السور المكية ولكن ما سبب استمرار الحديث عنه في

---

(١) الآيتان : " ٤٧ ، ٤٨ ".

(٢) سورة الاسراء : الآية " ٤٩ "

السور المدنية بعد ان آمن من آمن حتى جاهد الصحابة رضوان الله عليهم في سبيل الله واستشهدوا رجاء في اليوم الآخر ؟

لعل اهتمام القرآن باليوم الآخر لم يكن السبب فيه انكار المشركين للبعث فحسب وانما يذكر الذين آمنوا به لما علم عز وجل انه لابد من التذكير واعادته المرة تلو المرة.

الغاية من خلق الانسان :

خلق الله عز وجل الانسان للعبادة ، قال تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالْانِسَ الا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴾ (١)

فعبادة الله تعالى وحده هي الغاية الاولى من خلق الانسان عن علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (الا لِيَعْبُدُونِ) قال : " الا ليقروا بعبادتي طوعا او كرها " (٢)

ومعنى الآية : انه تبارك وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له فمن اطاعه جازاه اتم الجزاء ، ومن عصاه عذبه اشد العذاب واخبر انه غير محتاج اليهم بل هم الفقراء اليه في جميع احوالهم فهو خالقهم ورازقهم ". (٣)

---

(١) سورة الذاريات ، الآيتان " ٥٦ ، ٥٧ ".

(٢) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٢٣٨.

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

بداية اليوم الآخر :

يبدأ اليوم الآخر بأحداث انقلاب كوني هائل ، قال تعالى :

* إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ * (١)

هذه الآيات تتحدث عن مشاهد الانقلاب الكوني الذى يصاحب قيام الساعة وتبين اهوال ذلك اليوم ، وما يكون فيه من شدائد وكوارث ومايعترى الوجود من مظاهر التغير والتخريب.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * (٢) قال : اظلمت ، وفي رواية قال : اغورت ، * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * (٣) قال : تغيرت * وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ * (٤) قال : سألت .

وعن مجاهد في قوله : * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * قال : اغورت ، * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * قال : تناثرت ، * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * (٥) قال : ذهبت ، * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * (٦) قال : عشار الابل

---

(١) سورة التكوير : الآيات " من ١ الى ١٤ ".
(٢) سورة التكوير : الآية " ١ ".
(٣) سورة التكوير : الآية " ٢ "
(٤) سورة التكوير : الآية " ٨ "
(٥) سورة التكوير : الآية " ٣ "
(٦) سورة التكوير : الآية " ٤ "

عطلت لا راعي لها ، * وَاِذَا البِحَار سُجِّرَتْ * (١) قال : اوقدت ، * وَاِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * (٢) قال : الامثال للناس جمع بينهم.

وعن سعيد بن جبير في قوله (كُوِّرَتْ) قال : غورت .

وعن ابي العالية قال : ست آيات من هذه السورة (٣) في الدنيا والناس ينظرون ، وست في الآخرة : * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * (٤) الى : * وَاِذَا البِحَار سُجِّرَتْ * هذه في الدنيا والناس ينظرون ، * وَاِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * الى * وَاِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * (٥) هذه في الآخرة .

وعن ابي بن كعب رضي الله عنه قال : ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس في أسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحش فماج بعضهم في بعض . . . قال الجن والانس نحن نأتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحر فاذا هي نار تتأجج ، فبينما هم كذلك اذ انصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة والى السماء السابعة فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فأماتتهم .

وعن قتادة - رحمه الله - في قوله : * إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * ، قال : ذهب ضوؤها فلا ضوء لها ، * وَاِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * (٦) قال :

---

(١) سورة التكوير : الآية " ٦ " .
(٢) سورة التكوير : الآية " ٧ " .
(٣) اى : سورة التكوير .
(٤) سورة التكوير : الآية " ١ " .
(٥) سورة التكوير : الآية " ١٣ " .
(٦) سورة التكوير : الآية " ٢ "

تساقطت وتهافتت ، ﴿ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴾ (١) قال : سيبها اهلوها اتاهم ما شغلهم عنها فلم تصر ولم تحلب ولم يكن في الدنيا مال اعجب اليهم منها ، ﴿ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴾ (٢) قال : ان هذه الخلائق موافية يوم القيامة فيقض الله فيها مايشاء ، ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ (٣) قال : ذهب ماؤها ولم يبق منها قطرة ، ﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ (٤) قال : ألحق كل انسان بشيعته اليهودى باليهودى والنصراني بالنصراني ، ﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴾ (٥) قال : هي في بعض القراءة سألت بأى ذنب قتلت قال : لابذنب .. ﴿ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴾ (٦) قال : صحيفتك يا ابن آدم على مافيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فينظر الرجل مايملى في صحيفته ، ﴿ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴾ (٧) قال : اوقدت ، ﴿ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴾ (٨) قال : قربت ، ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ ﴾ (٩) من عمل .

وعن الحسن في قوله : ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ قال : غار ماؤها فذهب .

---

(١) سورة التكوير : الآية " ٤ " .
(٢) سورة التكوير : الآية " ٥ "
(٣) سورة التكوير : الآية " ٦ "
(٤) سورة التكوير : الآية " ٧ "
(٥) سورة التكوير : الآية " ٨ "
(٦) سورة التكوير : الآية " ١٠ "
(٧) سورة التكوير : الآية " ١٢ "
(٨) سورة التكوير : الآية " ١٣ "
(٩) سورة التكوير : الآية " ١٤ "

وعن عكرمة في قوله * وَاِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * (١) قال : يقرن الرجل في الجنة بقرينه الصالح في الدنيا ، ويقرن الرجل الذى كان يعمل السوء في الدنيا بقرينه الذى كان يعينه في النار "(٢)

ماحكاه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون رحمهم الله هو بداية الانقلاب في الكون والذى يشمل الشمس ، والنجوم ، والجبال ، والبحار ، والارض ، والسماء ، والانعام ، والوحوش ، كما يشمل البشر ، ويهتز الكون هزا ينتشر فيه كل مافي الوجود ولا يبقى شيء الا وقد تبدل وتغير.
وسبحان الله العظيم اذ يقول :

* يَوْمَ تُبَدَّلُ الْاَرْضُ غَيْرَ الاَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * (٣)

<u>موعده :</u>

من الامور التي استأثر الله تعالى بعلمها ولم يطلع عليها احدا من خلقه وقت قيام الساعة حتى الانبياء والمرسلون والملائكة المقربون لا يعلمون وقتها وقد وردت الآيات التي توضح هذا الأمر ومن ذلك قوله تعالى :

* يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ اَيَّانَ مُرساهَا * قُلْ اِنَّما عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِيهَا لِوَقْتِهَا اِلّا هُوَ ثَقُلَتْ في السَّمَوَاتِ وَالاَرضِ لَا تَأْتِيكُمْ اِلّا بَغْتَةً ، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ اِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّهِ وَلكِنَّ اَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * (٤)

---

(١) سورة التكوير : الآية " ٧ "

(٢) راجع اقوال الصحابة والتابعين في الدر المنثور : جـ ٦ ص ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ " .

(٣) سورة ابراهيم : الآية " ٤٨ ".

(٤) سورة الاعراف : الآية " ١٨٧ ".

يسأل المشركون واهل الكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة متى وقوعها وحدوثها ، قال ابن عباس : " قال جبل بن ابي قشير وشموال بن زيد من اليهود : يامحمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي فأنزل الله تعالى هذه الآية " (١)

وقال قتادة : " قالت قريش لمحمد ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى تكون الساعة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ ﴾ (٢)

وعن قتادة ايضا في قوله : (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ) قال : هو يجليها لوقتها لا يعلم ذلك الا الله ، وفي قوله (ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) قال : ثقل علمها على اهل السموات والارض انهم لا يعلمون . (٣)

وقال الحسن : اذا جاءت ثقلت على اهل السموات والارض ، يقول : كبرت عليهم . (٤)

وقال تعالى في سورة " فصلت " :

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ (٥)

اى : لا احد يعلم ذلك سواه عز وجل .

---

(١) اسباب النزول : للواحدى ص ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٣) الدر المنثور : حـ ٣ ص ١٥٠

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٥) الآية : " ٤٧ " .

وقد جاء في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس فأتاه رجل فقال : يارسول الله .... متى الساعة ؟ قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .. " (١)

امارات الساعة :

يعبر عنها بأشراط الساعة ويراد بها علامات قربها ودنو ميعادها وهي تتضمن مجموعة من انباء الغيب التي ستحدث قبيل قيام الساعة تمكينا لايمان من آمن واقامة الحجة على المعاندين ومن هذه الأمارات :

١) طلوع الشمس من مغربها ، لحديث عبد الله بن عمرو قال : حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم انسه بعد ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما ماكانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا ". (٢)

والدابة المذكورة هنا هي الدابة المذكورة في قوله تعالى في سورة النمل :

﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ ﴾ (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب اشراط الساعة : حـ ١ ص ١٦٣ .

يقول الامام الالوسي : وانما اخفى سبحانه امر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك ، فانه ادعى الى الطاعة وازجر عن المعصية ، كما ان اخفاء الاجل الخاص للانسان كذلك ، ولو قيل ان الحكمة التكوينية تقتضي ذلك لم يبعد ، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني : مجلد ٣ ، حـ ٩ ص ١٣٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال حـ٨ ص ٧٧

(٣) الآية : " ٨٢ " .

قال ابن كثير :

هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم اوامر الله وتبديلهم الدين الحق ، يخرج الله لهم دابة من الارض . . فتكلم الناس على ذلك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن علي : تكلمهم كلاما اى : تخاطبهم مخاطبة.

وقال ابن عباس في رواية تجرحهم :وعنه في رواية أخرى : كلا تفعل يعني هذا وهذا . (١)

٢) خروج الدجال يدعى الربوبية ومعه الخوارق :

لحديث حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

" ان الدجال يخرج وان معه ماءً ونارا فأما الذى يراه الناس ماء فنار تحرق ، واما الذى يراه الناس نارا فماء بارد عذب ، فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذى يراه نارا فانه ماء عذب طيب . " (٢)

٣) نزول عيسى عليه السلام ، وهلاك الدجال على يده ، وكسره الصليب ، وقتله الخنزير .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ (٣)

فبعض أهل الكتاب من يهود ونصارى سيؤمنون بان عيسى عليه السلام عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى السيدة مريم ، وهذا الايمان به سيكون قبل موته ، عند نزوله من السماء قبيل الساعة .

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٣٧٤ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال : حـ ١٨ ص ٦٢ .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٥٩ " .

وقد ورد تفسير هذه الآية بنزول عيسى عليه السلام عن ابن عباس وعن ام سلمة ، وعن قتادة ، والحسن البصرى ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير (١)

وعن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " والذى نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض المال حتى لا يقبله احد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة : واقرءوا ان شئتم :

* وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * (٢)

٤) انبعاث قبائل يأجوج ومأجوج (٣) ، وفتكهم العظيم وافسادهم في الارض ، ثم يدعو عليهم سيدنا عيسى عليه السلام والمؤمنون معه فيهلكهم الله .

قال تعالى :

* حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * (٤)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير : جـ ٢ ص ٢٤٧

(٢) سورة النساء : الآية " ١٥٩ " ، والحديث في صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب بيان نزول عيسى ابن مريم عليه السلام حاكما : جـ ٢ ص ١٩١ .

(٣) يأجوج ومأجوج : قبيلتان من ولد يافث بن نوح عليه السلام وهذا القول هو المعتمد عند كثير من المتأخرين ، وقيل ان يأجوج ومأجوج من ولد آدم عليه السلام . تفسير البحر المحيط: جـ٦ ص ٣٨ .

(٤) سورة الانبياء : الآيتان " ٩٦ ، ٩٧ " .

روى الامام مسلم بسنده عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول : لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق باصبعه الابهام والتي تليها قالت فقلت يارسول الله انهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم اذا كثر الخبث " (١)

وقد رأى ابن عباس صبيانا ينزو (٢) بعضهم على بعض يلعبون فقال : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج . (٣)

٥) ثم يبعث الله ريحا من اليمن الين من الحرير فلا تدع احدا في قلبه مثقال حبة من ايمان الا قبضته . (٤)

واخيرا لا يبقى في الارض الا شرار الناس ، فعليهم تقوم الساعة وذلك لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم احياء ." (٥)

الى غير ذلك من الامارات.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفتن واشراط الساعة : حـ ١٨ ص ٣ .

(٢) ينزو : يقال : نزوت على الشيء انزو نزوا اذا وثبت عليه . النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٥ ص ٤٤ .

(٣) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ١٩٥ .

(٤) الحديث رواه الامام مسلم في صحيحه ،كتاب الايمان ، باب الريح التي تكون قرب القيامة . حـ ٢ ص ١٣٢ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الفتن باب لا يأتي زمان الا الذى بعده شر منه حـ ٩ ص ٦١ .

النفخ في الصـــور (١) :

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴾ (٢)

في ذلك اليوم يوم ينفخ في الصور لا يبقى احد من اهل السمـــوات والارض الا خاف وفزع الا من شاء الله.

وقال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ (٣)

قال ابو هريرة : ان الملك له في الصور ثلاث نفخات ، نفخة الفـــزع وليس بالفزع الاكبر ، ونفخة الصعق ، ونفخة القيام من القبور " (٤)

ومعنى هذا القول ان هناك ثلاث نفخات .

وجاء عن ابن مسعود حديثا ذكر فيه : " .. ثم يقوم ملك الصور بيـــن السماء والارض فينفخ فيه ، والصور قرن ، فلا يبقى لله خلق في السموات والارض الا مات الا ماشاء ربك ، ثم يكون بين النفختين ماشاء الله ان يكون ... " (٥)

وعن ابن عباس في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴾ (٦)

----

(١) الصور : القرن ،لسان العرب : حـ ٢ ص ٤٩٢ مادة (صور) .
(٢) سورة النمل : الآية " ٨٧ ".
(٣) سورة الزمر : الآية " ٦٨ "
(٤) تفسير البحر المحيط : حـ ٧ ص ٩٩ .
(٥) التذكرة في احوال الموتى وامور الاخرة " لابي عبد الله محمد بن احمد الانصارى القرطبي : حـ ١ ص ٢٢٠ ط / ١٩٨٢ م.
(٦) سورة النازعات : الآيتان " ٦ ، ٧ " .

قال : (الرَّاجِفَةُ) النفخة الاولى ، و (الرَّادِفَةُ) النفخة الثانية (١) وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة .

وفي الحديث الصحيح عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مابين النفختين اربعون " (٢)

فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وماجاء عن ابن مسعود وابن عباس والتابعين يدل على وجود نفختين اثنتين .

امكان البعث :

عندما ينفخ الملك في الصور نفخة البعث بأمر الله تعالى اذا الناس قيام ينظرون .

فالبعث حقيقة لاريب فيها ستتحقق اذا جاء اجلها المقدر لها فالبعث امر واقع حتما ستعود فيه الحياة الى المخلوقات بعد ان فنيت وليس هذا الامر ببعيد على قدرة الله عز وجل الذى خلق السموات والارض وخلقهن اكبر من خلق الانسان .

كيفية الاعادة :

ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب (٣) الذنب منه خلق وفيه يركب " (٤)

---

(١) التذكرة في احوال الموتى وامور الآخرة : حـ ١ ص ٢١٩ ، وتفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ٤٦٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفتن ، باب ماجاء بين النفختين : حـ ١٨ ص ٩١ .

(٣) العجب : بالسكون : العظم الذى في اسفل الصلب عند العجز . النهاية في غريب الحديث والأثر : حـ ٣ ص ١٨٤ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الفتن ، باب مابين النفختين : حـ ١٨ ص ٩٢ .

فالاجسام تنقلب من حال الى حال ، فتستحيل ترابا ، ثم ينشئها الله نشأة أخرى كما استحال الانسان في النشأة الاولى ، فانه كان نطفة ثم صار علقة ، ثم صار مضغة ،ثم صار عظاما ولحما ، ثم انشأه خلقا سويا ، كذلك الاعادة يعيده الله بعد ان يبلى كله الا عجب الذنب.

وعند امعان النظر في الآيات الكريمة نجدها قد سلكت في اثبات الاعادة والحياة الثانية احسن الطرق التي تبصر العقول وتستنهضها من غفلاتها ، وذلك على وجوه متعددة في غاية الوضوح والسهولة فتارة يستدل عز وجل على ذلك بالنشأة الاولى ، وتارة بخلق السموات والارض فان خلقهما اعظم من اعادة الانسان ، وتارة بخلق النبات وابدأ اولا :

<u>بطريقة البرهان :</u>

أ - فالله عز وجل يستدل بقدرته التي خلق بها آدم من تراب وذريته من نطفة على امكان البعث والاعادة ، قال تعالى :

* يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ، لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ، ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ، ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ، وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا * (١)

في هذه الآية الكريمة يذكر عز وجل الدليل على قدرته تعالى على المعاد بما يشاهد من بدئه الخلق فقال : * يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ * وهو المعاد * فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ * بمعنى ان اصل

----

(١) سورة الحج : الآية " ٥ " .

بدئه لكم من تراب وهو الذى خلق منه آدم عليه السلام ﴿ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ اى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ وذلك انه اذا استقرت النطفة في رحم المرأة مكثت اربعين يوما ثم تستحيل فتصير قطعة من لحم لا شكل فيها وقد تسقطها المرأة قبل التشكيل وربما تلقيها ، وقد صارت ذات شكل ، وتارة تستقر في الرحم لا تلقيها المرأة ولا تسقطها كما ثبت في الصحيح .

عن عبد الله بن مسعود قال : " حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ... " (١)

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله : ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ (٢) قال : " المخلقة ماكان حيا وغير مخلقة ماكان من سقط " .

وعن عكرمة - رحمه الله - قال : العلقة الدم ، والمضغة : اللحم ، والمخلقة : التي تم خلقها ، وغير مخلقة : السقط .

وعن قتادة - رحمه الله - في قوله ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ قال : تامة وغير تامة .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن امه : جـ ١٦ ص ١٨٩ .

(٢) سورة الحج : الآية " ٥ " .

وعن مجاهد - رحمه الله - في قوله : ﴿ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ قال : السقط مخلوق وغير مخلوق ، وفي قوله : ﴿ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ (١) قال التمام (٢) :

ثم بعد استقرار النطفة في الرحم الى الاجل الذى قدره لها عز وجل يخرج طفلا ضعيفا في بدنه وحواسه ثم يعطيه الله عز وجل القوة شيئا فشيئا حتى تتكامل قواه وتتزايد ويصل الى مرحلة الشباب ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى ﴾ (٣) اى : في حال شبابه وقواه ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ﴾ (٤) وهو الشيخوخة ، وضعف القوة والعقل وتناقص الاحوال ، ولذا قال : ﴿ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾ (٥)

فليتفكر الناس في انفسهم وفي نشأتهم الحاضرة التي هم فيها فانهم يتحولون الى خلق جديد .

ب - ويستدل بقدرته تعالى على خلق العوالم على امكان البعث واعادة الحياة الى جميع المخلوقات بعد فنائهم .

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦)

---

(١) سورة الحج : الآية " ٥ " .
(٢) راجع هذه الآثار في الدر المنثور : حـ ٤ ص ٣٤٥ .
(٣) سورة الحج : الآية " ٥ ".
(٤) سورة الحج : الآية " ٥ "
(٥) سورة الحج : الآية " ٥ " ، تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٢٠٧ .
(٦) سورة الاحقاف : الآية " ٣٣ "

جـ - ويستدل بقدرته تعالى على المعاد عن طريق التسوية بين الاعادة والبدء فقدرة الله عز وجل التي قدرت على الابتداء والابداع قادرة على الاعادة ، فالامران متساويان ، بل الاعادة ايسر واهون من البدء لان الشيء اذا لم يكن ثم كان واعدم كانت اعادته اهون على من بدأه .

قال تعالى :

﴿ كما بَدَأنا أَوّلَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إنّا كُنّا فاعِلينَ ﴾ (١)

وقال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذى يبدؤا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعيدُهُ وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٢)

فالله تعالى انشأ الخلق من العدم ، والاعادة اهون عليه من البدء .

قال ابن عباس : رضي الله عنهما : "يعني ايسر عليه".

وقال مجاهد : "الاعادة اهون عليه من البداءة والبداءة عليه هينة ، وكذا قال عكرمة". (٣)

ثانيا - طريقة العيان :

طريقة العيان وليس بعدها من دليل ، وقد ضرب القرآن الكريم امثلة محسوسة تقرب الى الاذهان صورة الحياة بعد الموت ، منها :

أ - الاستدلال بنبات الزرع :

ويستدل بالارض الميتة بسبب القحط والجدب ثم تسقط بها الامطار فتعود ارضا خضراء ذات نماء وازدهار .

---

(١) سورة الانبياء : الآية "١٠٤".

(٢) سورة الروم : الآية "٢٧".

(٣) تفسير ابن كثير : جـ ٣ ص ٣٤٠ .

قال تعالى :

﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، ذلِكَ بِأَنَّ اللّهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي المَوْتى ، وَأَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١)

عن قتادة في قوله : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ قال : غبراء متهشمة .

﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ يقول : نغرق الغيث في سبختها (٢) وربوها ، ﴿ وَأَنبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوجٍ بَهِيجٍ ﴾ اى حسن . (٣)

وقال تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ، إِنَّ الَّذِى أَحْيَاهَا لَمُحيِي المَوْتى إِنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٤)

عن مجاهد - رحمه الله - في قوله (اهْتَزَّتْ) قال بالنبات (وَرَبَتْ) قال : ارتعشت قبل ان تنبت . (٥)

----

(١) سورة الحج : الآيتان " ٥ ، ٦ " .

(٢) سبختها : السبخة : هي الارض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت الا بعض الشجر . النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ٢ ص٣٣٣

(٣) الدر المنثور : حـ ٤ ص ٣٤٥ .

(٤) سورة فصلت : الآية " ٣٩ " .

(٥) الدرالمنثور : حـ ٥ ص ٣٦٦ .

ب - الاستدلال على المعاد بالاخبار عمن اماتهم الله ثم احياهم :

قال تعالى :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)

هذه الآية فيها الدليل الحسى على الاعادة بعد الفناء ، فقد طلب سيدنا ابراهيم عليه السلام من ربه ان يريه كيف يحيى الموتى : ﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾ اى : قطعهن كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن البصرى .

وفي رواية اخرى لابن عباس قال : " اوثقهن " فلما اوثقهن وذبحهن جعل على كل جبل منهن جزءا " .

قال ابن عباس : واخذ رؤوسهن بيده ثم امره الله عز وجل ان يدعوهن فدعاهن كما امره الله عز وجل فجعل ينظر الى الريش يطير الى الريش والدم الى الدم واللحم الى اللحم والاجزاء من كل طائر يتصل بعضها الى بعض حتى قام كل طائر على حدته وآتينه يمشين سعيا ليكون ابلغ له في الرؤية التي سألها وجعل كل طائر يجيء ليأخذ رأسه الذى في يد ابراهيم عليه السلام فاذا قدم له غير رأسه يأباه فاذا قدم اليه رأسه تركب مع بقية جسده بحول الله وقوته" (٢)

----

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٦٠ "

(٢) تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٣١٥ ==

وبعــــد :

فان عقيدة الايمان باليوم الآخر عقيدة ثابتة راسخة في نفوس الصحابة - رضي الله عنهم والتابعين - رحمهم الله - لذا نجدهم يفسرون آيات سورة التكوير - وغيرها من الآيات التي تمثل بداية ذلك اليوم - تفسيرا يجعل ماسيحدث ماثلا امام الاعين من ذهاب ضوء الشمس الى تناثر النجوم الى تسيير الجبال وتعطيل العشار الى غير ذلك ، وايضا في كيفية اعادة الحياة الى المخلوقات يفسرون الآيات الدالة على الاعادة تفسيرا يجعل المستحيل ممكنا .

فائــــدة :

== ذكر عز وجل احياء الموتى في مواضع من سورة البقرة في قوله تعالى :
* أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ * - الآية ٢٤٣ - .
وفي قوله : * أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ * ،
- الاية : ٢٥٩ - .
وقوله : * فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ *
- الآية : ٧٣ - .
وقوله : * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * - الآية ٥٦ - .
وفي قصة سيدنا ابراهيم المتقدمة .

الفصل الثاني

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات الأحكام

المبحث الأول : قصر صلاة السفر
المبحث الثاني : مواضع سجود التلاوة
المبحث الثالث : حكم العمرة

المبحث الأول

قَصرُ صلاة السَّفَر

قصر صلاة السفر

من الامور التي يحتاج اليها المسلم معرفة كيفية أداء الصلاة في حال السفر ، وهل تكون كما هي في صلاة الحضر أربع ركعات في كل من صلاة الظهر والعصر والعشاء ام تقصر ، واذا قلنا بالقصر ، فما حكم القصر هل هو واجب ام رخصة ، وما المسافة التي تقصر فيها الصلاة ، وما السفر الذى يجب فيه القصر ، ومتى يبدأ المسافر بقصر صلاته ، وما مدة القصر ؟ الى غير ذلك من مباحث يحتاج اليها .

و أبدأ أولا بمعنى القصر انطلاقا من قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ﴾ (١)

قال الراغب : القصر خلاف الطول وهما من الاسماء المتضايفة التي تعتبر بغيرها ، وقصرت كذا جعلته قصيرا ، ... وقصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض اركانها ترخيصا " (٢)

وقال الفخر الرازى :

" اعلم ان لفظ القصر مشعر بالتخفيف ، لأنه ليس صريحا في أن المراد هو القصر في كمية الركعات وعددها أو في كيفية أدائها ، والجمهور على أن المراد منه القصر في عدد الركعات " (٣)

---

(١) سورة النساء : الآية " ١٠١ "

(٢) المفردات في غريب القرآن : ص ٤٠٥ .

(٣) تفسير الفخر الرازى : جـ ١١ ص ١٧ .

ويدل عليه مارواه يعلى بن امية انه قال : قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف نقصر وقد أمنا ، وقد قال الله تعالى :

﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ ﴾ (١)

فقال : عجبت مما عجبت منه ، فسألت النبي صلى الله عليه وسلم فقال :

" صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته " (٢)

وهذا يدل على أن القصر المذكور في الآية هو القصر في عدد الركعات ، وان ذلك كان مفهوما عندهم من معنى الآية .

بالاضافة الى ان لفظ من في قوله (من الصلاة) للتبعيض ، وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلاة . (٣)

ثانيا - حكم القصر :

اختلف العلماء في حكم القصر هل هو واجب ام رخصة ، على قولين :

القول الأول : ان القصر واجب .

وقال بوجوبه : عمر بن الخطاب ، وعلي بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وروى ذلك عن عمر بن عبد العزيز وقتادة والحسن .

---

(١) سورة النساء : الآية " ١٠١ ".

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي : حـ ٥ ص ١٩٦ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي : حـ ١١ ص ١٧ ، ١٨ .

والأدلة على ذلك :

١) مارواه ابن عمر رضي الله عنه قال : " صحبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله عز وجل ، وصحبت ابا بكر فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله عز وجل ، وصحبت عثمان فلم يزد على ركعتين حتى قبضه الله عز وجل " . (١)

والتزام رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم بقصر الصلاة في حال السفر مشعر بوجوب القصر .

٢) ماروته السيدة عائشة رضي الله عنها أنها قالت : فرضت الصلاة ركعتين ركعتين في الحضر والسفر فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر . "
وفي رواية اخرى عن السيدة عائشة رضي الله عنها : ان الصلاة اول ما فرضت ركعتين فأقرت صلاة السفر وأتمت صلاة الحضر ، قال الزهرى : فقلت لعروة مابال عائشة تتم في السفر ؟ قال : انها تأولت كما تأول عثمان ". (٢)

يقول الامام الشوكاني :

" وهذا دليل ناهض على الوجوب لان صلاة السفر اذا كانت مفروضة ركعتين لم تجزالزيادة عليها كما انها لا تجوز الزيادة على اربع في الحضر " (٣)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٥ ص ١٩٧ ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها .
(٢) المرجع السابق : حـ ٥ ص ١٩٤ ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها .
(٣) نيل الاوطار : حـ ٣ ص ٢٤٦ .

٣) روى الامام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
ان الله فرض الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم على المسافر ركعتين وعلى المقيم اربعا وفي الخوف ركعة" . (١)

وهذا الحديث فيه دلالة صريحة من ابن عباس رضي الله عنهما ان الله عز وجل فرض صلاة السفر ركعتين .

٤) مارواه عمر رضي الله عنه حيث قال :
" صلاة الاضحى ركعتان وصلاة الفجر ركعتان وصلاة الفطر ركعتان وصلاة المسافر ركعتان ، تمام غير قصر على لسان محمد صلى الله عليه وسلم" . (٢)

حديث عمر رضي الله عنه هذا فيه ايضا دلالة واضحة على ان صلاة السفر فرضت بادىء الامر ركعتين وانها لم تكن اربع ركعات ثم قصرت .

ويؤيد كون القصر واجبا مانقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قصر الصلاة في كل اسفاره وانه لم يصح عنه عليه الصلاة والسلام انه اتم الصلاة قط .

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي : جـ ٥ ص ١٩٧ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .
(٢) سنن النسائي : جـ ٣ ص ١١٨ ، كتاب تقصير الصلاة في السفر ، مسند الامام احمد : جـ ١ ص ٣٧ .
وهذا الحديث رجاله رجال الصحيح الا يزيد بن زياد بن ابي الجعد وقد وثقه احمد وابن معين وروى من طريق اخرى بأسانيد رجالها رجال الصحيح ، راجع نيل الاوطار : جـ ٣ ص ٢٥٠ .

قال ابن القيم :

وكان صلى الله عليه وسلم يقصر الصلاة الرباعية فيصليها ركعتين من حين يخرج مسافرا الى ان يرجع الى المدينة ، ولم يثبت عنه انه اتم الصلاة الرباعية (١)

القول الثاني : ان القصر رخصة :

والأدلة على ذلك :

١) مارواه يعلى بن امية قال : قلت لعمر بن الخطاب :
* فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا * (٢)

فقد أمن الناس ، فقال : عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته ". (٣)

والذى يظهر من قوله صلى الله عليه وسلم : " صدقة تصدق الله بها عليكم ، ان القصر رخصة .

٢) قوله تعالى : * فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ * (٤)

ونفي الجناح مشعر بعدم الوجوب ، ويدل على الاباحة ، ولو كان القصر واجبا لجاء اللفظ مثلا بقوله : فأقصروا الصلاة او نحو ذلك .

---

(١) زاد المعاد : حـ ١ ص ١٢٨ .
(٢) سورة النساء : الآية " ١٠١ " .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها : حـ ٥ ص ١٩٦
(٤) سورة النساء : الآية " ١٠١ " .

وبعد عرض أقوال وادلة القائلين بوجوب قصر صلاة السفر ، والقائلين بأن القصر رخصة ، يتضح جواز القصر والاتمام ، والقصر افضل لملازمته صلى الله عليه وسلم للقصر في جميع اسفاره ، وعدم صدور التمام عنه ، ويبعد ان يلازم صلى الله عليه وسلم المفضول ويدع الفاضل .

واما دعوى ان عثمان رضي الله عنه كان يتم وكذلك السيدة عائشة رضي الله عنها ، فالصحيح الذى عليه المحققون انهما رأيا القصر جائزا والاتمام جائزا فأخذا بأحد الجائزين وهو الاتمام. (١)

ثالثا ـ المسافة التي يجوز فيها القصر :

قال تعالى في كتابه الكريم :

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ ﴾ (٢)

ومعنى الضرب في الارض : السير فيها ، قال تعالى :

﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٣)

---

(١) راجع صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها : جـ ٥ ص ١٩٤ ونيل الأوطار : جـ ٣ ص ٢٤٨ .

(٢) سورة النساء : الآية " ١٠١ ".

(٣) سورة المزمل : الآية " ٢٠ " .

والمتبادر من الآية الكريمة : ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ ﴾ أن اى سفر طال أم قصر تقصر من اجله الصلاة ، ولم يرد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم مايقيد هذا الاطلاق ، وقد اورد ابن حزم في المحلى اكثر من عشرين قولا للصحابة والتابعين في مسافة القصر منها :

١) كان عبد الله بن مسعود يقول : " لا يغرنكم سوادكم (١) هذا من صلاتكم فانه من مصركم " (٢)

٢) وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قصر الصلاة الى خيبر وقال : هذه ثلاث قواصد يعني ليال ". (٣)

٣) وعن سعيد بن جبير في قصر الصلاة : في مسيرة ثلاث .

٤) وقال الحسن البصرى : لا تقصر الصلاة في أقل من مسيرة ليلتين ، وعن معمر عن قتادة عن الحسن مثله وبه يأخذ قتادة.

٥) وعن مجاهد عن ابن عباس قال : اذا سافرت يوما الى العشاء فأتم ، فان زدت فأقصر .

وفي رواية عن مجاهد عن ابن عباس قال : "لايقصر المسافر في مسيره يوم الى العتمة ، الا في اكثر من ذلك .

وهذا مما اختلف فيه عن ابن عباس

----

(١) السواد : القرى ، والعدد الكثير ، وعامة الناس ، ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ٦٤٢ .

(٢) المصر : هو الحد ، يقال : اشترى فلان الدار بمصورها اى: حدودها معجم مقاييس اللغة : حـ ٥ ص ٣٣٠ مادة (مصر) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي : حـ ٣ ص ١٣٦ ط / دار صادر .

ومن طريق عطاء بن ابي رباح قال : قلت لابن عباس : أأقصر الى عرفة ؟ قال : لا ولكن الى الطائف وعسفان (١) ، فذلك ثمانية واربعون ميلا (٢) .

٦) وعن نافع أن ابن عمر كان يقصر الصلاة في مسيرة أربعة برد . (٣)

٧) وعن عكرمة : اذا خرجت فبت في غير أهلك فأقصر ، فان اتيت أهلك فأتم .

٨) ومن طريق ابي بكر بن ابي شيبة عن عبد الرحمن بن حرملة قال : سألت سعيد بن المسيب : أأقصر الصلاة وافطر في بريد من المدينة ؟ قال : نعم . (٤)

---

(١) عسفان : بضم اوله ، وسكون ثانيه ثم فاء وآخره نون ، تقع بين الجحفة ومكة وقيل بين المسجدين ، وهي من مكة على مرحلتين ، وقيل : عسفان قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهي حد تهامة .

انظر : معجم البلدان ، لياقوت الحموى : حـ ٤ ص ١٢١ ، ط / دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٦ هـ ، ١٩٥٧ م .

(٢) الميل : " مقياس للطول قدّر قديما بأربعة آلاف ذراع ، وهو الميل الهاشمي ، وهو برى وبحرى ، فالبرى يقدر الآن بما يساوى ١٦٠٩ من الامتار ، والبحرى بما يساوى ١٨٥٢ من الامتار .

المعجم الوسيط : حـ ٢ ص ٨٩٤ .

(٣) البريد : اثنا عشر ميلا ترتيب القاموس المحيط : حـ ١ ص ٢٤٤ .

(٤) انظر المحلى ، لابن حزم : حـ ٥ ص ٢ الى ٩ .

واصح حديث ورد في بيان مسافة القصر مارواه الامام مسلم عن شعبة عن يحيى بن يزيد الهنائي قال : " سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال او ثلاثة فراسخ - شعبة الشاك - صلى ركعتين " (١)

قال الحافظ ابن حجر :

" وهو اصح حديث ورد في بيان ذلك واصرحه " (٢)

والتردد بين الاميال والفراسخ يدفعه حديث ابي سعيد الخدرى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر فرسخا يقصر الصلاة (٣).

فيكون حديث ابي سعيد الخدرى رافعا للشك الذى وقع في حديث انس رضي الله عنه وموضحا ان أقل مسافة قصر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثة اميال وذلك لان الفرسخ ثلاثة اميال واقل ماورد في مسافة القصر ميل واحد وهذا مروى عن ابن عمر رضي الله عنهما (٤)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٥ ص ٢٠٠ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها

(٢) فتح البارى بشرح صحيح البخارى: حـ ٢ ص ٥٦٧ ، كتاب تقصير الصلاة ، باب في كم يقصر الصلاة ؟

(٣) رواه سعيد بن منصور وذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير وأقره بسكوته عنه ، راجع تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير : حـ ٢ ص ٤٧ .

(٤) انظر المحلى ، لابن حزم : حـ ٥ ص ٢٠ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى: حـ ٢ ص ٥٦٧ ، كتاب تقصير الصلاة ، باب في كم يقصر الصلاة ؟

وبه أخذ ابن حزم ، وقال محتجا على ترك القصر فيما دون الميل :

" ... وقد وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج الى البقيع لدفن الموتى ، والناس معه فلم يقصروا ولا افطروا ، ولا أفطر ولا قصر ، فخرج هذا عن ان يسمى سفرا ، وعن ان يكون له حكم السفر ، فلم يجز لنا أن نوقع اسم سفر وحكم سفر الا على من سماه من هو حجة في اللغة سفرا فلم نجد ذلك في أقل من ميل ، فقد روينا عن ابن عمر انه قال : لو خرجت ميلا لقصرت الصلاة ، فأوقعنا اسم السفر وحكم السفر في الفطر والقصر على الميل فصاعدا ..." (١)

رابعا ـ السفر الذى يجوز فيه القصر :

اختلف السلف رضي الله عنهم في نوع السفر الذى تقصر فيه الصلاة ، والجمهور على انه يجوز القصر في كل سفر مباح كالتجارة ونحوها .

واجمع الناس على الجهاد والحج والعمرة وماشابهها من صلة رحم وعلاج مريض .

وقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : لا تقصر الصلاة الا في حج أو جهاد ..

وقال عطاء : لا تقصر الا في سفر طاعة وسبيل من سبل الخير .

كما ورد عنه ايضا : تقصر في كل السفر المباح ، وهو قول الجمهور (٢) ، والله عزّ وجل يقول في كتابه الكريم:

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ في الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ.. ﴾ (٣)

---

(١) المحلى ، لابن حزم : جـ ٥ ص ٢٠ .

(٢) راجع تفسير القرطبي : جـ ٥ ص ٣٥٥ .

(٣) سورة النساء : الآية " ١٠١ "

والمعنى : اذا سافرتم ايها المؤمنون وسرتم في الارض للجهاد او التجارة او السياحة او غير ذلك من انواع السفر المباح ، فليس عليكم حرج ولا اثم ان تقصروا من الصلاة المفروضة فتصلوا الرباعية ركعتين ، لان الاسلام دين اليسر والله تعالى يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ،

أما سفر المعصية :

فالجمهور من العلماء على انه لا قصر في سفر المعصية ، لان ذلك يكون عونا له على معصية الله والله تعالى يقول :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (١)

خامسا ـ متى يبدأ المسافر في قصر الصلاة ؟

مذهب جمهور العلماء ان قصر الصلاة يشرع بمفارقة الحضر والخروج من البلد ، وأن ذلك شرط ولا يتم حتى يدخل اول بيوتها . (٢)

وذلك لان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في قصر الصلاة لم يكن الا بعد خروجه من المدينة.

والحديث الذى يدل على هذا رواه الامام مسلم في صحيحه بسنده عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالمدينة اربعا وصلى العصر بذى الحليفة (٣) ركعتين . (٤)

---

(١) سورة المائدة : الآية " ٢ " راجع تفسير القرطبي : جـ ٥ ص ٣٥٦.

(٢) نيل الاوطار : حـ ٣ ص ٢٥٤ .

(٣) ذى الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة اميال او سبعة ، ومنها ميقات اهل المدينة ، معجم البلدان : حـ ٢ ص ٢٩٥ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٥ ص ١٩٩ ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها .

وقال ابن المنذر :

ولا اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قصر في سفر من اسفاره الا بعد خروجه من المدينة" (١)

ويرى بعض السلف ان من نوى السفر يقصر ولو في بيته .

وورد عن الحارث بن ابي ربيعة انه أراد سفرا فصلى باصحابه ركعتين في منزله ، وفيهم الاسود بن يزيد وقد شاع هذا الحكم عن غير واحد من اصحاب ابن مسعود وبه قال عطاء بن أبي رباح .

ومجاهد - رحمه الله - يقول : لا يقصر المسافر يومه الاول حتى الليل . (٢)

سادسا - مقدار الزمان الذى يجوز للمسافر فيه اذا اقام في موضع ان يقصر الصلاة :

اختلف السلف رضي الله عنهم في مقدار الزمان الذى يجوز للمسافر فيه اذا أقام في موضع ان يقصر الصلاة .

روى الامام البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

" اقام النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره تسع عشرة يصلي ركعتين فنحن اذا أقمنا تسع عشرة نصلي ركعتين وان زدنا على ذلك اتممنا " (٣)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : حـ ٢ ص ٥٦٩ ،كتاب تقصير الصلاة ، باب يقصر اذا خرج من موضعه.

(٢) راجع تفسير القرطبي : حـ ٥ ص ٣٥٦.

(٣) صحيح البخارى : حـ ٢ ص ٥٣ ، كتاب الجمعة ، باب ماجاء في التقصير وكم يقيم حتى يقصر .

وعن يحيى بن ابي اسحاق قال : سمعت انسا يقول : خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فكان يصلي ركعتين ركعتين حتى رجعنا الى المدينة قلت : اقمتم بمكة شيئا ؟ قال : اقمنا بها عشرا " (١)

وفي حديث جابر بن عبد الله .. اقام النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك عشرين يوما يقصر الصلاة " (٢)

أما أقوال الصحابة والتابعين وافعالهم في مدة القصر فهي كما يلي :

١) مذهب عمر وابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ان المسافر اذا نوى اقامة خمسة عشر يوما اتم وان نوى دونها قصر .

٢) وقال علي بن أبي طالب : ان أقام عشرا أتم .

٣) وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها : يقصر المسافر مالم يضع الزاد والمزاد .

٤) وعن الحسن البصرى : أن المسافر يقصر ابدا الا ان يقدم مصرا من الامصار .

وعنه قال : اقمت مع عبد الرحمن بن سمره بكابل(٣) سنتين يقصر الصلاة ولا يجمع .

٥) وقال سعيد بن المسيب : اذا اقمت أربعا فصل اربعا .

----

(١) صحيح البخارى : حـ ٢ ص ٥٣ ، كتاب الجمعة ، باب ماجاء في التقصير ، وكم يقيم حتى يقصر .

(٢) مسند الامام احمد : حـ ٣ ص ٢٩٥ ، ورواه ابن حبان والبيهقي من حديث معمر ، وصححه ابن حزم والنووى ، واعله الدارقطني ، في العلل بالارسال والانقطاع ، تلخيص الحبير : حـ ٢ ص ٤٥ .

(٣) كابل : بضم الباء الموحدة ولام بين الهند ونواحي سجستان . معجم البلدان : حـ ٤ ص ٤٢٦

٦) وقال نافع : اقام ابن عمر باذربيجان (١) ستة اشهر يصلي ركعتين وقد حال الثلج بينه وبين الدخول .

وعن ثمامة بن شراحيل قال : خرجت الى ابن عمر فقلت : ماصلاة المسافر ؟ فقال : ركعتين ركعتين الا صلاة المغرب ثلاثا ، قلت : أرأيت ان كنا بذى المجاز (٢) ؟ قال : وما ذو المجاز ؟ قلت : مكان نجتمع فيه ونبيع ونمكث عشرين ليلة او خمس عشرة ليلة ، فقال : يا أيها الرجل كنت بأذربيجان لا ادرى قال اربعة أشهر أو شهرين فرأيتهم يصلون ركعتين ركعتين " (٣)

٧) وقال حفص بن عبد الله : اقام انس بن مالك بالشام سنتين يصلي صلاة المسافر .

---

(١) أذربيجان : بالفتح ، ثم السكون ، وفتح الراء ، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة وجيم ، كانت تسمى عند الأقدمين اطروبا طينة : اى ارض النار ، وهي الآن اقليم شمالي من مملكة ايران ، راجع كتاب منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان : جـ ٩ ص ١٨٤ ، ط/ الاولى .

(٢) ذى المجاز : موضع سوق بعرفة ، كانت تقوم في الجاهلية ثمانية ايام ، راجع معجم البلدان : جـ ٥ ص ٥٥ ،ط بيروت ١٩٥٧م

(٣) الاثر رواه البيهقي بسند صحيح ، راجع تلخيص الحبير : جـ ٢ ص ٤٧ ، ونيل الاوطار : جـ ٣ ص ٢٥٦ .

وقال أنس : اقام اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برام هرمز (١) سبعة اشهر يقصرون الصلاة .

وأقل ماقيل في قصر المسافر للصلاة يوم وليلة ، وهو قول ربيعة بن أبي عبد الرحمن . (٢)

مما تقدم يتضح ان المسافر يقصر الصلاة مادام مسافرا ، فان أقام لحاجة ينتظر قضاءها قصر الصلاة كذلك لانه يعتبر مسافرا وان اقام سنين وان نوى الاقامة مدة معينة سواء طالت ام قصرت يقصر الصلاة مالم يستوطن المكان الذى اقام فيه ؛ لأن هذا هو فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله عليهم ، ففي فتح مكة اقام النبي صلى الله عليه وسلم يؤسس قواعد الاسلام وهذا يحتاج لاقامة ايام كثيرة ، وكذلك اقامته صلى الله عليه وسلم بتبوك ، فانه أقام ينتظر الاعداء ، وكذلك اقامة ابن عمر باذربيجان ستة اشهر يقصر الصلاة من اجل الثلج وهذا الأمر يحتاج الى مدة ليست بالقصيرة حتى يذوب ويتحلل الثلج ، وايضا اقامة انس بالشام سنتين يقصر الصلاة ، واقامة الصحابة برام هرمز سبعة اشهر يقصرون الصلاة .

----

(١) رام هرمز : مدينة مشهورة بنواحي خوزستان والعامة يسمونها رامز ، معجم البلدان : حـ ٣ ص ١٧ .

(٢) راجع بداية المجتهد ونهاية المقتصد : حـ ١ ص ١٦٩ ، ١٧٠ وزاد المعاد في هدى خير العباد : حـ ٣ ص ١٤ - ١٥ .

فاقامة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وبتبوك لم يبين فيها لصحابته انه يعزم على اقامة مدة معينة ، وهو عليه الصلاة والسلام يعلم انهم يقتدون به في صلاته ، ويتأسون به في قصرها في مدة اقامته ، وقد حكى ابن المنذر اجماع اهل العلم على "ان للمسافر ان يقصر مالم يجمع اقامة وان اتى عليه سنون "(١)

وبعد ،

مما سبق يبدو أن علي بن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله ابن عباس ، وقتادة ، والحسن - وهم من علماء التفسير في القرن الاول الهجرى - يرون ان قصر الصلاة في السفر واجب وكانت لهم ادلتهم التي استندوا اليها في قولهم هذا .

وان اختلف العلماء فيما بعد في القصر هل هو افضل ام الاتمام والصحيح ان القصر افضل لملازمته صلى الله عليه وسلم للقصر في اسفاره .

أما المسافة التي يجوز فيها القصر ، فقد اختلفت اقوال وافعال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فيها ، فنجد ان ابن عمر رضي الله عنهما كان ادنى مايقصر الصلاة اليه مال له بخيبر وهي مسيرة ثلاث قواصد ، وله في مسافة القصر رواية اخرى ، ويرى سعيد بن جبير ان القصر يكون في مسيرة ثلاث - لعلها ليال - والحسن البصرى يقول : لا تقصر الصلاة في اقل من مسيرة ليلتين ، في حين ان عكرمة يقول : اذا خرجت فبت في غير اهلك فأقصر ، فان اتيت اهلك فأتم .

---

(١) راجع : زاد المعاد في هدى خير العباد : جـ ٣ ص ١٤-١٥ .

وقد رجحت الحديث الصحيح الذى رواه انس بن مالك رضي الله عنه في بيان مسافة القصر .

أما مايتعلق بنوع السفر الذى يجوز فيه القصر ، فقد ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : لا تقصر الصلاة الا في حج او جهاد ، وقال عطاء : لا تقصر الصلاة الا في سفر طاعة وسبيل من سبل الخير ، وفي رواية عنه قال : يقصر في كل السفر المباح ، وهذا هو قول الجمهور وهو الصحيح .

وفي الوقت الذى يبدأ فيه المسافر في قصر الصلاة ، فالصحيح ان المسافر لا يشرع في القصر الا بعد مفارقة الحضر والخروج من البلد ، وفي ذلك حديث رواه انس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

اما في مقدار الزمان الذى يجوز للمسافر فيه اذا أقام في موضع ان يقصر الصلاة فقد اختلف الصحابة والتابعون كثيرا في مقدار هذه المدة فيرى ابن عباس وابن عمر ان المسافر يقصر اذا اقام بالبلدة خمسة عشر يوما ، ويقول سعيد بن المسيب : اذا اقمت اربعا فصل اربعا . اما انس بن مالك فقد اقام بالشام سنتين يصلي صلاة المسافر ، وما ارتضيه ان المسافر يقصر مادام مسافرا مالم يجمع على الاقامة .

المبْحث الثانى

مَـواضع سُجُود التلاوة

مواضع سجود التـــلاوة

من قرأ القرآن فمر بآية سجدة أو سمعها ، يستحب له عند جمهـــور العلماء ان يكبر ويسجد سجدة ثم يكبر للرفع من السجود ، وهذا يسمى سجود التلاوة ، وقد مدح عز وجل الملائكة في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ (١)

مدحهم بالدوام على العبادة التي امروا بها والقيام عليها والعمل بها ، وبالتسبيح والسجود .

وفي الصحيحين واللفظ للبخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبـــي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حـــتى مايجد احدنا مكانا لموضع جبهته . (٢)

معـــنى السجود :

سجد في اللغة : بمعنى خضع . وأسجد : طأطأ رأسه وانحنى (٣)

حكم سجود التلاوة :

يرى جمهور العلماء على انه يسن سجود التلاوة لقارئ القـــرآن ، وللمستمـــع ، وذلك لما رواه الامام البخارى بسنده عن عمر رضي الله عنه انه قـــرأ على المنبر يوم الجمعة سورة النحل حتى اذا جاء السجدة فنزل ، وسجد الناس ،

---

(١) سورة الاعراف : الآية " ٢٠٦ ".
(٢) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من لم يجد موضعا للسجود من الزحام : حـ ٢ ص ٥٣ .
(٣) ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ٥٢١ .

حتى اذا كانت الجمعة القابلة قرأ بها حتى اذا جاء السجدة قال : يا أيها الناس انا لم نؤمر بالسجود فمن سجد فقد اصاب ومن لم يسجد فلا اثم عليه " (١)

وفي رواية : ان الله لم يفرض علينا السجود الا ان نشاء ". (٢)

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : " قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم (وَالنَّجْمِ) فلم يسجد فيها ". (٣)

وقد رجح ابن حجر في الفتح ان ترك السجود فيها كان لبيان الجواز ، وبه جزم الشافعي ، ويؤيده مارواه البزار والدارقطني عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال :

" ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في سورة (وَالنَّجْمِ) وسجدنا معه ". (٤)

وفي الصحيحين واللفظ للبخارى عن ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ (وَالنَّجْمِ) فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصى او تراب فرفعه الى جبهته ، وقال يكفيني هذا . قال عبد الله : فلقد رأيته بعد قتل كافرا " (٥).

----

(١) صحيح البخارى ،كتاب سجود القرآن ، باب من رأى ان الله عز وجل لم يوجب السجود : حـ ٢ ص ٥٢ .

(٢) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد : حـ ٣ ص ٥١ .

(٤) انظر سنن الدارقطني : حـ ١ ص ٤٠٩ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد: جـ ٢ ص ٥٥٥ .
والحديث رجاله ثقات كما نص على ذلك ابن حجر .

(٥) صحيح البخارى : كتاب سجود القرآن ، باب سجدة والنجم: حـ٢ ص ٥٠ .

مواضــع السجــود :

مواضع السجود في القرآن خمسة عشر موضعا وهي :

١) سورة الاعراف ، الآية " ٢٠٦ " في قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾

٢) سورة الرعد ، الآية " ١٥ " في قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ (١)

٣) سورة النحل ، الآية " ٤٩ " في قوله تعالى :

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّموَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ (٢) وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

---

(١) يقول الامام الطبرى في تفسير هذه الآية : ولله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام ، ومن في الارض من المؤمنين به طوعا ، فأما الكافرون به فانهم يسجدون له كرها حين يكرهون على السجود .
عن قتادة قال : فأما المؤمن فيسجد طائعا ، واما الكافر فيسجد كارها .
وقوله : ﴿ وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : يعني ، حين يفيء ظل احدهم عن يمينه او شماله .

وعن مجاهد : قال ، " ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع. وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره ، يعني ان الظل يسجد طوعا ، وصاحب الظل كاره للسجود وهو كافر .
تفسير الطبرى : جـ ١٦ ص ٤٠٣

(٢) اى : من كل ما يدب على الارض ، تفسير القرطبي : جـ ١٠ ص ١١٢ .

٤) سورة الاسراء ، الآية " ١٠٧ " في قوله تعالى :

﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾

٥) سورة مريم ، الآية " ٥٨ " في قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾

٦) سورة الحج ، الآية " ١٨ " في قوله تعالى :

أ - ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ، وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

لم يختلف السلف في هذه السجدة من سورة الحج على انها موضع سجود وان حصل اختلاف في الموضع الثاني من سورة الحج في قوله تعالى : الآية " ٧٧ " .

ب - ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

فروى عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وابي الدرداء وعمار بن ياسر وابي موسى الاشعرى انهم قالوا في الحج سجدتان ، وقالوا ان هذه السورة فضلت على غيرها من السور بسجدتين . (١)

---

(١) احكام القرآن ، للجصاص : حـ ٥ ص ٥٦ .

قال مالك : وحدثني عبد الله بن دينار ، قال : رأيت ابن عمر رضي الله عنه يسجد في سورة الحج سجدتين . "(١) وكان ابن عمر رضي الله عنه اكثر الخلق اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم. (٢)

وفي سنن ابن ماجه وابي داود عن عبد الله بن منيب عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن ، منها ثلاث في المفصل وفي الحج سجدتين " . (٣)

وذكر ابو داود من حديث عقبة بن عامر قال : قلت يارسول الله ، فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين ؟ قال : نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما " (٤)

وبخلاف هذا ورد عن الحسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : في الحج سجدة واحدة وعنه من رواية سعيد بن جبير انه قال : الاولى - يعني الموضع الاول من سورة الحج الآية " ١٨ " - عزيمه والاخرة - يعني الموضع الثاني من سورة الحج الآية " ٧٧ " - تعليم . (٥)

---

(١) الموطأ . كتاب القرآن ، باب ماجاء في سجود القرآن : حـ ١ ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

(٢) احكام القرآن لابن العربي : حـ ٢ ص ١٣٠٤ .

(٣) سنن ابن ماجة ، كتاب اقامة الصلاة ، باب عدد سجود القرآن : جـ ١ ص ٣٣٥ ، وعون المعبود : باب تفريع ابواب السجود وكم سجدة من القرآن : حـ ٤ ص ٢٧٨ .

(٤) عون المعبود ، باب تفريع ابواب السجود وكم سجدة في القرآن : جـ ٤ ص ٢٧٤ . وقال المنذرى : اخرجه الترمذى وقال : هذا حديث اسناده ليس بالقوى .

(٥) احكام القرآن : للجصاص : جـ ٥ ص ٥٦ .

والمعنى ان الآية الاولى هي موضع السجود الذى يسن فعله عند التلاوة واما الموضع الثاني وان كان فيه ذكر السجود فانما هو تعليم للصلاة التي فيهـــا الركوع والسجود .

وعن مجاهد - رضي الله عنه - قال : السجدة التي في آخر الحج انمـــا هي موعظة وليست بسجدة . (١)

٧) سورة الفرقان : الآية " ٦٠ " في قوله تعالى :

* وَاِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحمنِ قَالُوا وَمَا الرَّحمنُ اَنَسْجُدُ لِمَا تَأمُرُنـــا وَزَادَهُمْ نُفُوراً *

قال ابن كثير : اتفق العلماء على ان هذه السجدة التي في الفرقـــان يشرع السجود عندها لقارئها ومستمعها . (٢)

٨) سورة النمل ، الآية " ٢٥ " في قوله تعالى :

* اَلَّا يَسْجُدُوا لِلّهِ الَّذى يُخْرِجُ الخَبْءَ (٣) في السَّمَوَاتِ وَالاَرْضِ وَيَعْلَـــمُ مَاتُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * .

٩) سورة السجدة ، الآية " ١٥ " في قوله تعالى :

* اِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الذَّينَ إذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِم وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ *

----

(١) احكام القرآن ، للجصاص : حـ ٥ ص ٥٦ .

(٢) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٣٢٣ .

(٣) الخَبْءَ : يقال ذلك لكل مدخر مستور ، المفردات في غريـــب القرآن : ص ١٤٢ .

١٠) سورة ص ، الآية "٢٤" في قوله تعالى :

﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾

يرى ابن عباس رضي الله عنهما ان موضع السجود هذا ليس من العزائم بل هو سجود للشكر .

وفي ذلك يروى الامام البخارى بسنده عن عكرمة عن ابن عباس انه قال : " السجدة في (ص) ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها ".(١)

وفي سنن النسائي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في (ص) وقال : " سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا " (٢)

وفي سنن ابي داود عن ابي سعيد الخدرى قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه ، فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن (٣) الناس للسجود ، فقال صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم فنزل وسجد ".(٤)

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجدة " ص " جـ ٢ ص ٥٠ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب الافتتاح ، باب سجود القرآن : السجود في "ص" ، حـ ٢ ص ١٥٩ .
قال ابن كثير : تفرد بروايته النسائي ورجال اسناده كلهم ثقات ، تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ٣٢ .

(٣) تشزن : تهيأ ، المعجم الوسيط : حـ ١ ص ٤٨١ .

(٤) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، باب السجود : في "ص" حـ٤ ص ٢٨٥ والحديث سكت عنه المنذرى .
وقال ابن كثير : تفرد به ابو داود واسناده على شرط الصحيح .
تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ٣٢ .

وروى مسروق - رحمه الله - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه كان لا يسجد فيها ويقول هي توبة نبي . (١)

والذى اراه ان علينا السجود فيها اقتداء بمن هداهم الله وذكرهم في قوله تعالى :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ (٢)

وفي ذلك يروى الامام البخارى بسنده عن العوام قال : سألت مجاهدا عن السجدة في "ص" قال : سئل ابن عباس فقال : ﴿ اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾

وكان ابن عباس يسجد فيها . (٣)

وايضا لسجوده صلى الله عليه وسلم فيها .

(١) سورة فصلت ، الآية "٣٧" في قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (٣٧) فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ (٣٨) .

هذه الآية موضع سجود بلا خلاف بين العلماء الا انه اختلف في موضعه.

فقد كان علي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود يسجدان عند قوله تعالى :

﴿ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾

وكان ابن عباس يسجد عند قوله : (يَسْأَمُونَ)

وقال ابن عمر : اسجدوا بالآخرة منهما .

---

(١) احكام القرآن ، للجصاص : جـ ١ ص ٢٥٥ .

(٢) سورة الانعام : الآية "٩٠".

(٣) صحيح البخارى ، كتاب التفسير ، سورة "ص" : جـ ٦ ص ١٥٥ .

وكذلك يروى عن مسروق ، وابي عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، وابن سيرين . وكان قتادة يسجد عند قوله تعالى : (يَسْئَمُونَ) (١)

١٢) سورة النجم ، الآية " ٦٢ " في قوله تعالى :

﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾

يقول عز وجل : آمرا عباده بالسجود له والعبادة ﴿ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴾ .

وفي صحيح البخارى عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : " ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون ، والجن والانس " (٢)

وقد ورد عن عبد الله بن مسعود انه كان اذا قرأها على الناس سجد ، فاذا قرأها وهو في الصلاة ركع وسجد .

وكان ابن عمر اذا قرأ (وَالنَّجْمِ) وهو يريد ان تكون بعدها قراءة، قرأها وسجد ، واذا انتهى اليها ركع وسجد .

وروى مالك ان عمر بن الخطاب قرأ بالنجم اذا هوى ، فسجد فيها ، ثم قام فقرأ سورة أخرى . (٣)

ومع هذا فقد ورد في صحيح البخارى ايضا عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال : " قرأت على النبي صلى الله عليه وسلم والنجم ، فلم يسجد فيها " (٤)

----

(١) احكام القرآن ، لابن العربي : حـ ٤ ص ١٦٦٤ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجود المسلمين مع المشركين : حـ ٢ ص ٥١ .

(٣) احكام القرآن لابن العربي : حـ ٤ ص ١٧٣٥ ، والموطأ ، كتاب القرآن ، باب ماجاء في سجود القرآن : حـ ١ ص ٢٠٦ .

(٤) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد : حـ ٢ ص ٥١ .

فحديثا ابن عباس وابن مسعود يفيدان ان الرسول صلى الله عليه وسلم سجد في سورة النجم ، وحديث زيد بن ثابت يفيد ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يسجد فيها .

وللتوفيق بين هذه الاحاديث الصحيحة يقول ابن حجر في الفتح :

" ... احتمال ان يكون السبب في الترك اذ ذاك اما لكونه كان بلا وضوء ،اولكون الوقت كان وقت كراهة ، اولكون القارىء لم يسجد ، او ترك حينئذ لبيان الجواز ، وهذا ارجح الاحتمالات ، وبه جزم الشافعي " (١)

١٣) سورة الانشقاق ، الآية " ٢١ " في قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾

روى الامام البخاري بسنده عن ابي سلمة قال : " رأيت ابا هريرة رضي الله عنه قرأ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ (٢) فسجد بها ، فقلت : يا ابا هريرة ، الم أرك تسجد ؟ قال : لو لم ار النبي صلى الله عليه وسلم سجد لم اسجد " (٣)

وفي رواية عن ابي رافع قال : " صليت مع ابي هريرة العتمة (٤) ، فقرأ ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ فسجد ، فقلت : ماهذه ؟ قال : سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه " (٥)

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجده ولم يسجد : حـ ٢ ص ٥١ .
(٢) سورة الانشقاق : الآية " ١ " .
(٣) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجدة ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ حـ ٢ ص ٥١ .
(٤) العتمة : صلاة العشاء ،النهاية في غريب الحديث والاثر: حـ ٣ ص ١٨٠ .
(٥) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب سجود التلاوة : حـ ٥ ص ٧٨ .

وروى عبد الرزاق باسناد صحيح عن الاسود بن يزيد عن عمر انه سجد

في : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ ﴾ (١).

ومن طريق نافع عن ابن عمر انه سجد فيها. (٢)

فان قيل : قد جاء في سنن ابي داود . "ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في شيء من المفصل مذ تحول الى المدينة" (٣)

فالجواب عن ذلك :

ان هذا الخبر لم يصح اسناده (٤) وعلى فرض صحته فيحتمل "ان يكون المنفي المواظبة على ذلك لان المفصل (٥) تكثر قراءته في الصلاة فترك السجود فيه كثيرا لئلا تختلط الصلاة على من لم يفقه" (٦)

١٤) سورة العلق ، الآية "١٩" في قوله تعالى :

﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾

ظاهر الآية يبدو فيه ان المراد سجود الصلاة لقوله تعالى :

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى ﴾ (٧) الى قوله تعالى :

----

(١) سورة الانشقاق : الآية "١".

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد : جـ ٢ ص ٥٥٥ .

(٣) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، باب من لم ير السجود في المفصل : جـ ٤ ص ٢٧٩ . قال النووي : هذا حديث ضعيف الاسناد .

(٤) احكام القرآن ، لابن العربي : جـ ٢ ص ٨٣٣ .

(٥) المفصل : المراد به قصار السور التي تبدأ من سورة "ق" وتنتهي بسورة "قل اعوذ برب الناس" سمي بذلك لكثرة الفصول بين السور ببسم الله الرحمن الرحيم ، وقيل : لقلة المنسوخ فيه. البرهان في علوم القرآن : جـ ١ ص ٢٤٥ .

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة ولم يسجد : جـ ٢ ص ٥٥٥ .

(٧) سورة العلق : الآيتان "٩ ، ١٠".

* كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ * سورة العلق : الآية " ١٩ ".

لكن روى الامام الترمذى بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال :

" سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ * ، و * إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * (١)

اعضـاء السجـود :

عن طاووس رحمه الله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبـي صلى الله عليه وسلم قال : " أمرت ان اسجد على سبعة اعظم ولا اكف (٢) ثوبا ولا شعرا " (٣).

وفي قوله تعالى :

* إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * (٤)

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ) قال : للوجوه

وعن معمر عن قتادة رحمه الله ، قال : للوجوه.

وقال معمر والحسن ، اللحى .

وسئل ابن سيرين عن السجود على الانف فقال : * يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً * (٥)

---

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، ابواب السفر ، باب في السجدة في : * إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * و * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ * : حـ ٣ ص ١٦٥ ، قال ابو عيسى : حديث ابي هريرة حديث حسن صحيح ، والعمل على هذا عند اكثر اهل العلم يرون السجود في * إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * ، و * اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * .

(٢) اكف: يحتمل ان يكون بمعنى المنع : اى لا امنعهما من الاسترسال حال السجود ليقعا على الارض ، ويحتمل ان يكون بمعنى الجمع ، اى :لا يجمعهما ويضمهما النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٤ ص ١٩٠.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ،باب اعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب. حـ ٤ ص ٢٠٦.

(٤) سورة الاسراء الآية " ١٠٧ "

(٥) احكام القرآن للجصاص: حـ ٥ ص ٣٥

اقـــول :

حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ان اعضاء السجود سبعة اعظم وهي كما في حديث آخر : الجبهة والانف ، والكفان ، والركبتان ، والقدمان . (١)

مايقال في السجود :

صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في سجود القرآن : سجـــد وجهي للذى خلقه ، وشق سمعه وبصره بحوله وقوته فتبارك الله احســـن الخالقين " (٢)

ويمكن ان يقول الساجد :

﴿ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ (٣)

لان الله عز وجل مدح اولياءه بذلك فقال : ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ ﴿ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً ﴾ (٤)

ويمكن ايضا ان يقول : ماشاء مما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه ينبغي ان يقول في سجوده : " سبحان ربي الاعلى " اذا سجد سجود التلاوة في الصلاة المكتوبة ، وذلك لما رواه عقبة بن عامر قـــال : " لما نزلت : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٥) قال رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم : اجعلوها في ركوعكم ، فلما نزلت ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾ (٦)

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الصلاة ، باب اعضاء السجود والنهـــي عن كف الشعر والثوب : ﺣ ٤ ص ٢٠٦ .

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب الدعوات ، باب مايقول فـــي سجود القرآن : ﺣ ٩ ص ٣٨٣ وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح

(٣) سورة الاسراء : الآية " ١٠٨ ".

(٤) سورة الاسراء : الآيتان " ١٠٧ ، ١٠٨ " .

(٥) سورة الحاقة : الآية " ٥٢ ".

(٦) سورة الاعلى : الآية " ١ "

قال : اجعلوها في سجودكم " (١)

هل تشترط الطهارة ؟ :

اشترط جمهور الفقهاء لسجود التلاوة ، الطهارة ، واستقبال القبلة وستر العورة .

وقال الامام الشوكاني : " ليس في احاديث سجود التلاوة مايدل على اعتبار ان يكون الساجد متوضئا وقد كان يسجد معه صلى الله عليه وسلم من حضر تلاوته ولم ينقل انه امر احدا منهم بالوضوء ، ويبعد ان يكونوا جميعا متوضئين ، وايضا قد كان يسجد معه المشركون وهم انجاس لا يصح وضوءهم .

وقد روى البخارى (٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يسجد على غير وضوء .

وكذلك روى عنه ابن ابي شيبة ، وأما مارواه البيهقي عنه باسناد قال في الفتح : انه صحيح ، انه قال : لا يسجد الرجل الا وهو طاهر ، فيجمع بينهما بما قال الحافظ من حمله على الطهارة الكبرى ، اوعلى حالة الاختيار، والاول على الضرورة .

وهكذا ليس في الاحاديث مايدل على اعتبار طهارة الثياب والمكان واما ستر العورة والاستقبال مع الامكان فقيل انه معتبر اتفاقا .

قال في الفتح : لم يوافق ابن عمر احد على جواز السجود بلا وضوء الا الشعبي . اخرجه ابن ابي شيبة عنه بسند صحيح .

---

(١) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، باب مايقول الرجل في ركوعه وسجوده : حـ ٣ ص ١٢٠ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب سجود المسلمين مع المشركين : حـ ٢ ص ٥١ .

واخرج ايضا عن ابي عبد الرحمن السلمي انه كان يقرأ السجدة ثم يسجد وهو على غير وضوء الى غير القبلة وهو يمشي يومئ ايماء. (١)

اقول :

وعلى هذا يجوز سجود التلاوة على غير طهارة كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يسجد على غير وضوء ، لكن السجود بشروط الصلاة ، من طهارة واستقبال القبلة وستر العورة افضل ، ولا ينبغي ان يترك ذلك الا لعذر .

هل فيه تحليل بالسلام :

الصحيح ان فيه تحليلا "بالسلام" لانه عبادة لها تكبير ، فكان فيه تسليم كصلاة الجنازة بل اولى ، لان هذا فعل وصلاة الجنازة قول . (٢)

سجود المستمع اذا سجد التالي :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ علينا السجدة فيسجد ونسجد معه ، حتى مايجد احدنا مكانا لموضع جبهته. (٣)

----

(١) نيل الاوطار : جـ ٣ ص ١٢٧ ، وفتح البارى بشرح صحيح البخارى كتاب سجود القرآن : باب سجود المسلمين مع المشركين : جـ ٢ ص ٥٥٣.

(٢) احكام القرآن لابن العربي : جـ ٢ ص ٨٣١.

(٣) صحيح البخارى ،كتاب سجود القرآن ، باب من لم يجد موضعا للسجود من الزحام : جـ ٢ ص ٥٣.

حديث ابن عمر هذا يدل على جواز السجود لمن سمع الآية التي فيها السجدة اذا سجد القارئ لها .

وقوله عز وجل في سورة مريم :

﴿ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحمنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ (١)

يوضح ان سامع السجدة وتاليها سواء في حكمها وانهم جميعا يسجدون لانه مدح السامعين لها اذا سجدوا .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ السورة التي فيها السجدة ، سجد ويسجد من كان معه .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب يقولون : السجدة على من سمع .

وعن سليمان بن حنظلة الشيباني قال : قرأت عند ابن مسعود سجدة فقال : انما السجدة على من جلس لها . (٢)

وعن الزهرى عن ابن المسيب ان عثمان - يعني ابن عفان - رضي الله عنه مرّ بقاص فقرأ سجده ليسجد معه عثمان . فقال عثمان : انما السجود على من استمع ، ثم مضى ولم يسجد . قال الزهرى : وقد كان ابن المسيب يجلس في ناحية المسجد ، ويقرأ القاص السجدة فلا يسجد معه .

وعن عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : انما السجدة على من جلس لها ، فان مررت فسجدوا فليس عليك سجود . (٣)

---

(١) سورة مريم : الآية " ٥٨ ".

(٢) احكام القرآن للجصاص : ﺤ ٥ ص ٤٧ .

(٣) مصنف عبد الرزاق : ﺤ ٣ ص ٣٤٥ .

ماذا يفعل السامع ان لم يسجد القارئ :

عن زيد بن اسلم - رحمه الله - قال : ان غلاما قرأ عند النبي صلى الله عليه وسلم السجدة فانتظر الغلام النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم يسجد قال : يارسول الله ليس في هذه السجدة سجود ، قال صلى الله عليه وسلم بلى ولكنك كنت امامنا فيها ولو سجدت لسجدنا " (١)

وعلى هذا فان سجود التلاوة لا يكون الا اذا سجد القارئ .

هل تقضي السجده ؟ :

عن المغيرة بن حكيم قال : كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما فقرأ قاص بسجده بعد الصبح فصاح عليه ابن عمر ، فسجد القاص ، ولم يسجد ابن عمر فلما طلعت الشمس قضاها ابن عمر ، يقول : سجدها .

وقال سفيان الثوري : تقضي السجدة اذا سمعتها ولم تسجدها (٢)

وعلى هذا فان السجود يكون بعد قراءة آية السجدة او الاستماع اليها فان تأخر القارئ او السامع عن السجود لم يسقط عنهما مالم يكن الفاصل طويلا ، فان طال فات السجود ولا يقض .

---

(١) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، كتاب سجود القرآن ، باب من سجد لسجود القارئ : حـ ٢ ص ٥٥٦ ، وقال ابن حجر في الفتح تعقيبا على الحديث : رجاله ثقات الا انه مرسل ، وانظر نيل الاوطار : حـ ٣ ص ١٢٣.

(٢) مصنف عبد الرزاق : حـ ٣ ص ٣٥٠.

قراءة السجدة في الصلاة :

عن ابي رافع الصائغ قال : صليت مع ابي هريرة رضي الله عنه العتمة فقرأ : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴾ (١) فسجد فيها ، فقلت: ماهذه ؟ فقال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فما ازال اسجد فيها حتى القاه " (٢)

حديث ابي هريرة هذا يدل على جواز سجود التلاوة في الصلاة ، وان الرسول صلى الله عليه وسلم سجد في الصلاة .

قال ابن حجر :

" ان في رواية الاشعث عن معمر (٣) التصريح بان سجود النبي صلى الله عليه وسلم فيها كان داخل الصلاة " (٤)

والى ذلك ذهب جمهور العلماء ولم يفرقوا بين صلاة الفريضة والنافلة. (٥)

وبعد هذا التطواف الموجز مع "سجود التلاوة " اقول ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يجالسون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقرأ الآية التي فيها السجدة ، فيسجد ويسجدون معه . الا انه جاء عن زيد بن ثابت رضي الله عنه انه قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم سورة النجم فلم يسجد فيها ، وقد عارضه حديث ابن مسعود رضي الله عنه - وهو من علماء التفسير في القرن الأول - من ان الرسول صلى الله عليه وسلم سجد فيها وسجد من كان معه .

---

(١) سورة الانشقاق : الآية " ١ "

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى ،كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب سجود التلاوة : حـ ٥ ص ٧٨.

(٣) رواية الاشعث عن معمر ذكرها ابن حجر في الفتح ، كتاب الاذان ، باب الجهر في العشاء : حـ ٢ ص ٢٥٠ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب سجود القرآن ، باب من قرأ السجدة في الصلاة فسجد بها : حـ ٢ ص ٥٦٠.

(٥) نيل الاوطار : حـ ٣ ص ١٢١ .

اما سجدة سورة الحج فلم يختلف في الموضع الاول منها ، وان اختلفوا في الموضع الثاني منها . وقد ورد عن عمر رضي الله عنه ، وابن عباس وابي موسى الاشعرى وعبد الله بن عمر وعمار بن ياسر انهم قالوا : ان هذه السورة فضلت على غيرها بسجدتين .

وفي رواية عن ابن عباس انه قال : في الحج سجدة واحدة ، وكذلك مجاهد - رحمه الله - يرى ان الموضع الثاني من سورة الحج موعظة وليس بسجدة .

أما سجدة " ص " فيرى ابن عباس رضي الله عنه انها ليست من عزائم السجود وان كان قد سجدها النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان عبد الله بن مسعود لا يسجد فيها ويقول انما هي توبة نبي .

اما سجده " فصلت " فهي موضع اتفاق الا انه اختلف في موضعه . (١)

واما سجدة سورة " النجم " فقد كان ابن مسعود اذا قرأها سجد فيها وكذلك عمر وابن عمر رضي الله عنهم . وكذلك سجدة سورة " الانشقاق " فقد كان عمر وابن عمر يسجدان فيها وقد ثبت فيها حديث صحيح رواه ابو هريرة ، - رضي الله عنه - .

اما ما يتعلق بسجود المستمع مع القارئ فيرى ابن عمر وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ان السجدة على من سمع . وايضا ابن مسعود وابن عباس ، يريان ان السجدة على من جلس لها .

---

(١) راجع ص : (٣٠٤)

المبحث الثالث
حُكمُ العُمْرة

حكـــم العمـــرة

العمرة في اللغة :

العمرة بالضم ، مأخوذة من الاعتمار ، وهو الزيارة التي فيها عمارة الود ،
وجمع العمرة : العمر . (١)

العمرة في الشـــرع :

زيارة البيت على وجه مخصوص. (٢)
وقد اجمع العلماء على انها مشروعة.

فضلهـــا :

ورد في فضل وثواب العمرة احاديث رواها الائمة العلماء من ذلك :

١) ماروله الامام البخارى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبـــي صلى الله عليه وسلم قال : " عمرة في رمضان تعدل حجة " (٣)
اى ان ثواب ادائها في رمضان يعدل ثواب حجة غير مفروضة ، وادائها لا يسقط الحج المفروض.

٢) وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة " (٤)

----

(١) تاج العروس : حـ ٣ ص ٤٢٣.
(٢) الروض المربع شرح زاد المستقنع للبهوتي : حـ ١ ص ٤٥٣ ط / ١٣٩٠ هـ
والمراد : زيارة الكعبة ، والطواف حولها ، والسعي بين الصفا والمروة ، والحلق أوالتقصير .
(٣) صحيح البخارى كتاب الحج ، باب عمرة في رمضان : حـ ٣ ص ٤ .
(٤) المرجع السابق نفس الجزء ص ٢ .

تكرارهـــا :

ذهب اكثر اهل العلم الى جواز تكرارها في العام اكثر من مرة .

وقد ورد ذلك عن علي بن ابي طالب وابن عمر وابن عباس وانس والسـيدة عائشة - رضي الله عنهم - ، وعطاء وطاووس وعكرمة ، وقد اعتمرت عائشـة - رضي الله عنها - في شهر مرتين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم (١)

" وعن القاسم عـن عائشة - رضي الله عنها انها اعتمرت في سنة ثلاث مرات .

وعن نافع قال : اعتمر عبد الله بن عمر اعواما في عهد ابن الزبير عمرتين فـي كل عام " (٢)

وقال علي - رضي الله عنه - : في كل شهر مرة ، وكان انس - رضي الله عنه - اذا حمم رأسه خرج فاعتمر .

وقال عكرمة : يعتمر اذا امكن الموسى من شعره .

وقال عطاء ان شاء اعتمر في كل شهر مرتين .

اما الحسن البصرى وابن سيرين فقد كرها العمرة في السنة مرتين وقال ابراهيم النخعي : ماكانوا يعتمرون في السنة الا مرة ، ولان النبي صلى الله عليه وسلم لـم يفعله . (٣)

اقــول :

لا بأس بتكرار العمرة في السنة اكثر من مرة ، وذلك لان عائشـة رضي الله عنها اعتمرت في شهر مرتين بعلم النبي صلى الله عليه وسلم ، بالاضافة الى ان النبـي صلى الله عليه وسلم قال : " العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما " (٤) ومامن احـد الا ويود ان تكفر سيئاته .

---

(١) راجع المغني والشرح الكبير : حـ ٣ ص ١٧٥ .
(٢) السنن الكبرى للبيهقي : حـ ٤ ص ٣٤٤
(٣) المغني والشرح الكبير : حـ ٣ ص ١٧٥ .
(٤) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب العمرة : حـ ٣ ص ٢ .

وقتهـــــا :

ذهب جمهور العلماء الى ان وقت العمرة جميع ايام السنة ، فيجـــــوز اداؤها في يوم من ايامها ، وقد وردت احاديث في ادائها قبل الحج وبعـــده من ذلك :

١) مارواه الامام البخارى بسنده عن عكرمة بن خالد قال : سألت عبد الله بن عمر عن العمرة قبل الحج ؟ فقال : لا بأس على احد ان يعتمر قبـــل الحج ، فقد اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم قبل الحج . (١)

٢) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه ان السيدة عائشة رضي الله عنها حاضت، فنسكت (٢) المناسك كلها ، غير انها لم تطف بالبيت . فلما طهـــرت وطافت قالت : يارسول الله ، اتنطلقون بحج وعمرة ، وانطلق بالحج ؟ فأمر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يخرج معها الى التنعيم ، فاعتمرت بعـــد الحج في ذى الحجة . (٣)

كما يجوز الاعتمار في اشهر الحج ، وفي ذلك يقول طاووس: كان اهـــل الجاهلية يرون العمرة في اشهر الحج افجر الفجور (٤) ، ويقولون : اذا انفسخ(٥)

----

(١) صحيح البخارى ، كتاب الحج : باب من اعتمر قبل الحج : حـ ٣ ص٢ .

(٢) النسك : العبادة ، وكل حق لله تعالى ، ترتيب القاموس المحيط : حـ ٤ ص ٣٦٦ مادة (ن/ س/ ك) .

(٣) صحيح البخارى، كتاب الحج ، باب العمرة ليلة الحصبة وغيرهـــا : حـ ٣ ص ٤ .

(٤) الفجور : الانبعاث في المعاصي ، ترتيب القاموس المحيط: حـ٣ ص ٤٤٩ مادة (ف / ج / ر) .

(٥) انفسخ : انتقض وبطل وزال . المعجم الوسيط : حـ ٢ ص ٦٨٨ .

صفر ، وبرأ الدبر (١) ، وعفا الأثر (٢) حلت العمرة لمن اعتمر . فلما كان الاسلام أمر الناس ان يعتمروا في اشهر الحج ، فدخلت العمرة في اشهر الحج الى يوم القيامة. (٣)

ميقاتها :

الذى يريد العمرة اما ان يكون خارج مواقيت الحج (٤) أو يكون داخلها ، فان كان خارجها فلا يحل له مجاوزتها بلا احرام . وهذه المواقيت قد بينها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذى رواه الامام البخارى بسنده ان زيد بن جبير اتى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في منزله ، فسأله من اين يجوز ان اعتمر ؟ فقال : فرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل نجد قرنا (٥) ولأهل المدينة ذا الحليفة ، ولاهل الشام الجحفة (٦).

---

(١) برأ الدبر : الدبر بالتحريك ، الجراح الذى يكون في ظهر البعير . النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٢ ص ٩٧ .

(٢) عفا الأثر : بمعنى درس وامحى . النهاية في غريب الحديث والأثر : حـ ٣ ص ٢٦٦ .

(٣) المغني والشرح الكبير : حـ ٣ ص ٢٣٧ .

(٤) المواقيت المكانية للحج هي الاماكن التي يحرم منها من يريد الحج اوالعمرة ولا يجوز لحاج او معتمر ان يتجاوزها .
نيل الاوطار : حـ ٥ ص ٢١ .

(٥) قرن : ميقات اهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة .
معجم البلدان : حـ ٤ ص ٣٣٢ .

(٦) الجحفة : كانت قرية كبيرة ذات منبر على طريق المدينة من مكة على اربع مراحل . معجم البلدان : حـ ٢ ص ١١٠ .

وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما . . . ولاهل اليمن يلملم (١)، هن لهن ولمن اتى عليهن من غيرهن ممن اراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى اهل مكة من مكة " (٢)

اما اهل العراق فقد حد لهم عمر رضي الله عنه ذات عرق (٣) باجتهاد منه (٤) وان كان الذى يريد العمرة داخل المواقيت ، فميقاته في العمرة الحل ، ولو كان بالحرم ، للحديث الذى رواه الامام البخارى بسنده عن عمرو بن أوس وفيه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمر عبد الرحمن بن ابي بكر ان يردف عائشة ويعمرها من التنعيم . . (٥)

حكم العمرة :

يرى جمع من الصحابة والتابعين ان العمرة واجبة ومن هؤلاء :

علي بن ابي طالب - كرم الله وجهه - وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله ، وعمر بن الخطاب - رضي الله عنهم اجمعين -، ومن التابعين : عطاء بن ابي رباح ، وطاووس ، ومجاهد بن جبر ، والحسن البصرى ، وابن سيرين ، وعامر الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وابو برده ، ومسروق وقتادة ، وسعيد بن المسيب .

ويرى البعض انها ليست واجبة ولكل ادلته التي استند اليها .

---

(١) يلملم : موضع على ليلتين من مكة ، ويقال : هو جبل من الطائف على ليلتين او ثلاث . معجم البلدان : حـ ٥ ص ٤٤١ .

(٢) صحيح البخارى كتاب الحج ، باب مهل اهل مكة للحج والعمرة : حـ٢ ص ١٦٥

(٣) ذات عرق : مهل اهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة .
معجم البلدان : حـ ٤ ص ١٠٧ .

(٤) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب ذات عرق لاهل العراق جـ ٣ ص ٣٨٩ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب عمرة التنعيم : حـ ٣ ص ٤ .

أولا - ادلة القائلين بالوجوب :

١) قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ ﴾ (١)

وجه الاستدلال من الآية :

قوله (وَأَتِمُّوا) امر بالاتمام ، والمعنى : افعلوا الحج والعمرة على نعت الكمال والتمام ، وذلك مثل قوله تعالى :

﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (٢)

اى فعلهن على سبيل التمام والكمال ، ومثل قوله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (٣)

اى : افعلوا الصيام تاما الى الليل . (٤)

٢) واستدلوا بقوله تعالى : ﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ ﴾ (٥)

وجه الاستدلال من الآية :

هذه الآية تدل على وجوب حج اصغر على ماعليه حقيقة أفعل ، وما ذاك الا العمرة بالاتفاق ، واذا ثبت ان العمرة حج ، وجب ان تكون واجبة

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ ".

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٢٤ ".

(٣) سورة البقرة : الآية " ١٨٧ ".

(٤) راجع تفسير الفخر الرازى : حـ ٥ ص ١٤٠ .

(٥) سورة التوبة : الآية " ٣ ".

لقولـــه تعـالى :

﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ ﴾ (١) ولقوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ ﴾ (٢)

اعـــتراض :

هذا الاستدلال لايصح ، لان الحج الاكبر انما عنى الله بـــه الاجتماع الاكبر بالمشعر الحرام حيث تجتمع قريش وسائر الناس ولم يعن به شعيرة من الشعائر .

٣) وبما روى عن ابن عمر عن ابيه قال : دخل اعرابي حسن الوجه ، ابيـض الثياب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما الاسلام يارسول الله؟ فقال : ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة وتصوم شهر رمضان وتحج وتعتمر ....." (٣)

٤) وعن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الحج والعمرة فريضتان لا يضرك بأيهما بدأت . " (٤)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ ".

(٢) سورة آل عمران : الآية " ٩٧ ".

(٣) سنن الدار قطني : حـ ٢ ص ٢٨٢ ، كتاب الحج ، وقال الدارقطني : اسناد ثابت صحيح اخرجه مسلم بهذا الاسناد .

اقـــول : هذا الحديث بمعناه رواه الامام مسلم في صحيحه وليس فيه " وتعتمر " صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الايمان باب بيان اركان الاسلام : حـ ١ ص ١٧٦ .

(٤) سنن الدار قطني : حـ ٢ ص ٢٨٤ كتاب الحج .

قال ابن حجر : في اسناده ـ اى الحديث ـ اسماعيل بن مسلم المكي وهـو ضعيف ، ثم هو عن ابن سيرين عن زيد وهو منقطع ، ورواه البيهقي موقوفا على زيد واسناده اصح ، وصححه الحاكم ، ورواه ابن عدى والبيهقي من حديث ابن لهيعة عن عطاء عن جابر ، وابن لهيعة ضعيف. تلخيص الحبير حـ٢ ص٢٢٥

٥) وعن ابي رزين العقيلي ، انه قال : يارسول الله ان ابي شيخ كبير لا يستطيع الحج ولا العمرة ولا الظعن (١) قال صلى الله عليه وسلم : حج عن ابيك واعتمر (٢) .

وهذا امر منه صلى الله عليه وسلم باداء فرض الحج والعمرة عمن لا يطيقهما .

وقال الامام احمد : " لا اعلم في ايجاب العمرة حديثا اجود من هذا ولا اصح منه " (٣)

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين فهي كما يلي :

١) اخرج ابن ابي شيبة والحاكم عن ابن سيرين ان زيد بن ثابت سئل عن العمرة قبل الحج ، قال : صلاتان - وفي لفظ نسكان - لله عليك لا يضرك بأيهما بدأت . (٤)

٢) قال الصّبيّ بن معبد : اتيت عمر رضي الله عنه فقلت : اني كنت نصرانيا فأسلمت واني وجدت الحج والعمرة مكتوبتين عليّ ، واني اهللت بهما جميعا " فقال له عمر هديت لسنة نبيك .

قال ابن المنذر : ولم ينكر عليه قوله : " وجدت الحج والعمرة مكتوبتين عليّ " (٥)

---

(١) الظعن : السير . ترتيب القاموس المحيط : حـ ٣ ص ١٢٢ .

(٢) عون المعبود : كتاب المناسك ، باب الرجل يحج عن غيره : حـ ٥ ص ٢٤٩ ، تحفة الاحوذى ، كتاب الحج ، باب ما جاء في الحج عن الشيخ الكبير والميت حـ ٣ ص ٦٧٧ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) نيل الاوطار : حـ ٥ ص ٣ .

(٤) تفسير الدر المنثور : حـ ١ ص ٢٠٩ .

(٥) تفسير القرطبي : حـ ٢ ص ٣٦٨ .

٣) عن ابن جريج قال : اخبرني نافع ان عبد الله بن عمر كان يقول : ليس من خلق الله احد الا عليه حجه وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا ، فمن زاد بعدها شيئا فهو خير وتطوع ". (١)

٤) وكان جابر بن عبد الله يقول : ليس مسلم الا عليه حجة وعمرة من استطاع اليه سبيلا ". (٢)

٥) عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : امرتم باقامة اربع: اقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، واقيموا الحج والعمرة الى البيت ، والحج : الحج الاكبر والعمرة : الحج الاصغر ". (٣)

٦) أ - وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال : الحج والعمرة واجبتان (٤)

ب - وعنه قال في الحج والعمرة ، انها لقرينتها في كتاب الله (٥) .

﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ والعُمْرَةَ لِلهِ ﴾ (٦).

فابن عباس يرى هذا النص موجبا لكونها فرضا كالحج . " وهذا عن ابن عباس من طرق في غاية الصحة " (٧)

جـ - واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والدارقطني والحاكم والبيهقي عنه قال :

" العمرة واجبة كوجوب الحج من استطاع اليه سبيلا . (٨)

---

(١) تفسير القرطبي : جـ ٢ ص ٣٦٨ .

(٢) المحلى لابن حزم : جـ ٧ ص ٣٨ .

(٣) تفسير الدر المنثور : جـ ١ ص ٢٠٨ .

(٤) المحلى لابن حزم : جـ ٧ ص ٣٨ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب العمرة ، جـ ٣ ص ٢ .

(٦) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ ".

(٧) المحلى لابن حزم : جـ ٧ ص ٣٨ .

(٨) تفسير الدر المنثور : جـ ١ ص ٢٠٨ ،

د) واخرج ابن ابي شيبه والحاكم من طريق عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال : الحج والعمرة فريضتان على الناس كلهم الا اهل مكة فان عمرتهم طوافهم فمن جعل بينه وبين الحرم بطن واد فلا يدخل مكة الا باحرام " (١)

٧) واخرج عبد بن حميد وابن جرير عن علي رضي الله عنه انه قرأ وأقيموا الحج والعمرة للبيت ، ثم قال هي واجبة مثل الحج . (٢)

٨) ومن طريق قتادة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا ايها الناس كتبت عليكم العمرة .

٩) وعن ابن سيرين قال : كانوا لا يختلفون - يعني الصحابة والتابعين - ان العمرة فريضة .

وابن سيرين ادرك الصحابة واكابر التابعين .

١٠) وعن معمر عن قتادة قال : العمرة واجبة .

١١) أ - ومن طريق سفيان الثورى ، ومعمر بن داود بن ابي هند قال : قلت لعطاء : العمرة علينا فريضة كالحج ؟ قال : نعم .

ب - واخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن عطاء قال : ليس احد من خلق الله الا عليه حجة وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا كما قال الله ، حتى اهل بوادينا الا اهل مكة فان عليهم حجة وليست عليهم عمرة من اجل انهم اهل البيت وانما العمرة من اجل الطواف ". (٣)

---

(١) تفسير الدر المنثور : حـ ١ ص ٢٠٨

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

بقية الآثار راجع فيها المحلى لابن حزم : حـ ٧ ص ٤١ .

(٣) تفسير الدر المنثور : حـ ١ ص ٢٠٩ .

١٢) ومن الحسن البصرى وابن سيرين : العمرة واجبة (١)

١٣) ومن طاووس : العمرة واجبة (٢) .

١٤) ومن سعيد بن جبير : العمرة واجبة ، فقيل له : ان فلانا يقول : ليست واجبة ، فقال : كذب ، ان الله تعالى يقول :

﴿ وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ ﴾ (٣)

١٥) ومن سعيد بن المسيب : انما كتب عليّ عمرة وحجة. (٤)

١٦) ومن مجاهد قال : الحج والعمرة فريضتان . وعنه قال : العمرة الحجة الصغرى (٥)

١٧) ومن طريق سعيد بن منصور عن الشعبي انه قال في العمرة: هي واجبة(٦)

----

(١) المحلى لابن حزم : جـ ٧ ص ٤١.

(٢) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " ، تفسير الطبرى : جـ ٢ ص ١٣١ .

(٤) المحلى لابن حزم : جـ ٧ ص ٤١.

(٥) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

(٦) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

ثانيا - ادلة القائلين بعدم الوجوب :

قال ابن حزم : مانعلم لمن قال ليست واجبة سلفا من التابعين الا ابراهيم النخعي وحده ، ورواية عن الشعبي قد صح عنه خلافها .." (١)
وروى عن ابن مسعود قول بعدم وجوبها . (٢)

واليك الادلة التي اعتمد عليها اصحاب هذا القول :

١) روى الامام مسلم بسنده عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "بني الاسلام على خمسة : على ان يوحد الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصيام رمضان والحج .." (٣)

٢) الخبر الثابت في الذى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسلام فأخبره بالصلاة والزكاة والصيام والحج فقال : هل عليّ غيرها يارسول الله؟ قال : لا الا ان تطوع. (٤)

وجه الدلالة من الحديثين :

اقتصاره صلى الله عليه وسلم في الحديثين على ذكر اركان الاسلام الخمسة يوضح ان العمرة ليست واجبة ، ولو كانت واجبه لذكرها .

---

(١) المحلى : ج ٧ ص ٤٢ .
(٢) المغني والشرح الكبير : ج ٣ ص ١٧٣ .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الايمان ، باب بيان اركان الاسلام "ودعائمه العظام : ج ١ ص ١٧٦ .
(٤) صحيح مسلم بشرح النووى نفس الكتاب والباب: ج ١ ص ١٧٠ .

٣) اخرج الشافعي في الام وعبد الرزاق وابن ابي شيبه ، وعبد بن حميد عن ابي صالح ماهان الحنفي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" الحج جهاد والعمرة تطوع " (١)

٤) واخرج ابن ماجة عن طلحة بن عبيد الله انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الحج جهاد والعمرة تطوع ". (٢)

٥) واخرج ابن ابي شيبة وعبد بن حميد والترمذى وصححه عن جابر بن عبد الله ان رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي ؟ قال : لا وان تعتمروا خير لكم ". (٣)

نقد للحديث الثالث والرابع والخامس .

أولا : حديث ابي صالح ماهان الحنفي وحديث طلحة بن عبيد الله .

قال ابن حجر : هذا الحديث رواه الدارقطني وابن حزم والبيهقي واسناده ضعيف ، وابو صالح ليس هو ذكوان السمان ، بل هو ابو صالح ماهان الحنفي ، كذلك رواه الشافعي عن سعيد بن سالم عن الثورى عن معاوية بن اسحاق عن ابي صالح الحنفي ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحج جهاد والعمرة تطوع " ورواه ابن ماجة من حديث طلحة واسناده ضعيف ، والبيهقي من حديث ابن عباس ولا يصح من ذلك شيء " (٤)

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي : حـ ٤ ص ٣٤٨ .

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب العمرة : حـ ٢ ص ٩٩٥ .

(٣) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب الحج ، باب ماجاء في العمرة اواجبة هي ام لا ، حـ ٥ ص ٦٧٩ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) تلخيص الحبير : حـ ٢ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧

ثانيا - حديث جابر بن عبد الله :

" رواه الامام احمد والترمذى والبيهقي من رواية الحجاج بن ارطأة عن محمد بن المنكدر عنه والحجاج ضعيف ، قال البيهقي : المحفوظ عن جابر موقوف ، كذا رواه ابن جريج وغيره ، وروى عن جابر بخلاف ذلك مرفوعا .

ونقل جماعة من الائمة الذين صنفوا في الاحكام المجردة من الاسانيد ، ان الترمذى صححه من هذا الوجه... وفي تصحيحه نظر كثير من اجل الحجاج ، فان الاكثر على تضعيفه ، والاتفاق على انه مدلس.

وقال النووى : ينبغي ان لا يغتر بكلام الترمذى في تصحيحه ، فقد اتفق الحفاظ على تضعيفه.

وقد نقل الترمذى عن الشافعي انه قال : ليس في العمرة شيء ثابت انها تطوع " (١)

مما تقدم نكاد نلمس اختلاف الآراء في حكم العمرة اواجبة هي ام ليست واجبة فنجد من الصحابة علي بن ابي طالب وعبد الله بن عباس وابن مسعود ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمر ، وزيد بن ثابت ، وجابر بن عبد الله يرون وجوب العمرة.

ومن التابعين القائلين بوجوبها : عطاء بن ابي رباح ، ومجاهد بن جبر ، والحسن البصرى ، ومسروق ، وقتادة وابن سيرين ، وعامر الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وسعيد بن المسيب ، وطاووس .

وفي المقابل نجد ابراهيم النخعي ، وعامر الشعبي - في رواية اخرى - يرون عدم وجوب العمرة. وكذلك روى عن ابن مسعود .

---

(١) تلخيص الحبير : جـ ٢ ص ٢٢٦ .

ولعل سبب الخلاف في هذا هو تعارض الآثار ، وتردد الامر بالتمام في قوله تعالى :

* وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ * (١)

بين ان يقتضي الوجوب ام لا يقتضيه فمن اوجبها قال : ان معنى الاية : اداؤها والاتيان بهما مثل قوله تعالى :

* وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ * (٢) وقوله : * ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلى الليْلِ * (٣) .

ومن لم يوجبها فقد وجه الآية على النحو التالي :

قالوا : " .... واما الاية فلا حجة فيها للوجوب لان الله سبحانه وتعالى انما قرنها في وجوب الاتمام لا في الابتداء فانه ابتدأ الصلاة والزكاة فقال تعالى :

* وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ * (٤)

وابتدأ بايجاب الحج فقال تعالى :

* وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ * (٥)

ولما ذكر العمرة امر باتمامها لا بابتدائها ، فلو حج عشر حجج او اعتمر عشر عمر لزم الاتمام في جميعها ، فانما جاءت الآية لالزام الاتمام لا لالزام الابتداء ... " (٦) .

وقد ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من رواية علي بن ابي طلحة في قوله تعالى : * وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ * (٧)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ ".
(٢) سورة البقرة : الآية " ١٢٤ ".
(٣) سورة البقرة : الآية " ١٨٧ ".
(٤) سورة البقرة : الآية " ٤٣ ".
(٥) سورة آل عمران : الآية " ٩٧ ".
(٦) تفسير القرطبي : جـ ٢ ص ٣٦٩ .
(٧) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ "

قال : " انه امر من الله باتمام اعمالهما بعد الدخول فيهما وايجابهما ، على ما أمر به من حدودهما وسننهما . ويقول : من أحرم بحج او بعمرة فليس له ان يحل حتى يتمهما تمام الحج يوم النحر ، اذا رمى جمرة العقبة وزار البيت فقد حل من احرامه كله. وتمام العمرة ، اذا طاف بالبيت وبالصفا والمروة فقد حل . (١)

اقـــول :

والذى يبدو من توجيه معنى الآيـــة :

* وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ * (٢)

ان الصواب قول من قال : ان العمرة تطوع لا فرض ، ويكون معنى الآيـــة : اتموا الحج والعمرة بعد شروعكم فيهما وايجابكموهاعلى انفسكم .

يقول الامام الشوكاني :

" . . . والحق عدم وجوب العمرة لان البراءة الاصلية لا ينتقل عنها الا بدليل يثبت به التكليف ولا دليل يصلح لذلك لا سيما مع اعتضادها بالاحاديث القاضية بعدم الوجوب ، ويؤيد ذلك اقتصاره صلى الله عليه وسلم على الحج في حديث بني الاسلام على خمس ، واقتصار الله جل جلاله في قوله تعالى :

* وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ * (٣)

وأما قوله تعالى :

* وَأَتِمُّوا الحَجَّ وَالعُمْرَةَ لِلّهِ * (٤)

فلفظ التمام مشعر بأنه انما يجب بعد الاحرام لا قبله ويساعدنا على فهـــم هذا المعنى معرفتنا لسبب نزول هذه الآية فقد اخرج الشيخان وغيرهما بسنديهما

----

(١) تفسير الطبرى : حـ ٤ ص ٧ وص ٢٠.

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ "

(٣) سورة آل عمران : الآية " ٩٧ ".

(٤) سورة البقرة : الآية " ١٩٦ " .

عن يعلي بن امية قال : جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالجعرانة (١) عليه جبة وعليها خلوق (٢) فقال كيف تأمرني ان اصنع في عمرتي ؟ قال : فأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم فتستر بثوب . . . فلما سرى (٣) عنه ، قال : اين السائل عن العمرة ؟ اغسل عنك اثر الخلوق ، واخلع عنك جبتك واصنع في عمرتك ما انت صانع في حجك . (٤)

فالسائل هنا قد احرم بالفعل وانما سأل كيف يصنع ، فلا حجة اذا في الآية للوجوب لان الله تعالى قرنها بالحج في وجوب الاتمام لا في الابتداء (٥)

---

(١) الجعرانة : بكسر اوله ، وهي ماء بين الطائف ومكة ، وهي الى مكة اقرب. معجم البلدان : جـ ٢ ص ١٤٢.

(٢) الخلوق : طيب معروف مركب يتخذ من الزعفران وغيره من انواع الطيب : النهاية في غريب الحديث والاثر : جـ ٢ ص ٧١ .

(٣) سرى عنه : كشف عنه. النهاية في غريب الحديث والاثر : جـ ٢ ص ٣٦٤.

(٤) صحيح البخارى ، كتاب الحج ، باب غسل الخلوق ثلاث مرات من الثياب جـ ٢ ص ١٦٧.

(٥) نيل الاوطار : جـ ٥ ص ٥.

الفصل الثالث

موقف الصحابة والتابعين من قضايا القرآن في آيات الأخلاق

المبحث الأول : الأمانة
المبحث الثاني : الصدق
المبحث الثالث : الصبر

المبحث الأول

الأمانة

الأمـــانـــة

الأمن في اللغة :

اصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف .

والامنُ والامانةُ والامانُ في الاصلِ مصادرُ ، ويجعل الأمان تـــارةً اسما للحالة التي يكون عليها الانسانُ في الامنِ ، وتارةً اسمًا لما يُؤمَنُ عليـــه الانسانُ نحو قوله تعالى :

﴿ وَتَخُونُوا اَمَانَاتِكُمْ ﴾ (١)

اى : ما ائتُمنتم عليه ... ويقال : رجلٌ أَمَنَةٌ وأُمَنَةٌ يثق بكلِّ احـــدٍ وامينٌ وامانٌ يُؤْمَنُ به . (٢)

وجاء في ترتيب القاموس المحيط :

الأَمْـــنُ : ضدُ الخوفِ . أمِنَ - كَفَرِحَ - امنا وأمانا ،- بفتحهما - وأَمَنًا وامَنَةً محركتين - وإمْناً - بالكسر - : فهو أَمِنٌ وأمِينٌ .

ورَجُلٌ أُمَنَةٌ : يأْمَنُهُ كُلُّ احدٍ في كل شيء . وقد آمَنَهُ وأَمَّنَهُ .

والامِنُ : المُستجيرُ ليَأمَنَ على نفسه .

والأَمانَةُ ، والامَنَةُ : ضِدُّ الخيانة . وقد امِنَهُ وامّنَهُ تأميناً ، وائتَمَنَـــه ، واستأمَنَهُ .

وقد أمُنَ فهو أمينٌ ، وأُمَّانٌ مأمونٌ به ثقة . (٣)

---

(١) سورة الأنفال : الآية " ٢٧ " .

(٢) المفردات في غريب القرآن : ص ٢٦ .

(٣) حـ ١ ص ١٨١ .

وبعد معرفة المعنى اللغوى للفظ الامانة يمكن القول : ان الامانة خلق ضخم لايستطيع حملها الضعاف من الناس ، وفي الكتاب العزيز ضرب الله المثل لضخامتها ،واوضح انها تثقل كاهل الوجود كله ، وعلى هذا فالاجدر بالانسان ان لايستهين بها او يفرط في جانبها ، قال تعالى في سورة الاحزاب :

* إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً * (١)

فما هي الامانة التي عرضت على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وحملها الانسان ؟

روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قوله : (إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ . .) قال : الامانة الفرائض ، عرضها الله عز وجل على السموات والارض والجبال ، ان ادّوها اثابهم ، وان ضيعوها عذبهم ، فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ، ولكن تعظيما لدين الله عز وجل الا يقوموا به . ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها .

وهكذا قال مجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصرى وغير واحد : ان الامانة هي الفرائض . (٢)

اذن فالامانة هنا هي الفرائض التي ائتمن الله تعالى عليها العباد ، وهذا القول هو الذى عليه اهل التفسير .

وقد اختلف في تفاصيل بعضها على اقوال :

----

(١) الآية : " ٧٢ " .

(٢) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٥٢٢ .

١ - قال عبد الله بن مسعود : هي في امانات الاموال كالودائع وغيرها .
وعنه ايضا قال : انها في كل الفرائض واشدها امانة المال .

٢ - وقال ابي بن كعب رضي الله عنه : من الامانة ان ائتمنت المرأة على فرجها .

٣ - وقال ابو الدرداء رضي الله عنه : غسل الجنابة امانة ، وان الله تعالى لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيرها .
وفي هذا الكلام نظر ، وذلك لان الامانات متعددة ، فالصلاة امانة والزكاة أمانة ، والحج أمانة الى غير ذلك من التكاليف التي امر الله بها .

٤ - وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : اول ما خلق الله تعالى من الانسان فرجه ، وقال : هذه امانة استودعتكها ، فلا تبسل (١) منها شيئا الا بحقها ، فان حفظتها حفظتك ، فالفرج امانة ، والاذن امانة ، والعين امانة ، واللسان امانة ، والبطن امانة ، واليد امانة ، والرجل امانة ، ولا ايمان لمن لا امانة له .

٥ - وقال قتادة : الامانة :الدين والفرائض والحدود . (٢)

٦ - وقال زيد بن اسلم : الامانة ثلاثة ، الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة . (٣)

وروى معمر عن الحسن :
ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال ، قالت : وما فيها ؟
قيل لها : ان أحسنت جوزيت وان اسأت عوقبت ، فقالت : لا .

---

(١) البسل : المنع والحبس ، معجم مقاييس اللغة : حـ ١ ص ٢٤٨ .
(٢) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٥٢٢ .
(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

قال مجاهد :

فلما خلق الله تعالى آدم عرضها عليه ، قال : وماهي ؟ قال : ان احسنت أجرتك وان اسأت عذبتك . قال : فقد تحملتها يارب .

قال مجاهد : فما كان بين ان تحملها الى ان اخرج من الجنة الا قدر مابين الظهر والعصر .

٧ - وقيل : لما حضرت آدم عليه السلام الوفاة امر ان يعرض الامانة على الخلق ، فعرضها فلم يقبلها الا بنوه .

٨ - وقيل : هذه الامانة هي ما اودعه الله تعالى في السموات والارض والجبال والخلق ، من الدلائل على ربوبيته ان يظهروها فأظهروها ، الا الانسان فانه كتمها وجحدها ، " وهذا قول بعض المتكلمين ". (١)

مما تقدم يتضح ان للامانة وجوها كثيرة منها ان المراد بالامانة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ .. ﴾ (٢)

الفرائض : وهذا الرأى هو الذى يقول به اهل التفسير .

اما ماجاء في قوله تعالى من سورة المؤمنون وصفا للمؤمنين :

﴿ والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (٣)

فالظاهر عموم الامانات فيدخل فيها ما ائتمن تعالى عليه العباد من قول وفعل واعتقاد ، فيدخل في ذلك جميع الواجبات من الافعال والتروك

---

(١) راجع هذه الآثار في تفسير القرطبي : حـ ١٤ ص ٢٥٣ ومابعدها .

(٢) سورة الاحزاب : الآية " ٧٢ ".

(٣) الآية " ٨ " . وقد وردت هذه الآية ايضا في سورة المعارج ، الآية " ٣٢ " وصفا للمصلين .

وما ائتمنه الانسان قبل . ويحتمل الخصوص في امانات الناس ، ومراعاتها تكون بالقيام عليها وحفظها الى ان تؤدى ... " (١)

نعم فالامانة فضيلة ضخمة يتواصى المسلمون بحفظها ورعايتها ، وهي صفة لا تنفصل عن كيان الانسان ، ولقد تمكنت الامانة في الجيل الاول فوصلت اقصى مراميها ، وتكون على حقيقتها جيل عفيف النفس والطبع ، نظيف اليد ، مما جعل البعض يحمل ايوان كسرى من المدائن الى المدينة لم يتغير فيه شيء ، فجعل عمر بن الخطاب يقول :

" ان الايدى التي حملته لامينة حقا امينة " (٢)

وكتب السيرة النبوية تروى لنا كيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قرر الهجرة من مكة الى المدينة استخلف عليا - كرم الله وجهه - ليرد الامانات الى اهلها . (٣)

وهذا معنى من معاني الامانة والذى يتمثل في حفظ الودائع وردها الى اصحابها ومن معانيها ايضا اسناد الامر لمن هو اهل له.

عن ابي ذر الغفارى رضي الله عنه قال : قلت يارسول الله : الا تستعملني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : يا أبا ذر : انك ضعيف ، وانها امانة ، وانها يوم القيامة خزى وندامة ، الا من اخذها بحقها وادى الذى عليه فيها . (٤)

----

(١) تفسير البحر المحيط : حـ ٦ ص ٣٩٧ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير : حـ ٧ ص ٦٧ بلفظ : ان قوما ادوا هذا لأمناء .

(٣) السيرة النبوية : لابن هشام : حـ ٢ ص ١٢٩ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الامارة باب كراهة الامارة بغير ضرورة : حـ ١٢ ص ٢٠٩ .

فهذا الصحابي الجليل لما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستعمله في منصب ما لم يره الرسول صلى الله عليه وسلم كفوءا لهذا المنصب فحذره منها .

ومن معاني الامانة حفظ مايدور في المجالس التي يكون المرء مشاركا فيها عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة " (١)

ومن حق من استأمنك على حديث ان تحفظه له ولا تفشيه والا كان افشاء هذا السر خيانة للامانة وخير مثال لذلك ماحصل من ابي لبابة بن عبد المنذر الانصارى ، وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى وعشرين ليلة ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ماصالح عليه اخوانهم من بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم باذرعات واريحا من ارض الشام ، فأبى ان يعطيهم ذلك الى ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ ، فأبوا وقالوا : ارسل الينا ابا لبابه ، وكان مناصحا لهم ، لان عياله وماله وولده كانت عندهم ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فقالوا : يا ابا لبابة ماترى ، أننزل على حكم سعد بن معاذ ؟ فأشار ابولبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا ، قال ابو لبابة : والله مازالت قدماى حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٢)

---

(١) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ابواب البر والصلة ، باب ماجاء ان المجالس بالامانة ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن : جـ ٦ ص ٩٢ .

(٢) سورة الانفال : الآية " ٢٧ ".

فلما نزلت شد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال : والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله عليّ فمكث سبعة ايام لا يذوق فيهما طعاما ولا شرابا حتى خرّ مغشيا عليه ، ثم تاب الله عليه ...» (١)

وعلى هذا فالمجالس ملزمة للمشتركين فيها بالامانة الا ثلاثة مجالس :

المجلس الاول : مجلس سفك فيه دم حرام.
المجلس الثاني : مجلس كان فيه اعتداء على عرض حرام .
المجلس الثالث : مجلس اعتدى فيه على مال بغير حق .

وفي ذلك عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس : سفك دم حرام ، او فرج حرام ، او اقتطاع مال بغير حق » (٢)

ومن الامانة العفة عن التعدى على الاعراض ، والبعد عن حقوق الغير ، وتأدية العبد حق ربه عليه ، كالعبادات المفروضة والطاعات الواجبة ، والكف عما حرم الله ، وتبليغ الرسائل الكتابية واللفظية على الوجه الذى أمر به او املى عليه. واعطاء كل ذى حق حقه ، والاهتمام بأن يحفظ المستأمنون ما استؤمنوا عليه من حقوق لغيرهم حتى يؤدوها الى ذويها وهي على حالتها .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ (٣)

---

(١) اسباب النزول للواحدى : ص ١٣٤.
(٢) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب الادب ، باب في نقل الحديث جـ ١٣ ص ٢١٧ .
وقال المنذرى : في الحديث ابن اخي جابر وهو مجهول . وفي اسناده عبد الله بن نافع الصائغ مولى بني مخزوم كنيته ابو محمد وفيه مقال .
وقال المناوى : اسناده حسن .
(٣) سورة النساء : الآية « ٥٨ » .

وهذا النص الكريم يفيد وجوب تأدية جميع انواع الامانات الى اصحابها ومستحقيها .

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رواه عنه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه يصور رفع الامانة من قلب الرجل الذى لا يؤديها . يقول :

" حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين " رأيت احدهما وانا انتظر الآخر ، حدثنا ان الامانة نزلت في جذر (١) قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة ، وحدثنا عن رفعها ، قال : ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل اثر الوكت (٢) ثم ينام النومة فتقبض فيبقى اثرها مثل المجل (٣) كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا (٤) وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدى الامانة فيقال : ان في بني فلان رجلا امينا ، ويقال للرجل ما اعقله وما اظرفه وما اجلده ومافي قلبه مثقال حبة خردل من ايمان .." (٥)

----

(١) الجذر : الاصل من كل شيء حتى يقال لأصل اللسان جذر ، معجم مقاييس اللغة : حـ ١ ص ٤٣٦ .

(٢) الوكت : الاثر اليسير في الشيء ، المعجم الوسيط : حـ ٢ ص ١٠٥٣

(٣) المجل : يقال : مجلت يده تمجل مجلا ، ومجلت تمجل مجلا ، اذا ثخن جلدها تعجر ، وظهر فيه مايشبه البثر ، من العمل بالاشياء الصلبة الخشنة ، النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٤ ص ٣٠٠ .

(٤) منتبرا : مرتفعا ، النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٥ ص ٨ .

(٥) صحيح البخارى. كتاب الرقاق ، باب رفع الامانة : حـ ٨ ص ١٢٩ .

فما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على ارتباط الامانة بالايمان وان رفع الامانة يأتي بسبب ضعف الايمان او فقده عند الناس ، وكلما قوى الايمان في القلوب كلما استقرت ورست الامانة في الاعماق ، وهذا ماجعل ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما جاء مال البحرين ينادى : من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عده او دين فليأتنا ، ونص الحديث كما جاء في صحيح البخارى :

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قد جاء مال البحرين اعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ، فلم يجيء مال البحرين حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما جاء مال البحرين أمر ابو بكر فنادى : من كان له عند النبي صلى الله عليه وسلم عده او دين فليأتينا ، فأتيته ، فقلت : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي كذا وكذا ، فحثى لي حثية ، فعددتها ، فاذا هي خمسمائة ، وقال : خذ مثليها .(١)

فهذا جانب من خلق الامانة عند بعض الصحابة رضوان الله عليهم فهم قد التزموا بالامانة في كل ناحية منها ولم يقصروها على شيء واحد .

ويظهر من هذا السياق الجلي موقف ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد والحسن البصرى من الامانة في قوله تعالى :

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ... ﴾ (٢)

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب السلم ، باب من تكفل عن ميت دينا فليس له ان يرجع : حـ ٣ ص ١٢٦ .

(٢) سورة الاحزاب : الآية " ٧٢ ".

وذلك انهم قالوا : هي الفرائض ، وقال ابن مسعود هي في امانات الاموال كالودائع وغيرها ، وقال ايضا : انها في كل الفرائض واشهرها امانة المال . اما قتادة فقال : الامانة :الدين والفرائض والحدود ، وقال زيد ابن اسلم : الامانة ثلاثة: الصلاة والصوم والاغتسال من الجنابة.

والظاهر انها تعم جميع الامانات وذلك لان الامانات متعددة فينبغي ان لاتقصر على جانب منها . ولا تعارض بين هذه الاقوال . بل هي متفقة وراجعة الى انها التكليف وقبول الاوامر والنواهي بشرطها " (١)

----

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٣ ص ٥٢٢ .

المبحث الثانى
الصدق

الصـــدق

الصـــدق لغـــة :

نقيض الكذب صَدَقَ يَصْدُقُ صَدْقاً وصِدْقاً وَتَصْداقاً ، وصَدَّقه الحديث : انبأه بالصدق (١) .

واما حقيقـة :

فقيل الصدق : الوفاء لله بالعمل ، وقيل : موافقه السر النطـق ، وقيل : استواء السر والعلانية ، وقيل : القول بالحق في مواطن الهلكـة ، وقيل : كلمة الحق عند من تخافه وترجوه. (٢)

أقـول :

والصدق هو التزام الحق وتحرى الصواب في القول والعمل في كل حال.

والصدق روح الاعمال ومحك الاحوال ، وقد أمر الله تعالى به في آيـات كثيرة ، قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (٣)

واخبر عز وجل عن اهل البر بعد ان أثنى عليهم بحسن اعمالهم بقولـــه :

﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ (٤)

---

(١) لسان العرب ، مادة (صدق) : حـ ٢ ص ٤٢٠ .

(٢) مدارج السالكين لابن القيم : حـ ٢ ص ٢٧٤ .

(٣) سورة الاحزاب : الآية " ٧٠ " .

(٤) سورة البقرة : الآية " ١٧٧ " .

والصحابة رضوان الله عليهم والتابعون لهم باحسان أحبوا الصدق ، والتزموه ظاهرا وباطنا في اقوالهم وفي افعالهم ، اذ الصدق يهدى الى البر ، والبر يهدى الى الجنة ، والجنة اسمى الغايات ، والكذب وهو خلاف الصدق وضده يهدى الى الفجور ، والفجور يهدى الى النار. (١)

ويقص القرآن الكريم خبر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم : كعب ابن مالك ، وهلال بن أمية ، ومراره بن الربيع ، وكيف ان الصدق انجاهم وتاب الله عليهم فيقول عز وجل :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٢)

ولنترك كعبا رضي الله عنه يتحدث عن ماحدث بعد تلك الغزوة .

يقول : " لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها الا في غزوة تبوك ، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب احدا تخلف عنها . . . ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة (٣) غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد ، واستقبل

---

(١) وفي ذلك حديث صحيح رواه الامام مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب صديقا ، وان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب كذابا " صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر والصلة ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله : جـ ١٦ ص ١٥٩ .

(٢) سورة التوبة : الآية " ١١٨ ".

(٣) اى : غزوة تبوك .

سفرا بعيدا ، ومفازا (١) وعددا كثيرا ، فجلى (٢) للمسلمين امرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذى يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب : فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان سيخفى له مالم ينزل فيه وحي الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطفقت اغدو لكي اتجهز معهم ، فارجع ولم اقض شيئا فأقول في نفسي : انا قادر عليه ، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيئا ... ثم قال فلم يزل بي حتى اسرعوا وتفارط (٣) الغزو ، وهممت ان ارتحل فادركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك ... ثم قال : فلما بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه قافلا (٤) حضرني همي وطفقت اتذكر الكذب واقول : بماذا اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من اهلي فلما قيل ان رسول الله قد أظل (٥) قادما زاح عني الباطل ، وعرفت اني لن اخرج منه ابدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه ... وجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال : تعال ، فجئت امشي حتى

---

(١) المفازه : المنجاة . والمهلكة . والفلاة لا ماء بها . ترتيب القاموس المحيط : حـ ٣ ص ٥٣٤ . مادة (ف / و / ز) .

(٢) جلى : اظهر . ترتيب القاموس المحيط : حـ ١ ص ٥٢٤ مادة (ج / ل / ى)

(٣) تفارط : سبق وتقدم ، ترتيب القاموس المحيط : حـ ٣ ص ٤٧٤ ، مادة : (ف / ر / ط)

(٤) قافلا : راجعا . ترتيب القاموس المحيط : حـ ٣ ص ٦٦٩ مادة (ق / ف / ل)

(٥) اظل : دنا واقبل : المعجم الوسيط : حـ ٢ ص ٥٧٦ .

جلست بين يديه فقال لي : ماخلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ قلت : بلى
اني والله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت ان سأخرج من سخطه بعذر
ولقد اعطيت جدلا ، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك حديث كذب ترضى به عني
ليوشكن الله ان يسخطك علي ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه
اني لارجو فيه عفو الله لا والله ماكان لي من عذر ، والله ماكنت قط اقوى ولا ايسر مني
حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اما هذا فقد صدق ، فقم
حتى يقضي الله فيك فقمت .. فكنت اخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين واطوف في
الاسواق ولا يكلمني احد .. حتى اذا طال عليّ ذلك من جفوة الناس مشيت حتى
تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس اليّ فسلمت عليه فوالله ماردّ
عليّ السلام ، فقلت : يا ابا قتادة : انشدك بالله هل تعلمني احب الله ورسوله ،
فسكت فعدت له فنشدته. فقال : الله ورسوله اعلم ، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت
الجدار .. ثم قال : فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة وانا على ظهر بيت من
بيوتنا ،فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ
الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع(١) بأعلى صوته ياكعب بن
مالك ابشر قال : فخررت ساجدا وعرفت ان قد جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشرونا وذهب قبل صاحبي
مبشرون ... وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا
فوجا يهنئونني بالتوبة فدخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
حوله الناس .. فقال وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك
امك . قال : قلت امن عندك يارسول الله ام من عند الله . قال : لا بل من
عند الله .... فقلت يارسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي

---

(١) جبل سلع : جبل بسوق المدينة ، وقيل موضع بقرب المدينة .
معجم البلدان : حـ ٣ ص ٢٣٦ .

ان لا احدث الا صدقا مابقيت ، فوالله ما اعلم احدا من المسلمين ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم احسن مما ابلاني ماتعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا كذبا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقيت . . . " (١)

فكعب رضي الله عنه وصاحباه فرج الله تعالى عنهم بسبب صدقهم وكانت عاقبة صدقهم خيرا لهم وتوبة عليهم .

فالصدق ليس خلقا فاضلا يجب التخلق به لاغير بل هو من متممات الايمان ومكملات الاسلام اذ أمر الله تعالى به واثنى على المتصفين به قال تعالى في الامر بـه .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢)

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - وهو احد علماء التفسير في القرن الاول الهجرى - يقول : " الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل اقرءوا ان شئتم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٣)

فهل تجدون لاحد فيه رخصة ؟

وقال الحسن البصرى : - وهو رجل ثاني من علماء التفسير في القرن الاول الهجرى - : ان اردت ان تكون مع الصادقين فعليك بالزهد في الدنيا والكف عن اهل الملة. (٤)

---

(١) صحيح البخارى كتاب المغازى : باب غزوة تبوك : حـ ٦ ص ٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية " ١١٩ " .

(٣) سورة التوبة : الآية " ١١٩ " .

(٤) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ٣٩٩ .

وقال تعالى في الثناء على اهله :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ ﴾ (١)

قال انس رضي الله عنه في هذه الآية : - وأنس رجل ثالث من رجال التفسير في القرن الاول - نرى هذه الآية نزلت في انس بن النضر رضي الله عنه(٢) لم يشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فشق عليه وقال : اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه لئن أراني الله تعالى مشهدا فيما بعد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرين الله عز وجل ما اصنع. قال : فهاب ان يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فاستقبل سعد ابن معاذ رضي الله عنه فقال له انس بن النضر -رضي الله عنه- يا ابا عمر وايـن واها (٣) لريح الجنة اني اجده دون أحد فقاتلهم حتى قتل رضي الله عنه ، قال فوجد في جسده بضع وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية فقالت اخته الربيع ابنة النضر فما عرفت اخي الا ببنانه قال : فنزلت هذه الآية :

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَاعَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ . . . ﴾ (٤)

قال : فكانوا يرون انها نزلت فيه ، وفي اصحابه رضي الله عنهم. (٥)

فانس بن النضر واصحابه رضي الله عنهم عاهدوا الله على قتال اعداء الله واعداء المسلمين والتزموا الصدق في عهدهم فاستشهد انس بن النضر رضي الله عنه وفي جسده بضع وثمانون ضربة وطعنة ورمية.

---

(١) سورة الاحزاب : الآية " ٢٣ ".

(٢) صحيح البخارى كتاب التفسير باب (فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِر وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً) جـ ٦ ص ١٤٦.

(٣) واها : كلمة تعجب من طيب كل شيء . وتأتي للتلهف .
المعجم الوسيط : جـ ٢ ص ١٠٦١ .

(٤) سورة الاحزاب : الآية " ٢٣ ".

(٥) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الامارة باب ثبوت الجنة للشهيد : جـ١٣ ص ٤٧

ولم يقتصر الامر في قول الصدق والالتزام به على الصحابة رضي الله عنهم بل نجد من التابعين من لا يخاف في الحق لومة لائم .

وتحكي كتب التراجم ماحدث بين سعيد بن جبير - رحمه الله - وبين الحجاج بن يوسف الثقفي ، فكان الحجاج يقول له : ألم افعل بك ؟ الم افعل بك ؟ فيقول : بلى . قال : فما حملك على ماصنعت من خروجك علينا ؟ قال : بيعة كانت عليّ ، فغضب الحجاج وصفق بيديه وقال : فبيعة امير المؤمنين كانت اسبق واولى ، وامر به فضربت عنقه.(١)

فالتزم - رحمه الله - الصدق في موطن الهلكة.

وهناك كثير من الأمثلة على التزام الصحابة والتابعين لقول الصدق والعمل به وان كلفهم ذلك حياتهم وفي هذا القدر كفاية .

---

(١) تهذيب التهذيب : جـ ٤ ص ١٣ .

المبحث الثالث

الصّبر

الصـــبر

الصبر لغـــة :

اصـل الصبر : الحبس والمنع وكل من حبس شيئا فقد صبره ، ومنـه قوله تعالى :

﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ﴾ (١)

والصبر : نقيض الجزع ومنه قوله تعالى على لسان اهل النار :

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٢)

يقال : صبر الرجل يصبر صبرا فهو صابر وصبار وصبير كأمير وصبور ، والانثى صبور ايضا بغير هاء . والجمع صبر . (٣)

حقيقـة الصبر :

حقيقة الصبر تكمن في بيان معناه الشرعي فالصبر شرعا : حبس النفس عن الجزع وحبس اللسان عن الشكوى وحبس الجوارح عن التشويش . (٤)

وهذا يصدق اذا حبس العبد نفسه مع الايمان واركانه الستة مـن ايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

---

(١) سورة الكهف : الآية " ٢٨ " .

(٢) سورة ابراهيم : الآية " ٢١ " .

(٣) تاج العروس : حـ ٣ ص ٣٢٣ .

(٤) مدارج السالكين لابن القيم : حـ ٢ ص ١٥٦ .

يقول الغزالي :

الصبر هو عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فالصفة التي فارق الانسان بها البهائم في قمع الشهوات وقهرها يمكن ان نسميها باعثا دينيا ، ولنسم مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى ، وليفهم ان القتال قائم بين باعث الدين وباعث الهوى والحرب بينهما سجال ومعركة هذا القتال قلب العبد ، باعث الدين مؤيد بالملائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، وباعث الهوى مؤيد بالشياطين الناصرين لاعداء الله .. فان ثبت باعث الدين حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة ، فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وان تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين " (١)

ومن تعريفات الصبر ايضا :

التباعد من المخالفات والسكون عند تجرع غصص البلية واظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة ." (٢)

وهذا التعريف غير شامل حيث انه تضمن قسمين من اقسام الصبر .

القسم الاول : هو الثبات مع الله ، والقسم الثاني : هو تلقي البلاء بالرحب والدعة . (٣)

ويمكن ان يكون هذا التعريف شاملا لاقسام الصبر اذا اعتبرنا أن الثبات مع الله يعني الصبر على طاعته والصبر عن معصيته .

---

(١) احياء علوم الدين : حـ ٤ ص ٦٢ بتصرف .

(٢) مدارج السالكين : حـ ٢ ص ١٥٨ .

(٣) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

وقال علي بن ابي طالب - رضي الله عنه - :

الصبر مطيـة لاتكبو (١) ، فكأن الصبر مطيـة العبد التي تسير في الطريق الحق دون تعثر مادام متمكنا من زمامها محسنا توجيهها .

مما سبق نرى ان الاقوال اختلفت في تعريف الصبر وبيان ماهيته لأن دائرته واسعة ومجالاته متعددة ، ويمكن ان نخرج منها بتعريف قد يقارب الصواب - وان كان تعريف الغزالي اصوب - وهو :

ان الصبر خلق فاضل من الاخلاق الاسلامية الواجب التحلي به يقدم به المرء على فعل الجميل ويمتنع به من فعل مالا يحسن ولا يليق به كمسلم وغرضه من ذلك ابتغاء مرضاة الله ، قال تعالى :

﴿ والَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ ﴾ (٢)

والصبر فضيلة يحتاج اليها في الدين والدنيا فهو النور العاصم من الزلل اذا ترادفت الازمات والضوائق وقد كان ابتلاء الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم التابعون - رحمهم الله - امرا لا محيص عنه حتى يتأهبوا للنوازل المتوقعة وغير المتوقعة قال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ (٣)

والصبر من مقومات الرجولة الناضجة ومن ثم كان نصيبهم من العناء ، والشدائد كبيرا ومن هنا واسى الرسول صلى الله عليه وسلم المبتلين بالمصائب مواساة تخفف الآلام ، وتطمئن البال فقال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) مدارج السالكين : جـ ٢ ص ١٥٨ .

(٢) سورة الرعد : الآية " ٢٢ " .

(٣) سورة محمد : الآية " ٣١ " .

" مثل المؤمن كمثل خامة (١) الزرع يفيء (٢) ورقه من حيث اتتها الريح تكفئها (٣) فاذا سكنت اعتدلت ، وكذلك المؤمن يكفأ بالبلاء ، ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها (٤) الله اذا شاء " (٥)

انواع الصبر :

الصبر انواع ، صبر على الطاعة ، وصبر عن المعصية ، وصبر على النوازل .

يقول الامام الغزالي : اعلم ان الصبر ضربان :

أحدهما :

ضرب بدني كتحمل المشاق بالبدن والثبات عليها وهو اما بالفعل كتعاطي الاعمال الشاقة ، واما من العبادات وغيرها ، واما بالاحتمال كالصبر على الضرب الشديد ، والمرض العظيم ، والجراحات الهائلة "

والاخر: الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع ومقتضيات الهوى . (٦)

فأما الصبر على الطاعة والقيام بحق المعبود بِهْلله عز وجل فقد جاء فيه قوله تعالى :

﴿ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ (٧)

---

(١) الخامة : الرطبة من النبات والزرع ، معجم مقاييس اللغة : حـ٢ ص ٢٣٧ .

(٢) يفيء : يتحرك . النهاية في غريب الحديث والاثر : حـ ٣ ص ٤٨٣ .

(٣) تكفئها : تميلها ، يقال : اكفأت الشيء ، اذا أملته .
معجم مقاييس اللغة : حـ ٥ ص ١٨٩ .

(٤) يقصمها : يكسرها . ترتيب القاموس المحيط : حـ ٣ ص ٦٣٦ .

(٥) صحيح البخارى ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ) : حـ ٩ ص ١٦٨ .

(٦) احياء علوم الدين : حـ ٤ ص ٦٦ ، ٦٧ .

(٧) سورة مريم : الآية " ٦٥ " . ==

ولقد كان بلال بن رباح رضي الله عنه يعذب بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر لينطق بكلمة الشرك ولكنه كان صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان امية بن خلف اذا حميت الظهيرة يطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى ، فيقول وهو في ذلك البلاء : أحد احد ". (١)

ايضا نجد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجهر بقراءة القرآن الكريم رافعا به صوته عند المقام وقريش في انديتها فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن ام عبد ؟ ثم قالوا : انه ليتلو بعض ما جاء به محمد فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ ، ثم انصرف الى اصحابه وقد اثروا في وجهه ، فقال له اصحابه : هذا الذى خشينا عليك ، فقال : ماكان اعداء الله اهون عليّ منهم الآن ، ولئن شئتم لاغادينهم (٢) بمثلها غدا ، قالوا : لا ، حسبك قد اسمعتهم مايكرهون . (٣)

فطاعته عز وجل والقيام بواجب عبوديته أمر شاق وصعب على النفس ولكن هوءلاء الصحابة وغيرهم تغلبوا على انفسهم واطاعوه حق الطاعة.

== ونلاحظ في هذه الآية الكريمة ان القرآن استخدم صيغة (اصطبر) بدلا من اصبر وماذاك الا ان الطريق الى طاعته سبحانه وتعالى ملئ بالصعوبات .

(١) السيرة النبوية لابن هشام : حـ ١ ص ٣٣٩ .

(٢) غاداه : باكره. المعجم الوسيط : حـ ٢ ص ٦٤٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام : حـ ١ ص ٣٣٦.

الصبر على النوازل :

لقد ارشد الاسلام الى التحلي بفضيلة الصبر على مايصيب المرء في نفسه او ماله او اهله ووجه المسلمين الى الرضى بقضاء الله وقدره ، فحكمة الابتلاء في الحياة الدنيا قد تكون بالمكاره ، فعلى الناس ان يحتموا بالله ويلجأوا اليه حتى يقل حد الحوادث . قال تعالى :

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (١)

اوضح هذا النص الكريم ان المصائب المؤلمة في الانفس ، او في الاجسام ، او في الاموال ، او في الثمرات ، قد تكون نوعا من الامتحان في الحياة الدنيا .

وعلى هذا فكل شيء ترتبط به وندعي لانفسنا حقا فيه ، كان رباط الله به اوثق وحقه تعالى فيه اسبق .

عن عيينة بن عبد الرحمن عن ابيه ان ابن عباس نعى اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فأناخ (٢) فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول :

﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ (٣)

فاستعان ابن عباس رضي الله عنهما بالصبر والصلاة على فقد اخيه .

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٥٥ ".

(٢) اناخ بالمكان : اقام . ويقال : اناخ به البلاء والذل : حل به ولزمه . واناخ الجمل : ابركه . المعجم الوسيط : حـ ٢ ص ٩٦١ .

(٣) سورة البقرة : الآية " ٤٥ " ، تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٨٧ .

ومثال آخر في هذا الشأن يرويه القاسم بن محمد قال : " هلكت امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يعزيني بها ، فقال : انه كان في بني اسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد وكانت له امرأة وكان بها معجبا فماتت ، فوجد (١) عليها وجدا شديدا حتى دخل في بيت واغلق على نفسه واحتجب . فلم يكن يدخل عليه احد ، فسمعت به امرأة من بني اسرائيل ،فجاءته فقالت ان لي اليه حاجة استفتيه فيها ليس يجزيني (٢) الا ان اشافهه بها ، ولزمت بابه فأخبر بها ، فأذن لها فقالت : استفتيك في امر ، قال : وماهو؟ قلت : اني استعرت من جارة لي حليا فكنت البسه زمانا . ثم انها ارسلت تطلبه افأرده اليها ؟ قال : نعم والله ، قالت : انه قد مكث عندي زمانا !! فقال : ذاك احق لردك اياه ! فقالت : يرحمك الله افتأسف على ما اعارك الله ثم أخذه منك وهو احق به منك فأبصر ماكان فيه . ونفعه الله بقولها . (٣)

وفي هذا المثال نجد محمد بن كعب القرظي - رحمه الله - يسوق هذه القصة التي حدثت في بني اسرائيل في معرض التواصي بالصبر امتثالا لقوله عز وجل :

﴿ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ (٤)

---

(١) الوجد : الحزن . ترتيب القاموس المحيط : مادة : (و ج د) حـ ٤ ص ٥٧٥ .

(٢) يجزيني : يغنيني . ترتيب القاموس المحيط مادة (ج ز أ) حـ ١ ص ٤٨٥ .

(٣) الموطأ : كتاب الجنائز ، باب جامع الحسبه في المصيبة : حـ ١ ص ٢٣٧ .

(٤) سورة العصر : الآية " ٣ " .

الصبر عن المعاصـــي :

مهما تاقت النفس الى فعل المغريات فلا يسمح لها باقترابها ، ولا يوءذن لها في فعلها ، فحبس النفس دون معاصي الله عز وجل والاقدام على المكاره ، والفرار من الشهوات لا يتأتى الا لصبور ، والصبر سبب دخول الجنة، وسبب النجاة من النار ، لذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنـــه أنس بن مالك - رضي الله عنه - : " حفت الجنة بالمكاره وحفت النـــار بالشهوات " (١)

فكان صبر الصحابة رضوان الله عليهم عظيما وهم يجاهدون في سبيل الله وفي سبيل الحق واضعين الجنة ونعيمها نصب اعينهم فهان عليهم الجـــود بأرواحهم .

عن أنس رضي الله عنه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عينـــا ينظر مافعلت عير ابي سفيان . . وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابـــه حتى سبقوا المشركين الى بدر وجاء المشركون فقال رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : " لا يتقدمن احد منكم الى شيء حتى اكون انا أوذنه فدنـــا المشركون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى جنة عرضها السموات والارض قال : يقول عمير بن الحمام الانصارى يارسول الله جنة عرضهـــا السموات والارض ، قال : نعم ، فقال : بخ بخ (٢) فقال رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم مايحملك على قولك بخ بخ ؟ قال : لا والله يارسول الله الا رجاءة ان اكون من اهلها ، قال : فانك من اهلها ، قال : فأخـــرج

----

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها : جـ ١٧ ص ١٦٥ .

(٢) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشيء او المدح او الفخر المعجم الوسيط : جـ ١ ص ٤٠ .

تمرات من قرنه (١) فجعل يأكل منهن ثم قال : لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه انها لحياة طويلة قال : ثم رمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل. (٢)

وبعد :

فالصبر ضرورة لكل انسان في الدين والدنيا ، ولقد أدرك الصحابة والتابعون هذه الحقيقة فوعوها والتزموا بها فصبروا على الشدائد والازمات ونكبات الزمان وصبروا عن مشتهيات النفس ورغباتها وصبروا على طاعة الله عز وجل فجادوا بأنفسهم في سبيل طاعته فرضي الله عن الصحابة ورحم الله التابعين.

---

(١) القرن هنا : الجعبة . النهاية في غريب الحديث والأثر :
حـ ٤ ص ٥٥ . والجعبة : وعاء السهام والنبال .
المعجم الوسيط : حـ ١ ص ١٢٤.

(٢) مسند أحمد : حـ ٣ ص ١٣٦ .
وصحيح مسلم بشرح النووى : كتاب الامارة ، باب ثبوت الجنة للشهيد :
حـ ١٣ ص ٤٤.

الباب الثالث

الأتباع في تفسير القرآن

الفصل الأول : شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين

الفصل الثاني : بين التفسير في القرن الأول وما جاء بعده

الفصل الأول

شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين

شروط المفسر في ضوء تفسير الصحابة والتابعين

يحتاج المفسر لكتاب الله عز وجل ، الى انواع من العلوم والمعارف يجب ان تتوفر فيه ، حتى يكون أهلا للتفسير ، وقد ذكر العلماء انواع العلوم والشروط التي يجب توفرها في المفسر ، فقالوا : يجب أن تتوفر فيمن يتصدى لتفسير القرآن الكريم هذه الشروط :

أولا - صحة الاعتقاد ولزوم السنه :

فان كان مغموصا (١) عليه في دينه لا يوءتمن على الدنيا ، فكيف يوءتمن على الدين ؟ ولأنه لا يوءتمن ان كان متهما بالالحاد ، ان يبغي الفتنة ، ويغو الناس بليه وخداعه ، وان كان متهما بهوى لم يوءمن أن يحمله هواه على مايوافق بدعته .

ثانيا - صحة المقصد :

اى : يقصد بما يفعل ، التقرب الى الله تعالى دون شيء آخر ، من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمده عند الناس ، او محبة أو مدح من الخلق ، او معنى من المعاني سوى التقرب الى الله تعالى ، وذلك ليلقى التسديد ، قال تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (٢)

---

(١) مغموص عليه : مطعون في دينه : ترتيب القاموس المحيط : جـ ٣ ص ٤١٨ ، مادة (غ م ص) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية " ٦٩ " .

وانما يخلص له القصد اذا زهد في الدنيا ، لانه اذا رغب فيها لم يؤمن أن يتوصل به الى غرض من اغراض الدنيا يصده عن قصده ، ويفسد عليه صحة عمله ، " من مال أو رياسة او وجاهة أو ارتفاع عن اقرانه ، أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس اليه او نحو ذلك " . (١)

ثالثا -

أن يكون اعتماده على النقل الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ومن عاصرهم و يتجنب المحدثات .

رابعا -

ان يكون جيد العزيمة ، ذكي الفهم ، قوى الفكرة ، فان البليد قد يتقاعد عن فهم ما يبين له فكيف يستنبط مالم يبين له . (٢)

خامسا -

ان يكون عالما بأبواب السر من الاخلاص ، والتوكل ، والتفويض ، والاذكار الباطنه التي افترضها الله تعالى على عباده ، وبالالهام والوسوسة، ومايصلح الاعمال وما يفسدها وبآفات الدنيا ومعايب النفس ، وسبيل التوقي من فسادها ، ليتأتى له تفسير الآيات المنتظمة لهذه المعاني .(٣)

---

(١) التبيان في آداب حملة القرآن ، النووى : ص ١٥ ، ط : دار المعرفة .

(٢) مقدمتان في علوم القرآن ، مقدمة كتاب المباني ، ص ١٧٤ ، ط : ١٩٧٢ م .

(٣) المرجع السابق نفسه .

سادسا :

ان يكون جامعا للعلوم التي يحتاجها المفسر وهي :

أولا - اللغة ومايتعلق بها من نحو وصرف واشتقاق :

لأن بها يعرف شرح مفردات الالفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع،

يقول القرطبي :

" هل باستطاعة احد ان يفسر قوله تعالى في سورة البقرة ، الآية "٢٢٦" : ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُو فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ بدون ان يعرف المعنى اللغوى للايلاء والتربص والفيء " .

وقال الامام مالك :

" لا اوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله الا جعلته نكالا " .

وقال مجاهد :

" لا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر ان يتكلم في كتاب الله ، اذا لم يكن عالما بلغات العرب " (١)

أ - علم النحو :

وعلم النحو ضرورى للمفسر لأن المعنى يتغير بتغير الحركات تغيرا كثيرا فمثلا قوله تعالى في سورة فاطر : الاية "٢٨" :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ .

---

(١) تفسير القرطبي : حـ ١ ص ٣٣ .

بنصب هاء الجلالة ، ورفع همزة العلماء والمعنى صحيح ، لأن معنى الآية : الذين يخشون الله عز وجل من عباده العلماء دون غيرهم فمن ازداد علما بالله ، ازداد منه خوفا ، ولو عكس فضم هاء الجلالة ونصب همزة العلماء لفسد المعنى - والله اعلم - .

ب - علم الصرف :

ومعرفة علم الصرف ضرورية ايضا للمفسر حتى لا يخبط الانسان خبط عشواء .

قال الزمخشري :

" من بدع التفاسير قول من قال ان الامام في قوله تعالى :

﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ (١)

جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم " (٢) دون آبائهم . وهذا غلط فاحش او جبه جهل القائل بالتصريف فان اما لا تجمع على امام والحق يقال ان الزمخشري كان على حق حينما وصف هذا القول بأنه من بدع التفاسير لانه خطأ بيّن فان اما لا تجمع على امام وانما تجمع على امهات .

جـ - الاشتقاق :

مهم ايضا ، لأن الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف باختلافهما كالمسيح مثلا هل هو من السياحة او من المسح .

---

(١) سورة الاسراء : الآية " ٧١ " .

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل : جـ ٢ ص ٤٥٩ .

د - علوم المعاني والبيان والبديع :

وهذه العلوم ضرورية لمن اراد تفسير الكتاب العزيز ؛ لانه لابد من مراعاة مايقتضيه الاعجاز وذلك لا يدرك الا بهذه العلوم ، فمثلا قوله تعالى :

* وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ * (١)

اى : اشربوا حب العجل فهو على حذف مضاف ومثله ، قوله تعالى : * وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ * (٢) ، والمراد : واسأل أهل القرية .

وفي القرآن الكريم أمثلة على الاستعارة والكناية والمجاز ، ولابد في فهمها من معرفة علم البيان والبديع مثل قوله تعالى :

* تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا * (٣) ، عن سفينة نوح عليه السلام ، أى: بحفظنا ورعايتنا ، وقوله تعالى : * قَدَمَ صِدْقٍ * (٤) ،و * جَنَاحَ الذُّلِّ * (٥).

كل ذلك واشباهه يحتاج الى فهم علوم البلاغة واسرار البيان .

----

(١) سورة البقرة : الآية " ٩٣ " .

(٢) سورة يوسف : الآية " ٨٢ ".

(٣) سورة القمر : الآية " ١٤ ".

(٤) سورة يونس : الآية " ٢ " .

(٥) سورة الاسراء: الآية " ٢٤ " .

ثانيا - علم القراءات :

لان به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض.

ثالثا - علم اصول الدين :

وبه يتمكن المفسر لآيات القرآن الكريم أن يستدل على مايجب في حقه عزّ وجل ، ومايجوز ، وما يستحيل ، وان ينظر في الآيات المتعلقة بالالهيات والسمعيات ، والنبوات ، والمعاد ، وما شابه ذلك .

رابعا - اصول الفقه :

لابد من معرفة قواعد اصول الفقه ؛ فانه من اعظم الطرق في استثمار الاحكام من الآيات . (١)

خامسا -

أسباب النزول والقصص اذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أنزلت فيه ، فيستعين بمعرفة سبب النزول على فهم المراد من الآية . اما معرفة قصص القرآن الكريم فتعين على توضيح ما اجمل منها في القرآن الكريم .

سادسا - الناسخ والمنسوخ :

ليعلم المحكم من غيره .

---

(١) البرهان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٦ .

سابعا -

ان يكون عالما بأحكام الشريعة من العبادات ، والمعاملات ، والسنن الواردة فيها ليضع الآيات التي تنتظم هذه الأحكام مواضعها (١)

ثامنا -

الأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم ، للاستعانة بها في توضيح مايشكل عليه .

تاسعا - علم الموهبة :

وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم ويفتح قلبه لفهم اسراره واليه الاشارة بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ (٢) فهو ثمرة التقوى والاخلاص ولا ينال هذا العلم من كان في قلبه بدعة أو كبر أو حب للدنيا ، قال تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (٣)

قال الامام السيوطي في - الاتقان - بعد ان عد علم الموهبة من العلوم التي لابد منها للمفسر :

" ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول : هذا شيء ليس في قدرة الانسان وليس كما ظننت من الأشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل والزهد .

---

(١) مقدمتان في علوم القرآن ، مقدمة كتاب المباني : ص ١٧٤ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٢٨٢ ".

(٣) سورة الاعراف : الآية " ١٤٦ ".

قال الزركشي في - البرهان - :

" واعلم انه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له اسراره وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو هو مصر على ذنب اوغير متحقق اوضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع الى معقوله ، وهذه كلها حجب وموانع بعضها آكد من بعض " .

قال السيوطي : " وفي هذا المعنى قوله تعالى :

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ (١)

قال سفيان بن عيينه :

" يقول : انزع عنهم فهم القرآن " . أخرجه ابن ابي حاتم . (٢)

هذه هي الشروط التي اعتبرها العلماء فيمن يفسر كتاب الله ، وان كان بعض العلماء قد ذكر بعض هذه الشروط ولم يذكر البعض الآخر ، ومنهم من ادمجها حتى كانت اقل عددا مما ذكرنا ، وليس ما اثبتناه في هذا الفصل حصرا لجميع العلوم التي يحتاجها المفسر ، فعلوم القرآن الكريم بحر لا ساحل له اشتمل على علوم ومعارف كثيرة .

قال ابن ابي الدنيا :

" .... فهذه العلوم التي هي كالآله للمفسر لا يكون مفسرا الا بتحصيلها ، فمن فسر بدونها كان مفسرا بالرأى المنهي عنه ، واذا فسر

---

(١) سورة الاعراف : الآية " ١٤٦ " .

(٢) الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٣٢ .

مع حصولها لم يكن مفسرا بالرأى المنهي عنه ، قال والصحابة والتابعون كان عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الاخرى من النبي صلى الله عليه وسلم " . (١)

وارى تتميما للفائدة ان ألخص مقالة الشيخ محمد رشيد رضا التي اقتبسها من دروس شيخه محمد عبده وذكرها في مقدمة تفسيره وهي تلقي الضوء على ماتقدم .

قسم المرحوم الشيخ : محمد عبده التفسير الى مرتبتين :

(١) مرتبة عليا .

(٢) ومرتبة دنيا .

أما المرتبة العليا فهي لا تتم الا بأمور :

أحدهـــا :

فهم حقائق الالفاظ المفردة التي اودعها القرآن ، بحيث يحقق المفسر ذلك عن طريق استعمالات اللغة ، فان كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ التأويل اشتهر بمعنى التفسير مطلقا او على وجه مخصوص ، ولكنه جاء في القرآن بمعان أخرى .

ثانيها :

معرفة الأساليب الرفيعة ، وذلك يحصل بممارسة الكلام البليغ ومزاولته ، مع التفطن لنكته ومحاسنه .

---

(١) انظر في هذا الفصل : الاتقان في علوم القرآن ، للسيوطي : حـ ٢ ص ٢٢٥ - ٢٣٢ .

ثالثهـا :

علم احوال البشر ، ومعرفة السنن الالهية الكونية في تطـــور الامم واختلاف احوالهم ، من قوة وضعف ، وعز وذل ، وايمان وكفـر .

رابعهـا :

العلم بوجه هداية القرآن للبشرية ، وماكان عليه العرب فـــي الجاهلية من شقاء وضلال ، فقد روى عن عمر رضي الله عنه انه قال :

" لا يعرف فضل الاسلام من لم يقرأ حياة الجاهلية " .

خامسها :

العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ، وماكانوا عليـــه من علم وعمل ، في الشئون الدينية والدنيوية .

المرتبـة الدنيا :

واما ادنى مراتب التفسير: فهو أن يتبين بالاجمال مايشـــرب قلبه عظمة الله وتنزيهه ويصرف النفس عن الشر ، ويجذبها الى الخيـــر وهذه ميسرة لكل احد كما قال تعالى في سورة القمر : الآية " ٢٢ " :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ (١)

---

(١) انظر تفسير المنار : جـ ١ ص ١٩ ، ٢٠ .

وهذه الشروط التي ذكرها العلماء انما هي لتحصيل اعلى مراتب التفسير ، وهناك معان عامة يفهمها المرء عند سماع اللفظ الكريم فقد سهل عزّ وجل القرآن الكريم ويسره ، وأمر بالتدبر والتذكر لكتابه الكريم ، وكان الصحابة والتابعون الذين حملوا مشاعل تفسير القرآن الكريم ونشروه بين الناس ، في أعلا درجات العلم بالقرآن ، وقد وهبوا بالفطرة هذه المبادئ الضرورية ، وقد علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأخلاقه وافعاله وأقواله واحواله وتقريراته علوما فوق ماذكرت ، كانوا بها قادة للمفسرين ، وصارت علومهم هدى للناس أجمعين .

الفصل الثاني

بين التفسير في القرن الأول وما جاء بعده

بين التفسير في القرن الاول وماجاء بعده

اعتمد الصحابة رضوان الله عليهم في تفسيرهم للقرآن الكريم في هـــذا العصر - اعني القرن الأول الهجرى - على عدة مصادر ، اهمها :

(١) القرآن الكريم .

(٢) النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٣) الاجتهاد وقوة الاستنباط .

واليك توضيحا لكل مصدر من هذه المصادر :

أولا - القرآن الكريم :

ويعتبر اهم مصدر من مصادر التفسير لانه المصدر الاول من مصادر الاسلام، لذا اجمعت الأمة سلفا وخلفا على ان اصح طرق التفسير ان يفسر القرآن بالقرآن كما ذكر ذلك الشيخ ابن تيميه (١) وغيره .

ومن المعلوم ان القرآن الكريم تناول ضروبا متنوعة من البلاغة والبيان والمعاني فهو يشتمل على الايجاز والاطناب ، والاجمال والتبيين ، والاطلاق والتقييد ، والعموم والخصوص ، فكل هذا يحتاج الى بسط وبيان ولا يمكن معرفة ذلـــك الا بالرجوع الى القرآن الذى يكشف عن المراد .

فمثال الأول :

قصة آدم وابليس ، وقصة موسى وفرعون . جاءتا موجزتين في بعض المواضع مفصلتين في مواضع اخرى .

----

(١) انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ١٣ ص ٣٦٣ .

ومثال الثانـــي :

قوله تعالى في سورة البقرة :

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (١)

فالكلمات هنا وردت مجملة بينها قوله تعالى :

﴿ قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾ (٢)

فحمل المجمل على المبين وفسر به.

ومثال الثالث :

قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ ﴾ (٣)

فالدم جاء مطلقا هنا قيـــــــد بالدم المسفوح في قوله عز وجل :

﴿ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا ﴾ (٤)

فحمل المطلق على المقيد هنا.

ومثال الرابع :

نفي الخلة والشفاعة على جهة العموم في قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيـــهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٥)

وقد استثنى عز وجل المتقين من نفي الخلة في قوله تعالى :

﴿ الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٦)

---

(١) الآية : " ٣٧ ".

(٢) سورة الاعراف : الآية " ٢٣ ".

(٣) سورة المائدة : الآية " ٣ ".

(٤) سورة الانعام : الآية " ١٤٥ ".

(٥) سورة البقرة : الآية " ٢٥٤ ".

(٦) سورة الزخرف : الآية " ٦٧ ".

واستثنى ما اذن فيه من الشفاعة بقوله تعالى :

﴿ وَكَمْ مِّنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ (١)

فحمل العام هنا على الخاص ، وكذا الحال في جميع مايتوهم انه مختلف اوغامض ، ومثل هذا حمل قراءة صحيحة على اخرى فاختلاف القراءات يساعد على التفسير ويوضحه وهكذا .

ثانيا - النقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم :

وهو المصدر الثاني للتفسير بعد القرآن الكريم ويعد مصدرا مهما في تأسيس العلم ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل ماخفي عنهم من مسائل وقضايا وكان يفسرها لهم ، ويجيبهم عليها امتثالا لقوله عز وجل :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

ولقد ادرك السلف اهمية النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير القرآن الكريم لما رواه الاوزاعي عن حسان بن عطية انه قال : " كان الوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك" (٣)

وعن مكحول قال : " القران أحوج الى السنة من السنة الى القرآن " (٤)

---

(١) سورة النجم : الآية " ٢٦ " ، راجع تفسير روح المعاني : حـ٢٥ ص ٩٧ و : حـ ٢٧ ص ٢٩ .

(٢) سورة النحل : الآية " ٤٤ " .

(٣) تفسير القرطبي : حـ ١ ص ٣٩ .

(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .

وقد اشتملت كتب السنة على كثير من التفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن اقواله في التفسير ما اخرجه الترمذى وغيره عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ (١)

قال : " الصلاة الوسطى صلاة العصر " (٢)

ومثل ماورد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال : " سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر - في قوله تعالى :

﴿ وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ (٣)

قال : يوم النحر (٤) .

فالاعتماد على هذا المصدر اصل ثابت من اصول الاسلام ، الذى اقره العلماء واجمعت عليه الأمة ، والا فكيف يفهم هذا الدين من غير بيان عن مراد الله ممن بعثه الله نبيا ورسولا ؟

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٣٨ " .

(٢) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : حـ ٨ ص ٣٢٨ وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة التوبة : الآية : " ٣ ".

(٤) تحفة الاحوذى ، كتاب التفسير : حـ ٨ ص ٤٨٤ ، وقد روى هذا الحديث باسنادين : الاول عن محمد بن اسحاق عن ابي اسحاق عن الحارث عن علي . والثاني : عن سفيان عن ابي اسحاق عن الحارث عن علي ، وقال الترمذى : هذا الاسناد اصح من حديث محمد بن اسحاق لانه روى من غير وجه عن ابي اسحاق عن الحارث عن علي موقوفا ولا نعلم احدا رفعه الا ماروى عن محمد بن اسحاق .

قال الزركشي : وهذا هو الطراز الاول - اى بعد القرآن - لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فانه كثير . قال احمد بن حنبل : " ثلاث كتب ليس لها أصل : " المغازى والملاحم والتفسير " ، قال المحققون من اصحابه : ومراده ان الغالب انها ليس لها اسانيد صحاح متصلة ، والا فقد صح من ذلك كثير كتفسيره الظلم بالشرك في قوله تعالى :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ (١)

وتفسير " الحساب اليسير " بالعرض (٢) ، وتفسير " القوة " في قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ (٣) بالرمي (٤) .

---

(١) سورة الانعام : الآية " ٨٢ " ، تحفة الاحوذى ، كتاب التفسير ، سورة الانعام : جـ ٨ ص ٤٤٠ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٢) جاء ذلك عند تفسير قوله تعالى من سورة الانشقاق الآيتان : " ٧ ، ٨ " ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : جـ ٩ ص ٢٥٦ ، وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح .

(٣) سورة الانفال : الآية " ٦٠ " .

(٤) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير : جـ ٨ ص ٤٧٣ . وصحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الامارة ، باب فضل الرمي والحث عليه . جـ ١٣ ص ٦٤ . وانظر البرهان في علوم القرآن : جـ ٢ ص ١٥٦ .

ثالثا - الاجتهاد وقوة الاستنباط :

كان الصحابة رضوان الله عليهم اذا لم يجدوا تفسير الآية في القرآن ولم يتيسر لهم اخذها او فهمها من الرسول صلى الله عليه وسلم ، لجأوا الى اجتهادهم وسديد رأيهم وذلك بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى والذى يبدو انه لم يبين لهم كل معاني القرآن الكريم ، ولو فسر لهم كل الآيات ، لما اختلفوا في تفسير بعضها ، ولوقفوا على النص الذى تركه لهم صلى الله عليه وسلم .

وقد اجتهد بعض الصحابة في تفسير القرآن الكريم ، فكان منهم المقل ومنهم المكثر في ذلك ، وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه من المقلين في تفسير القرآن الكريم بالاجتهاد وضمن حدود ضيقة . ففي قوله تعالى من سورة النساء :

* يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ * (١)

فقد فسر رضي الله عنه الكلالة (٢) بقوله : " اقول فيها برأيي ، فان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه ، الكلالة : من لا ولد له ولا والد " (٣)

ولما ولي عمر رضي الله عنه قال : اني لأستحي ان أخالف ابا بكر في رأى رآه : وهو قول جمهور السلف والخلف . (٤)

---

(١) الآيـة : " ١٧٦ " .

(٢) الكلالة : مشتقة من الاكليل ، وهو الذى يحيط بالرأس من جوانبه ، ترتيب القاموس المحيط : جـ ٤ ص ٧٥ . والمراد هنا : من يرثه من حواشيه ، لا اصوله ولا فروعه .

(٣) تفسير الطبرى : جـ ٨ ص ٥٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : جـ ١ ص ٤٦٠ .

ومن المكثرين الذين كان لهم النصيب الاوفر في التفسير بالاجتهاد ، وسعه الافق فيه : عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الذى وفق ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل " (١) وقد كان له ذلك فعلا .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من اصحاب الاجتهاد .. في تفسير الآيات القرآنيه فقد فسر قوله تعالى من سورة الدخان :

* فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * (٢)

بقوله : انما كان هذا ، لان قريشا لما استعصوا على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد ، حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السماء فيرى مابينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى : * فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * .

قال : فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : يارسول الله ، استسق لمضر فانها قد هلكت . قال لمضر : انك لجرئ ، فاستسقى .

فسقوا فنزلت * إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * (٣) فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين اصابتهم الرفاهية ، فانزل الله : * يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ * (٤) قال : يعني يوم بدر (٥)

---

(١) رواه احمد والطبراني بأسانيد وعند البزاروالطبراني ، اللهم علمه تأويل القرآن ولاحمد طريقان رجالهما رجال الصحيح . مجمع الزوائد : جـ ٩ ص ٢٧٦ .

(٢) الايتان : " ١٠ ، ١١ "

(٣) سورة الدخان : الآية " ١٥ " .

(٤) سوة الدخان : الآية " ١٦ " .

(٥) تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ١٣٨ ، وصحيح البخارى : كتاب التفسير، باب (ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون) جـ ٦ ص ١٦٤ .

ومعنى هذا ان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرى ان الدخان - وهو علامة من علامات قرب الساعة - قد مضى وقد وافقه على ذلك مجاهد وابي العاليه (١)

وهكذا كان الصحابة رضي الله عنهم يفسرون القرآن باجتهادهم ، دون تحرج ويمكن رد ذلك الى لغتهم ، ورغبتهم في فهم القرآن والاتعاظ به ، وحرصهم الشديد على تبليغ الامانة الى من بعدهم.

هل يمكن القول بأن الصحابة رضي الله عنهم استقوا تفسير القرآن الكريم من اليهود والنصارى ؟

تناول القرآن الكريم اخبار الامم السابقة بصورة مجملة وهذه المواضيع وردت مفصلة في التوراة والانجيل ، فيقال ان الصحابة رضوان الله عليهم اخذوا يسألون من اسلم من اهل الكتاب عن بعض ما اجمله القرآن الكريم في اخبار الامم السابقة ويمكن ان نقسم هذه الاخبار باعتبار حكم الاسلام فيها الى ثلاثة اقسام :

١) ماوافق الشرع الاسلامي .

٢) ماخالف الشرع الاسلامي .

٣) ماسكت عنه الشرع الاسلامي .

فما جاء من الاخبار موافقا ماجاء به القرآن الكريم والسنة ، فهذا لابأس بروايته ويمكن ان يستدل على جواز ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج " . (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ١٣٨ .

(٢) صحيح البخارى ، كتاب احاديث الانبياء ، باب ماذكر عن بني اسرائيل : حـ ٤ ص ٢٠٧ ، وانظر مجموع فتاوى ابن تيمية : حـ ١٣ ص ٣٦٦ .

واما ما تصادم وخالف الشرع الاسلامي فيتعين على جميع المسلمين تكذيبه ورده .

وما سكت عنه الشرع الاسلامي وجاء في اخبار اليهود والنصارى فالعلم به لا ينفع والجهل به لا يضر .

اقـــول :

ان رجوع بعض الصحابة الى اهل الكتاب كان ضمن حدود ضيقة ، فكانوا لا يأخذون عنهم كل مايقال بل يمحصونه ويدققون فيه فما كان يتعارض مع العقيدة فانهم يرفضونه ، وماكان مسكوتا عنه فانهم كانوا يتوقفون فيه ولا يحكمون عليه بصدق ولا كذب. مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم " (١) و ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ﴾ (٢)

" بل بلغ بهم الأمر الى انهم كانوا اذا سألوا اهل الكتاب عن شيء فأجابوا عنه خطأ ردوا عليهم خطأهم ، وبينوا لهم وجه الصواب فيه ، فمن ذلك مارواه البخارى عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال :

" فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسأل الله تعالى شيئا الا اعطاه اياه " (٣)

فقد اختلف السلف في تعيين هذه الساعة . وهل هي في جمعة واحدة من السنة او في كل جمعة ؟

---

(١) صحيح البخارى ، كتاب الشهادات ، باب لا يسأل اهل الشرك عن الشهادة وغيرها جـ ٣ ص ٢٣٧ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ١٣٦ " .

(٣) صحيح البخارى . كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم الجمعة : جـ ٢ ص ١٦ .

فيسأل ابا هريرة رضي الله عنه كعب الاحبار عن ذلك فيقول كعب بأنها جمعة واحدة في السنة ، فيرد عليه ابو هريرة قوله هذا ويبين له انها في كل جمعة ، فيرجع كعب الى كتاب التوراة فيجد الصواب مع ابي هريرة فيرجع اليه. (١)

فمثل هذه المراجعة التي كانت بين ابي هريرة رضي الله عنه وكعب الاحبار تدل على ان الصحابة لم يقبلوا كل مايقال لهم بل كانوا يتحرون الصواب ما استطاعوا ، ويردون على اهل الكتاب اقوالهم ان كانت لاتوافق وجه الصواب. (٢)

ومهما يكن فان الصحابة رضي الله عنهم لم يتجاوزوا ماحده لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من جواز التحديث عن اهل الكتاب بل كانوا يتحدثون في حدود مافهموه من الاباحة في قوله صلى الله عليه وسلم : " حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج " (٣)

بالاضافة الى ان اخبار اهل الكتاب لم تنتشر كثيرا في عهد الصحابة بل كان ذلك في عهد التابعين واتباعهم.

<u>التفسير في عصر التابعين :</u>

التابعون هم الذين حملوا راية الدعوة بعد الصحابة رضي الله عنهم وقد رأوهم وتتلمذوا عليهم ، وبدأ التفسير في عصرهم بعد انتهاء عصر الصحابة ، ولقد ظهر منهم ائمة علماء في هذا المجال ، وكان التفسير الغالب في هذا العصر هو التفسير بالمأثور ، لهذا نجد التابعين رحمهم الله - يحرصون على النصوص الواردة

----

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى ، كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم الجمعة : حـ ٢ ص ٤١٦.

(٢) التفسير والمفسرون : حـ ١ ص ١٧١.

(٣) صحيح البخارى ، كتاب احاديث الانبياء ، باب ماذكر عن بني اسرائيل : حـ ٤ ص ٢٠٧ ، راجع مجموع فتاوى ابن تيمية : حـ ١٣ ص ٣٦٦.

في التفسير للاعتماد عليها ، ويمكن القول ان مصادر التفسير في هذا العصر كانت :

١) القرآن الكريم.

٢) اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التي رواها عنه الصحابة رضوان الله عليهم.

٣) اقوال الصحابة.

٤) وما يفتح الله عز وجل به على التابعين من فهم وقوة في الاستنباط .

اقول توضيحا للمصدر الرابع :

ان بعض اعلام التابعين اشتهروا بالتفسير بالاجتهاد ، حيث قالوا برأيهم فيما لم يصلهم فيه شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم او من الصحابة ومن ذلك ماروى عن بعض الصحابة والتابعين انهم فسروا قوله تعالى في سورة الصافات في صفة خمر الجنة :

﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ (١)

بقولهم : لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن .

وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد .

وزاد قتادة في قول آخر : صداع الرأس.

وقال سعيد بن جبير : لا مكروه فيها ولا أذى .

ويرجح ابن كثير قول مجاهد فيقول : والصحيح قول مجاهد ، وهو وجع البطن (٢) والحق أنها تحتمل هذه المعاني جميعا . " لان الغول يطلق على كل مايأخذ الانسان من حيث لا يدرى فيهلكه . (٣)

---

(١) الآية : " ٤٧ ".

(٢) تفسير ابن كثير : حـ ٤ ص ٦ .

(٣) المعجم الوسيط ، حـ ٢ ص ٦٦٧ .

قال ابو حيان : " ... والاسم يشمل انواع الفساد الناشئة من شرب الخمر فينتفي جميعها من مغص وصداع وخمار (١) وعربدة (٢) ولغو وتأثيم ونحو ذلك " (٣)

فهؤلاء من اعلام التابعين قد اجتهدوا برأيهم في آيات القرآن الكريم ، وغيرهم كثير اجتهدوا في تأويل الآيات .

التفسير في عصر اتباع التابعين :

نشطت العلوم الاسلامية في هذا العصر لاسيما التفسير والحديث ، فألف في تفسير القرآن الكريم ، شعبة بن الحجاج المتوفي سنة ١٦٠ هـ ، وسفيان الثورى المتوفي سنة ١٦١ هـ ، ووكيع بن الجراح المتوفي سنة ١٩٧ هـ ، وسفيان بن عيينة المتوفي سنة ١٩٧ هـ ، ويزيد بن هارون المتوفي سنة ٢٠٦ هـ ، وعبد الرزاق الصنعاني المتوفي سنة ٢١١ هـ ، وسعيد بن منصور المتوفي سنة ٢٢٧ هـ ، واسحاق بن راهويه المتوفي سنة ٢٣٨ هـ وعبد بن حميد المتوفي سنة ٢٤٩ هـ (٤) ، وغيرهم ممن اسندوا رواياتهم الى الصحابة والتابعين ، وكان جمعهم للتفسير جمعا لباب من ابواب الحديث ، ولم يكن جمعا للتفسير على استقلال .

---

(١) الخمار : بالكسر كالخمر . وكل ماستر شيئا فهو خمارة.
ترتيب القاموس المحيط : حـ ٢ ص ١٠٦ مادة (خ / م / ر) .

(٢) العربدة : سوء الخلق . ترتيب القاموس المحيط : حـ ٣ ص ١٨٣ مادة : (ع / ر / ب / د) .

(٣) البحر المحيط : حـ ٧ ص ٣٦٠ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٤٣ .

ويمكن القول ان التفسير في هذا العصر كان معتمدا على الرواية حيث ان اتباع التابعين جمعوا النصوص الواردة في التفسير من اقوال الرسول صلى الله عليه وسلم ، والصحابة والتابعين ، بالاضافة الى ان بعض مفسرى هذا العصر ادخلوا في تفسيرهم الكثير من الاخبار التي يرويها اهل الكتاب.

ثم بعد ذلك دخل التفسير مرحلة جديدة حيث انفصل عن الحديث ، واصبح علما مستقلا ، مرتبا حسب ترتيب المصحف الشريف ،فألف فيه : ابن ماجة (١) المتوفي سنة ٢٧٣ هـ ، وابن جرير الطبرى (٢) المتوفي سنة ٣١٠ هـ ، وابن ابي حاتم (٣) المتوفي سنة ٣٢٧ هـ ، وابن حيان (٤) ، المتوفي سنة ٣٢٩ هـ ، وابن مردويه (٥) المتوفي سنة ٤١٠ هـ ، وغيرهم من قدماء المفسرين الذين اسندوا رواياتهم الى الصحابة والتابعين واتباعهم ، وكانت تفاسيرهم بالمأثور الا تفسير الطبرى فانه يمزج بين النقل والعقل ، ويوجه ويرجح . (٦)

---

(١) هو : ابوعبد الله محمد بن يزيد القزويني ، صاحب السنن والتفسير والتاريخ ، وهو محدث الديار ، ثقة كبير ، متفق عليه ، محتج به ، له اثنان وثلاثون كتابا " ٣٢ " ، تذكرة الحفاظ : حـ ٢ ص ٦٣٦ .

(٢) انظر ترجمته في ص (٣٩٥) من هذا الفصل .

(٣) ابن ابي حاتم ، هوعبد الرحمن بن محمد الرازى ، له كتاب الجرح والتعديل وهو كتاب مطبوع ، وله تفسير في عدة مجلدات منه جزآن مخطوطان الاعلام : حـ ٤ ص ٩٩ .

(٤) ابن حيان : ابو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الانصارى ، صاحب المصنفات ، ولد سنة اربع وسبعين ومائتين ومات سنة تسع وستين وثلاث مائة. تذكرة الحفاظ : حـ ٣ ص ٩٤٥ .

(٥) ابن مردويه ، هو الحافظ ابو بكر احمد بن موسى الاصبهاني ،صاحب التفسير والتاريخ وغيرذلك ولد سنة " ٣٢٣ هـ " ومات سنة " ٤١٠ " تذكرة الحفاظ ٣ / ١٠٥٠

(٦) الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٤٣ .

ثم ألف غير هؤلاء في عديد من النواحي اللغوية والبلاغية وغير ذلك مما ساعد على التأويل لآيات القرآن الكريم ، وقد تعددت تلك التآليف وتنوعت حتى نتج عنها ماعرف بعد بعلوم القرآن .

فألف في القرن الثالث : علي بن المديني المتوفي سنة ٢٣٤ هـ في اسباب النزول ، وابو عبيد القاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ وفي القراءات وفضائل القرآن .

وفي القرن الرابع الف ابو بكر السجستاني المتوفي سنة ٣٣٠ هـ في غريب القرآن .

وفي القرن الخامس الف علي بن ابراهيم بن سعيد الحوفي " المتوفي سنة ٤٣٠ هـ " في اعراب القرآن .

وفي القرن السادس الف ابو القاسم عبد الرحمن المعروف بالسهيلي ، " المتوفي سنة ٥٨١ هـ " في مبهمات القرآن .

وفي القرن السابع الف ابن عبد السلام " المتوفي سنة ٦٦٠ هـ " في مجاز القرآن . (١)

وغير هؤلاء من الذين تناولوا القرآن في نواحيه المتعددة وبذلك تدرج التفسير من طور الرواية والنقل الى طور التدوين على انه باب من ابواب الحديث ، ثم الى تدوينه علما مستقلا منفردا كل في موضوع مستقل في اسباب النزول او الناسخ والمنسوخ او القراءات او الفضائل او الغريب او الاعراب او المبهمات او المجاز على نحو ماسلف قبل قليل .

---

(١) مباحث في علوم القرآن : ص ١٢١ ومابعدها .

وكان لهذا اثر كبير في تطور الاجتهاد في فهم الآيات القرآنية ، ويتضح ذلك في طور جديد من اطوار التفسير.

قال السيوطي : " ... ثم الف في التفسير خلائق فاختصروا الأسانيد ونقلوا الاقوال تترى ، فدخل من هنا الدخيل ، والتبس الصحيح بالعليل ، ثم صار كل من يسنح له قول يورده ، ومن يخطر بباله شيء يعتمده ، ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانا ان له اصلا ، غير ملتفت الى تحرير ماورد عن السلف الصالح ، ومن يرجع اليهم في التفسير ، حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى :

﴿ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ (١)

نحو عشرة اقوال ، وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجميع الصحابة والتابعين واتباعهم ، حتى قال ابن ابي حاتم : " لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين " (٢)

ثم بعد ذلك تنوعت كتب التفسير بحسب الثقافات فبرع قوم في علوم " فكان كل منهم يقتصر في تفسيره على الفن الذى يغلب عليه . فالنحوى ليس له الا هم الاعراب ، وتكثير الاوجه المحتملة فيه ، ونقل قواعد النحو ومسائله وفروعه وخلافياته كالزجاج والواحدى في البسيط ، وأبى حيان في البحر والنهر ، والاخبارى ليس له شغل الا القصص واستيفاءها ، والاخبار عمّن سلف ، سواء اكانت صحيحة ام باطلة ، كالثعلبي ، والفقيه يكاد يسرد الفقه من باب الطهارة الى امهات الاولاد (٣) وربما استطرد الى اقامة ادلة الفروع التي لاتعلق لها

---

(١) سورة الفاتحة : الآية " ٧ ".

(٢) الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٤٣ .

(٣) المراد بقوله الى امهات الاولاد ، باب امهات الاولاد في مبحث الرقيق .

بالآية ، والجواب عن ادلة المخالفين كالقرطبي ، وصاحب العلوم العقلية ، خصوصا الامام فخر الدين قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها .... قال ابو حيان : جمع الامام الرازى في تفسيره اشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شيء الا التفسير (١) والمبتدع ، ليس له قصد الا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد ... " (٢)

وقد الفت تفاسير كثيرة في العصور المتعاقبة ، رغم ان بعضهم كان يمزج في تفسيره بين النقل والعقل ، وقد رأيت أن ادرجهم في عداد المفسرين بالمأثور نظر لغلبة التفسير المأثور على كتبهم واعتماد هم عليه.

وسأقتصر على التعريف ببعض هذه التفاسير :

١) تفسير بقيّ بن مخلد ، المتوفي سنة ٢٧٦ هـ .

٢) جامع البيان للطبرى المتوفي سنة ٣١٠ هـ .

٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية المتوفي سنة ٥٤٦ هـ .

---

(١) لعل المراد بقوله فيه كل شيء الا التفسير ، ان الاستشهادات والمسائل الكونية ... الخ قد طغت على الغرض الاصلي وهو التفسير ، والا فان في تفسيره الكثير من المنقول والمعقول .

(٢) الاتقان في علوم القرآن : حـ ٢ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

أولا - تفسير بقيّ بن مخلد :

التعريف بالمفسر :

هو ابو عبد الرحمن بقي بن مخلد بن يزيد بن عبد الرحمن الاندلسي القرطبي . (١)

الحافظ ، صاحب المسند ، والتفسير الجليل ، كان عالما مجتهدا لا يقلد احدا ، ثقة ، حجة ، صالحا ، عابدا ، مات سنة ست وسبعين ومائتين (٢٧٦) هـ (٢)

تفسيره :

عنى فيه بالاثر ، وليس لاحد تفسير مثل سنده في الحديث ولا في التفسير

قال ابن حزم :

" أقطع انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره ، لا تفسير ابن جرير ولا غيره " .

وتفسيره لم يكتب له البقاء ، ولم يظفر بما ظفر به تفسير ابن جرير من هذا الخلود . (٣)

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن : حـ ١ ص ٤٩٨ .
(٢) تذكرة الحفاظ : حـ ٢ ص ٦٢٩ - ٦٣١ .
(٣) مناهل العرفان : حـ ١ ص ٤٩٩ .

ثانيا - جامع البيان عن تأويل آى القرآن : للامام الطبرى :

ترجمة للامام الطبرى :

هو ابو جعفر بن جرير بن يزيد بن خالد الطبرى ، وقيل : يزيد بن كثير ابن غالب ، ولد سنة اربع أو خمس وعشرين بآمل بطبرستان (١) وتوفي سنة عشر وثلاثمائة (٣١٠) في بغداد .

وهو الامام الحافظ ، الفقيه ، المقرىء ، المؤرخ ، طوف الاقاليم في طلب العلم ، وصنف تصانيف حسنة تدل على سعة علمه. (٢)

مكانته العلمية :

يعد من كبار الأئمة الاعلام ، اذ يعتمد على تفسيره وعلمه ، وقد اثنى العلماء على كثير علمه.

قال الخطيب ابو بكر : كان احد الائمة ، يحكم بقوله ، ويرجع الى رأيه ، لمعرفته وفضله ، جمع من العلوم مالم يشاركه فيه احد من اهل عصره. (٣)

---

(١) طَبَرِستان : بفتح اوله وثانيه ، وكسر الراء ، اقليم من بلاد العجم . انظر : معجم البلدان : حـ ٤ ص ١٢ .

(٢) راجع معجم الادباء : حـ ١٨ ص ٤٠ ، وطبقات الحفاظ ،للسيوطي : ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، وطبقات المفسرين ، للداودى : حـ ٢ ص ١٠٦ .

(٣) طبقات الحفاظ للسيوطي : ص ٣٠٧

وقال ابن خزيمة : ما أعلم على اديم الارض اعلم منه. (١)

ولم ينحصر علم الامام الطبرى في التفسير ، ولكنه كان اماما في علوم اخرى ، قال الاهوازى المقرئ : كان الطبرى عالما بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض ... وله ثمانية عشر مجلدا في القراءات المشهورة والشاذة ، واختار منها قراءة لم يخرج بها عن المشهور. (٢)

تفسير الطبرى :

قال عبد العزيز بن محمد : كان ابو جعفر الطبرى كالقارئ الذى لا يعرف الا القرآن ، وكالمحدث الذى لا يعرف الا النحو ، وكالحاسب الذى لا يعرف الا الحساب ، وكان عالما بالعبادات ، جامعا للعلوم ، واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرها ، ومن كتبه كتابه المسمى : " جامع البيان عن تأويل القرآن " (٣)

واسم هذا الكتاب كما جاء في كتاب التاريخ للطبرى : " جامع البيان عن تأويل آى القرآن " .

" والتزم كلمة التأويل في ترجمة كل فصل من فصوله من المقدمات الواسعة المبسوطة الى كلامه في تأويل الاستعاذة ثم تأويل البسملة ، الى فيوض بياناته على الآيات معنونا كلا منها على طريقة ملتزمة مطردة بقوله : " القول في تأويل قوله تعالى كذا " (٤) .

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى : حـ ٣ ص ١٢٤ .

(٢) معجم الادباء : حـ ١٨ ص ٤٥ .

(٣) المرجع السابق : حـ ١٨ ص ٦١ .

(٤) التفسير ورجاله ، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور : ص ٣٢ ، ط ١٣٩٠ هـ
ومراد الطبرى بقوله تأويل الآية : تفسيرها .
انظر مجموع فتاوى ابن تيمية : حـ ١٣ ص ٢٨٩ .

وكان تأليف هذا الكتاب في اواخر القرن الثالث الهجرى ، وقد كان هذا التفسير في قرابة ثلاثين الف ورقة ثم اختصره الطبرى الى قرابة ثلاثة آلاف ورقة ، يقول ابن السبكي : " ان ابا جعفر قال لاصحابه : اتنشطون لتفسير القرآن ؟ قالوا : كم يكون قدره ؟ فقال : ثلاثون الف ورقة ، فقالوا : هذا ربما تفنى الاعمار قبل تمامه ، فاختصره في ثلاثة آلاف ورقة " (١)

ويعد هذا التفسير المرجع الاول للتفسير المأثور والتفسير العقلي اذ نجد فيه النظر الدقيق والبحث العميق وترجيح قول على آخر ، وابرز مافي هذا التفسير ان صاحبه اعتمد على المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه والتابعين مثل عبدالله بن عباس وعبد الله بن مسعود ، ومجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وغيرهما ، فيذكر الروايات ويسندها الى اصحابها ويوجه الاقوال ، الا أنه لا يعطى السند حكمه بصحة ولا ضعف ،مع أنه الناقد البصير العالم بالروايات والرواة وهو من المجتهدين لا يقلد احدا . قال ابن تيمية : " وتفسير الطبرى اصح التفاسير التي في ايدى الناس ، وليس فيه بدعة ، ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكير والكلبي ". (٢)

----

(١) الطبقات الكبرى ، لابن السبكي : جـ ٢ ص ١٣٧

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ ١٣ ص ٣٨٥ .

منهجه في تفسير القرآن الكريم :

أهم ما يطالعنا في تفسير الطبرى :

أولا : اعتماده على المأثور من الاقوال ، فهو يفسر الآية معتمدا على ماقال بما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او بما ثبت عن الصحابة والتابعين ، وان تعددت الاقوال في تفسير الآية فانه يسرد الاقوال كلها ثم يرجح بعضها على بعض ، او يستخرج من الاقوال قولا او فكرة عامة ويعلق عليها بالقبول او الرفض ، ومثال ذلك ماجاء في تفسير قوله تعالى :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * (١)

قال ابو جعفر : اختلف اهل التأويل في تأويل قوله : * لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * ، فقال بعضهم ، تأويله : لاتقولوا خلافا . ذكر من قال ذلك:

١ - عن عطاء في قوله تعالى : * لَا تَقُولُوا رَاعِنَا *

قال : لاتقولوا خلافا .

عن ابن نجيح عن مجاهد : (لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) ، لاتقولوا خلافا .

وقال آخرون ، تأويله : ارعنا سمعك ، اى : اسمع منا ونسمع منك .

ذكر من قال ذلك :

١ - عن عكرمة ، اوعن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قوله : (رَاعِنَا) ، اى : ارعنا سمعك .

٢ - عن ابي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * .

لاتقولوا : اسمع منا ونسع منك .

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٠٤ " .

٣ - وعن عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك يقول في قوله : * رَاعِنَا * ، قال : كان الرجل من المشركين يقول : أرعني سمعك .

ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذى من اجله نهى الله المؤمنين ان يقولوا : (رَاعِنَا) فقال بعضهم : هي كلمة كانت اليهود تقولها على وجه الاستهزاء والمسبه ، فنهى الله تعالى ذكره المؤمنين ان يقولوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

١ - عن قتادة في قوله تعالى : * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا * (١) قال : قول كانت تقوله اليهود استهزاء ، فزجر الله المؤمنين ان يقولوا كقولهم .

٢ - عن عطية (٢) : (لَا تَقُولُوا رَاعِنَا) ، قال : كان اناس من اليهود يقولون : ارعنا سمعك ! حتى قالها أناس من المسلمين ، فكره الله لهم ما قالت اليهود فقال :

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا *

كما قالت اليهود والنصارى .

٣ - وعن قتادة في قوله : (لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا) ، قال : كانوا يقولون : راعنا سمعك ! فكان اليهود يأتون فيقولون مثل ذلك مستهزئين ، فقال الله : * لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا *

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٠٤ ".

(٢) عطية العوفي : تقدمت ترجمته في ص : (٣٩)

٤ - عن الضحاك عن ابن عباس في قوله : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ ، قال : كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم : راعنا سمعك ! وانما (رَاعِنَا) ، كقولك : عاطنا .

وقال آخرون : بل هي كلمة كانت الانصار في الجاهلية تقولها ، فنهاهم الله في الاسلام أن يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك :

١ - عن عطاء في قوله : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ ، قال : كانت لغة في الانصار في الجاهلية ،فنزلت هذه الآية : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انْظُرْنَا ﴾ (١) الى آخر الآية .

٢ - عن الربيع عن ابي العاليه في قوله : ﴿ لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ ، قال : ان مشركي العرب كانوا اذا حدث بعضهم بعضا يقول احدهم لصاحبه ، ارعني سمعك ! فنهوا عن ذلك .

٣ - وقال ابن جريج : (رَاعِنَا) ، قول الساخر : فنهاهم ان يسخروا من قول محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال بعضهم :

بل كان ذلك كلام يهودى من اليهود بعينه ، يقال له : رفاعة بن زيد . كان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم به على وجه السبّ له ، وكان المسلمون اخذوا ذلك منه ، فنهى الله المؤمنين عن قيله للنبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٠٤ ".

ولم يرتض الطبرى هذا القول وخطأه . ثم قال : والصواب من القول في نهي الله جل ثناؤه المؤمنين ان يقولوا لنبيه (رَاعِنَا) أن يقال : انهما كلمة كرهها الله لهم ان يقولوها لنبيه صلى الله عليه وسلم ، نظير الذى ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :

" لا تقولوا للعنب الكرم ، ولكن قولوا : الحبله " (١)

و " لا تقولوا : عبدى ، ولكن قولوا : فتاى " (٢)

وما اشبه ذلك من الكلمتين اللتين تكونان مستعملتين بمعنى واحد في كلام العرب ، فتأتي الكراهة أو النهي باستعمال احداهما ، واختيار الاخرى عليها في المخاطبات . (٣)

ثانيا - البعد عن التفسير بالرأى :

عقد الامام الطبرى في مقدمة تفسيره بحثا بعنوان : " ذكر بعض الاخبار التي رويت بالنهي عن القول في تأويل القرآن بالرأى " صدرّه بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار " (٤) ثم ذكر قول الصديق رضي الله عنه : " اى ارض تقلني واى سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأى أو بما لا أعلم "

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ، كتاب الالفاظ من الأدب ، باب كراهة تسمية العنب كرما : ـه ١٥ ص ٤ .
والحبلة بالضم : الكرم . ترتيب القاموس المحيط : ـه ١ ص ٥٨١ .

(٢) المرجع السابق نفس الكتاب باب حكم اطلاق لفظه العبد والامه والمولى والسيد ـه ١٥ ص ٥ .

(٣) تفسير الطبرى : ـه ٢ ص ٤٥٩ الى ٤٦٣ .

(٤) تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير ، باب ماجاء في الذى يفسر القرآن برأيه . وقال ابوعيسى : هذا حديث حسن : ـه ٨ ص ٢٧٨ .

ثم قال : " وهذه الاخبار شاهدة لنا على صحة ماقلنا : من أن ماكان من تأويل آى القرآن الذى لا يدرك علمه الا بنص بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم او بنصبه الدلالة عليه فغير جائز لاحد القيل فيه برأيه ، بل القائل في ذلك برأيه - وان اصاب الحق فيه - فمخطئ فيما كان من فعله ، بقيله فيه برأيه ، لأن اصابته ليست اصابة موقن أنه محق ، وانما هو اصابة خارص (١) ، وظان ، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله مالم يعلم ، وقد حرم الله جل ثناؤه ذلك في كتابه على عباده فقال :

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)

فالقائل في تأويل كتاب الله الذى لا يدرك علمه الا ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى جعل الله اليه بيانه قائل بما لا يعلم وان وافق قيله في ذلك في تأويله ما أراد به من معناه ، لان القائل فيه بغير علم قائل على الله مالا علم له به .
وهذا هو معنى الخبر الذى حدثنا به ... ابو عمران الجوني عن جندب : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قال في كتاب الله برأيه فأصاب فقد أخطأ " (٣)

---

(١) الخرص : الكذب ، وكل قول بالظن ، ترتيب القاموس المحيط : حـ٢ص٣٧ .
(٢) سورة الاعراف : الآية " ٣٣ " .
(٣) عون المعبود شرح سنن ابي داود ، كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بلا علم : حـ ١٠ ص ٨٤ ، وتحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى ، كتاب التفسير ، ماجاء في الذى يفسر القرآن برأيه ، وقال الترمذى : هذا حديث غريب : حـ ٨ ص ٢٨١ .

يعني صلى الله عليه وسلم أنه اخطأ في فعله ، بقيله فيه برأيه ، وان وافق قيله ذلك عين الصواب عند الله ، لأن قيله فيه برأيه ، ليس بقيل عالم ان الذى قال فيه من قول حق وصواب . فهو قائل على الله مالا يعلم ، آثم بفعله ماقد نهي عنه وحظر عليه. (١)

وبناء على ماتقدم نجد ان الامام الطبرى يرد على الاقوال التي لاتستند على أدلة ولا اسس نقلية فمثلا عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ (٢)

اورد قول قتادة رحمه الله في تفسير هذه الآية قال : احلت لهم اى لبني اسرائيل الحيتان ، وحرمت عليهم يوم السبت بلاء من الله ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، فصار القوم ثلاثة اصناف : فأما صنف فأمسك ونهي عن المعصية ، وأما صنف فأمسك عن حرمة الله ، وأما صنف فانتهك حرمة الله ومرد على المعصية. فلما ابوا الا الاعتداء الى ما نهوا عنه ، قال الله لهم :

﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾

فصاروا قردة لها اذناب ، تعاوى . بعدما كانوا رجالا ونساء .

ثم عقبه بقول السدى في تفسير الآية وهو ان بني اسرائيل بعد مخالفتهم أمر الله جعلهم قردة خاسئين .

وأخيرا أورد قول مجاهد رحمه الله في تفسير الآية ، قال - اى مجاهد - : لم يمسخوا ، انما هو مثل ضربه الله لهم ، مثل ماضرب ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ (٣)

---

(١) مقدمة تفسير الطبرى : جـ ١ ص ٧٧ الى ٧٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٦٥ ".

(٣) سورة الجمعة: الآية " ٥ "

وقد عقب الامام الطبرى بعد ذلك على قول مجاهد الذى يبدو انه لا يوافق عليه .

" وهذا القول الذى قاله مجاهد : قول لظاهر مادل عليه كتاب الله مخالف . وذلك أن الله اخبر في كتابه انه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت .... ثم قال : ومن انكر شيئا من ذلك وأقر بآخر منه ،سئل البرهان على قوله ، وعورض - فيما انكر من ذلك - بما اقر به. ثم يسأل الفرق من خبر مستفيض أو اثر صحيح . (١)

وليس معنى هذا ان الامام الطبرى يحد من البحث والنظر ويعطل الفكر وانما يجعل للتفسير العقلي حدودا تحميه من الزلل . حتى لا يتعدى ماقاله السلف الصالح ويخالفه . فهو اذن لا يعارض التفسير العقلي الذى يستند الى ادلة شرعية وانما يعارض الرأى الذى لا يعتمد على دليل ، وحجتي في ذلك مابثه في كتابه من ترجيحات عقلية صائبة ، واسم كتابه يشعر بالتفسير المأثور والعقلي معا .

ثالثا - القراءات في تفسير الطبرى :

يعني الامام الطبرى بالقراءات عناية كثيرة ، فهو امام عالم مؤلف فيها عرض في تفسيره لكثير من القراءات ورجح بعض ما ارتضاه . من ذلك : ماجاء عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٢)

قال : فان القرأة اختلفت في قراءته ، فقرأته عامه قراء امصار الاسلام ، غير نفر من قراء الكوفة :

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ٢ ص ١٧٣ ، تقدم في ص : (١٠٩) كلام الطبرى بطوله فليراجع .

(٢) سورة النساء : الآية " ١٦٣ "

* وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * ، بفتح الزاى على التوحيد ، بمعنى : وآتينا داود الكتاب المسمى (زبورا) .

وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين : * وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُوراً * بضم الزاى " جمع زَبْرٍ " . كأنهم وجهوا تأويله ، وآتينا داود كتبا وصحفا مَزْبوره من قولهم : " زَبَرت الكتاب أزْبُره زَبْرًا " و " ذَبُرته اذبُره ذَبراً " ، اذا كتبته .

ثم رجح قراءة من قرأ (زَبُورا) بفتح الزاى ، فقال : وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندنا ، قراءة من قرأ : * وآتينا دَاوُدَ زَبُورًا * ، بفتح الزاى . على انه اسم الكتاب الذى أوتيه داود ... " (١)

رابعا ـ بعده عن التعمق فيما لا فائدة فيه :

بالنظر في تفسير الامام الطبرى نجد ان مؤلفه لا يعني بالامور التي لا فائدة فيها ، فمثلا عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة :

* وَلَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ * (٢)

يذكر اختلاف السلف في ماهية هذه الشجرة التي نهى آدم وحواء عليهما السلام عن الأكل منها ومن ذلك قول ابن عباس الذى يرويه عنه مجاهد : ان الشجرة التي نهي عنها آدم هي البر . وفي رواية عن ابن عباس يرويها عنه سعيد بن جبير في نوع الشجرة ، قال : السنبلة . وعن ابن مسعود : هي الكرمه ، ثم نجده بعد ان اورد هذه الأقوال يعقب عليها بقوله : " .. فالصواب في ذلك أن يقال :

---

(١) تفسير الطبرى : جـ ٩ ص ٤٠١ .

(٢) الآية " ٣٥ "

ان الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن اكل شجرة بعينها من اشجار الجنة دون سائر اشجارها ، فخالفا الى مانهاهما الله عنه فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به . ولا علم عندنا بأى شجرة كانت على التعيين ، لأن الله لم يضع لعباده دليلا على ذلك في القرآن ، ولا في السنة الصحيحة فأنى يأتي ذلك . . . ثم قال : وذلك علم ، اذا علم لم ينفع العالم به علمه ، وان جهله جاهل لم يضره جهله به " (١) .

خامسا - الناحية اللغوية في تفسير الطبرى :

احتوى تفسير الطبرى على مقدار كبير من المعالجات اللغوية والنحوية والاحتكام الى الشعر العربي وماهو معروف من لغة العرب ناح في ذلك منحى ابن عباس رضي الله عنهما في الرجوع الى الشعر العربي والى ماهو معروف من لغة العرب في تفسير الآية القرآنية ومن استدلاله بالشعر على معنى لغوى مقصود للفظة قرآنية ماجاء عند تفسير قوله تعالى من سورة هود :

* كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ * (٢)

يقول مانصه : قال ابو جعفر : يقول تعالى ذكره : كأن لم يعش قوم شعيب الذين أهلكهم الله بعذابه ، حين اصبحوا جاثمين في ديارهم قبل ذلك ، ولم يغنوا . من قولهم : " غنيت بمكان كذا " ، اذا اقمت به ، ومنه قول النابغة :

غنيت بذلك اذ هم لي جيرة

منها بعطف رسالة وتودد

ثم يسوق الرواية عن ابن عباس وقتادة في قوله :

---

(١) تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٥٢١ .

(٢) الآية : " ٩٥ " .

(كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فيهَا) قال : كأن لم يعيشوا فيها (١).

ومن الشاهد على احتكامه الى الاستعمال العربي لتقوية وتوجيه تفسيره ماجاء عند تفسير قوله تعالى من سورة النساء :

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (٢)

قال : اختلف اهل التأويل في الخيانة التي كانت من ابن ابيرق ، فقال بعضهم : كانت سرقة سرقها وهذا قول مجاهد ، وقال آخرون : بل الخيانة التي وصف الله بها من وصفه ، جحوده وديعة كان أودعها ، وهذا قول عكرمة وجماعة .

ثم قال : وأولى التأويلين في ذلك بما دل عليه ظاهر الآية ، قول من قال : كانت خيانته التي وصفه الله بها في هذه الآية ، جحوده ما أودع ، لان ذلك هو المعروف من معاني " الخيانات " في كلام العرب ، وتوجيه تأويل القرآن الى الأشهر من معاني كلام العرب ماوجد اليه سبيل . اولى من غيره " (٣)

العناية بالنحو:

ومن أجل ان يوضح الامام الطبرى تفسير الآية يلجأ الى الناحية الاعرابية للفظة القرآنية ويعرض لآراء علماء اللغة العربية ثم يوازن ويرجح ، ومن ذلك ماورد عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤)

---

(١) تفسير الطبرى : جـ ١٥ ص ٤٦٤ .
(٢) الآية " ١٠٥ " .
(٣) تفسير الطبرى : جـ ٩ ص ١٧٥ و ١٨٩ .
(٤) سورة الانفال : الآية " ١٩ " .

يقول : " اختلفت القرأة في قراءة قوله : * وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ *[1]

ففتحها عامة قراءة أهل المدينة بمعنى : " ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وَأَنّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ " فعطف ب " أن " على موضع " ولو كثرت " كأنه قال : " لكثرتها " ، وَلأَنّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ويكون موضع " أن " حينئذ نصبا على هذا القول .

وكان بعض اهل العربية يزعم أن فتحها اذا فتحت ، على :

* وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ * (٢) ، * وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ *

عطفا بالأخرى على الاولى .

وقرأ ذلك عامة قراءة الكوفيين والبصريين ، (وَإِنَّ اللّهَ) ، بكسر الالف ، على الابتداء ، واعتلوا بأنها في قراءة عبد الله : * وَإِنّ اللّهَ لَمَعَ الْمُؤْمِنِينَ * ثم قال مرجحا قراءة من قرأ بالكسر .

" وأولى القراءتين بالصواب : قراءة من كسر " إِنَّ " الابتداء ، لتقضي الخبر قبل ذلك عما يقتضي قوله : * وَأَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ * (٣)

سادسا - مكانة الاجماع عنده :

يعطى الامام الطبرى مكانة كبيرة لاجماع من يعتد بهم في ترجيح ما يذهب اليه من تفسير الآية فعند تفسير قوله تعالى من سورة آل عمران :

* إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ * (٤)

يقول مانصه : قال أبو جعفر :

" يعني بذلك جل ثناؤه ، ولقد عفا عنكم ، أيها المؤمنون ، اذ لم

---

(١) سورة الأنفال : الآية " ١٩ ".

(٢) سورة الأنفال : الآية " ١٨ ".

(٣) تفسير الطبرى : جـ ١٣ ص ٤٥٦ . اقول : ان القراءة اذا تواترت لا يصح ترجيح قراءة منها على قراءة أخرى .

(٤) الآية : " ١٥٣ ".

يستأصلكم اهلاكا منه جمعكم بذنوبكم وهربكم ، (إِذْ تُصْعِدُونَ ولا تَلْوونَ علــى أَحَدٍ) .

ثم قــال :

واختلفت القرأة في قراءة ذلك : فقرأه عامة قرأة الحجاز والعراق والشام، سوى الحسن البصرى : (إِذْ تُصْعِدُونَ) بضم " التاء " وكسر " العين " ، وبه القراءة عندنا لاجماع الحجة من القرأة على القراءة به ، واستنكارهم ماخالفه .

وتوجيــــه معنى الآية على قراءة ضم التاء وكسر العين في قولــه : (إِذْ تُصْعِدونَ) ان القوم حين انهزموا عن عدوهم ، اخذوا في الوادى هاربين، وذكروا - الذين قرأوا تُصْعِدونَ - ان ذلك في قراءة أبــي بن كعــب : (إِذْ تُصعِدُون في الوادى) (١) .

تعرضه للأحكام الفقهية :

يناقش الامام الطبرى في تفسيره اقوال العلماء الفقهية ويرجح مايراه معتمدا على الادلة النقلية عن الرسول صلى الله عليه وسلم أوعن صحابته رضوان الله عليهــم ، فمثلا عند تفسير قوله تعالى من سورة المائدة :

﴿ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَــوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ (٢)

يقول مانصه : " .. اختلف اهل التأويل في الجوارح التي عنى الله بقوله: (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ) .

---

(١) تفسير الطبرى : جـ ٧ ص ٣٠٠ .
(٢) الآيـــة " ٤ " .

فقال بعضهم : هو كل ماعلم الصيد فتعلمه ، من بهيمة أو طائر ، ثم ذكر قول الحسن - يعني البصرى - في تفسير الآية ، قال : كل ماعلم فصاد من كلب أو صقر أو فهد أو غيره .

وأورد قول مجاهد في تفسير الآية ، قال : الطير والكلاب .

ولا بن عباس رضي الله عنه في تفسير قوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ (١) روايتان :

الاولى : ان الله عز وجل يعني (بِالجَوَارِحِ) : الكلاب الضوارى ، والفهود والصقور واشباهها .

والرواية الثانية : انه يعني (بِالجَوَارِحِ) : الكلاب والصقور المعلمة .

ثم قال : - اى الامام الطبرى - وقال آخرون : انما عنى الله جل ثناؤه بقوله : (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ) الكلاب دون غيرها من السباع ، واورد قول الضحاك والسدى ثم قال : وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال : كل ماصاد من الطير والسباع فمن الجوارح ، وان صيد جميع ذلك حلال اذا صاد بعد التعليم " ، لان الله جل ثناؤه عم بقوله : (وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ) كل جارحه ، ولم يخصص منها شيئا فكل جارحة كانت بالصفة التي وصف الله من كل طائر وسبع ، فحلال اكل صيدها . ".

ثم ذكر خبرا عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤيد ماذهب اليه (٢)

وبعد هذا التطواف مع الامام الطبرى في كتابه : " جامع البيان عن تأويل آى القرآن " فان ماحواه كتابه هذا من احاديث النبي صلى الله عليه وسلم وآثار الصحابة اعني علماء التفسير في القرن الاول الهجرى مثل عبد الله بن عباس

---

(١) سورة المائدة : الآية " ٤ " .

(٢) راجع تفسير الطبرى : جـ ٩ ص ٥٤٣ الى ٥٥٠ .

واصحاب مدرسته ، وعبد الله بن مسعود ، وعلي بن ابي طالب وابي بن كعب واتباعهم ، بالاضافة الى اقوال وآراء علماء آخرين مثل السدى وابن جريج وغيرهم ، جعلت هذا الكتاب ، الكتاب الاول في التفسير بالمأثور .

طلب الامام الطبرى تفسير الآية أولا من كتاب الله ثم من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورجع الى اقوال الصحابة والتابعين ، لانهم ادرى بكتاب الله واعلم بمعانيه ، ولكنه مع ذلك لم يكن يسلم بكل ماقالوا بل نجده يوازن بين الاقوال ويرجح مايراه صحيحا معتمدا في ذلك على قواعد واسس متينة فمثلا عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ .. ﴾ (١)

لم يرتض تفسير مجاهد وبين ذلك بأدلة مقبولة ، ايضا في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾ (٢) .

اورد اختلاف الصحابة والتابعين في نوع الشجرة ثم ختمه بقوله: " ذلك علم اذا علم لم ينفع واذا جهل لم يضر " (٣)

وفي قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا ﴾ (٤)

اورد اقوال الصحابة والتابعين واختلافهم في ذلك ثم استخرج من الاقوال قولا عاما وارتضاه .

----

(١) سورة البقرة : الآية " ٦٥ " .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٣٥ " .

(٣) راجع تفسير الطبرى : حـ ١ ص ٥٢١ .

(٤) سورة البقرة : الآية " ١٠٤ "

وفي قوله تعالى من سورة هود :

﴿ كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا ... ﴾ (١)

يقول : ان معنى " يَغْنَوْا " يعيشوا ثم يأتي ببيت من الشعر للنابغة شاهدا على صحة ماذهب اليه مثله في ذلك مثل ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد رحمه الله في الاحتكام الى الشعر العربي . وهكذا فان الامام الطبري في تفسيره للقرآن كان اعتماده على المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين . مقارنا ومرجحا ومرتضيا لما صح عنهم .

---

(١) الآية " ٩٥ ".

ثالثا - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

التعريف بالمفسر :

هو ابو محمد عبد الحق بن ابي بكر غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي من اهل غرناطة . ولد سنة " ٤٨١ " هـ كان فقيها عالما بالتفسير والاحكام والحديث والفقه والنحو واللغة والادب . (١)

تفسيره :

تفسير ابن عطية المسمى : " بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " كتاب له مكانته العالية وذلك لان مؤلفه كان ذا ثقافة عالية وتبحر في العلوم اللغوية والشرعية بالاضافة الى اطلاعه على كثير من الآثار الواردة في التفسير وآراء كثير من العلماء المؤولين للآيات ،كما اعتمد في تفسيره على كتب بعض العلماء السابقين مثل تفسير الامام الطبرى ، وتفسير ابي جعفر النحاس وتفسير الزجاج .

وقد قام ابو حيان بعمل مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير معاصره الزمخشرى فقال :

" كتاب ابن عطية انقل واجمع واخلص ، وكتاب الزمخشرى الخص واغوص " (٢) .

وقال الشيخ محمد الفاضل بن عاشور مقارنا بين التفسيرين مبينا سبب تسمية هذا التفسير بالمحرر الوجيز .

---

(١) طبقات المفسرين للداودى : جـ ١ ص ٢٦٠ .

(٢) تفسير البحر المحيط : جـ ١ ص ١٠ .

" ... لابدع ان يوصف تفسير ابن عطية بأنه " محرر " لاسيما وقد دفع الشبه وخلص الحقائق وحرر ماهو محتاج الى التحرير ، وقد نوه بذلك في مقدمته ، وشاعت عند الناس تسميته بالمحرر الوجيز .. وهو وجيز بالنسبة الى التفاسير التي سبقته . اما بالنسبة الى تفسير الزمخشرى ، فابن عطية اطرد نفسا واكثر جمعا وتفننا ، فهو وجيز باعتبار طريقة عرضه المباحث لا باعتبار مقدار جملته ، فالزمخشرى اقل جمعا ، وان كان اعمق غوصا في تحليل الكلام " (١)

ونجد ابن عطية في تفسيره يورد الآثار المنقولة عن الصحابة والتابعين في تفسير الآيات ويدقق وينظر ثم يلخص ويحرر ومن ذلك ماجاء في معنى الفقراء والمساكين في قوله تعالى :

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٢)

قال : المسكين السائل يعطى في المدينة وغيرها ، وهذا القول هو حكاية الحال وقت نزول الآية ، واما منذ زالت الهجرة فاستوى الناس ، وتعطى الزكاة لكل متصف بفقر .

وقال عكرمة : الفقراء من المسلمين ، والمساكين من اهل الذمة ، ولا تقولوا لفقراء المسلمين مساكين . وقال قتادة بن دعامة : الفقير الزمن (٣) ، المحتاج ، والمسكين الصحيح المحتاج . وقال ابن عباس والحسن ومجاهد والزهرى

---

(١) التفسير ورجاله : ص ٩٣ .

(٢) سورة التوبة : الآية " ٦٠ ".

(٣) زمن : مرض مرضا يدوم طويلا ، وضعف بكبر سن او مطاولة علة ، المعجم الوسيط : حـ ١ ص ٤٠١ .

وابن زيد وجابر بن زيد ومحمد بن سلمة ، المساكين الذين يسعون ويسألون ، والفقراء هم الذين يتصاونون . (١)

وبعد ان اورد هذه الآثار قال : وهذا القول الاخير اذ لخص وحرر احسن مايقال في هذا ، وتحريره :

ان الفقير هو الذى لامال له الا انه لم يذل ولا بذل وجهه ، والمسكين هو الذى يقترن بفقره تذلل وخضوع وسؤال ، فهذه هي المسكنة ، فعلى هذا كل مسكين فقير وليس كل فقير مسكينا . (٢)

وهو ايضا يتعرض الى المعاني اللغوية والشرعية للالفاظ القرآنية ، موردا اقوال اهل اللغة ، مستندا في شرحه للالفاظ بما جاء من شعر العرب كما فعل عند تفسير قوله تعالى من سورة البقرة :

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . . . ﴾ (٣)

حيث قال مفسرا قوله تعالى : (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) : " معناه : اظهروا هيئتها واديموها بشروطها ، وذلك تشبيه باقامة القاعد الى حال ظهور ، ومنه قول الشاعر :

واذا يقال أتيتم لم يبرحوا

حتى تقيم الخيل سوق طعان

---

(١) تصاون : تكلف صيانة نفسه . وتصاون من المعايب ونحوها ، وقى نفسه منها . المعجم الوسيط : حـ ١ ص ٥٣٠ .

(٢) المحرر الوجيز : حـ ٨ ص ٢١٠ بتصرف .

(٣) الآيـة : " ٤٢ " .

ثم يقول موضحا العلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الشرعي لكلمة الزكاة : " الزكاة مأخوذة من زكا الشيء اذا نما وزاد ، وسمى الاخراج من المال زكاة وهو نقص منه ، من حيث ينمو بالبركة او بالاجر الذى يثيب الله به المزكي ، وقيل : الزكاة مأخوذة من التطهير ،كما يقال : زكا فلان اى : طهر من دنس الجرحه او الاغفال ، فكان الخارج من المال يطهره من تبعه الحق الذى جعل الله فيه للمساكين". (١)

كما انه يورد اوجه القراءات التي قرأت بها الآية وتوجيهها مما يعين كثيرا على ايضاح معنى الآية مستعينا على ذلك بما ذكر عن الصحابة والتابعين ومثال ذلك قوله تعالى على لسان المشركين :

﴿ وَقَالُوا مَافِي بُطُونِ هذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا ﴾ (٢)

قال : قرأ جمهور القراء خالصه" بالرفع . وقرأ عبد الله بن مسعود وابن جبير خالص دون هاء ، ورفع هاتين القراءتين على خبر الابتداء .

وقرأ ابن عباس وقتادة خالصةً بالنصب ، وقرأ سعيد بن جبير خالصاً ، ونصب هاتين القراءتين على الحال من الضمير الذى في قوله " في بطون " وذلك ان تقدير الكلام وقالوا : ما استقر هو في بطون هذه الانعام فحذف الفعل وحمل المجرور الضمير ،والحال من الضمير والعامل فيها معنى الاستقرار ...

وقرأ ابن عباس ايضا والزهرى خالصة باضافة خالص الى ضمير يعود على ما ، ومعناه ماخلص وخرج حيا ، والخبر على قراءة من نصب خالصة في قوله" لذكورنا "، والمعنى المراد بما في قوله : " مَافي بُطُونِ " وقال السدى : هي الأجنة ، وقال ابن عباس وقتادة والشعبي : هو اللبن ،وقال الطبرى : اللفظ يعمهما ... " (٣)

---

(١) المحرر الوجيز : حـ ١ ص ٢٠٢ .

(٢) سورة الانعام : الآية " ١٣٩ ".

(٣) المحرر الوجيز : حـ ٦ ص ١٦١ بتصرف .

اخلص من هذه الأمثلة ان الامام ابن عطية الذى عاش في القرن السادس الهجرى استعان في تفسيره للقرآن الكريم في كتابه المحرر الوجيز باقوال الصحابة والتابعين علماء التفسير في القرن الاول الهجرى مدققا وملخصا ومحررا لاقوالهم .

وقبل ان انهي الحديث عن التفسير بالمأثور ارى تتميما للفائدة ان اورد رأى شيخ الاسلام ابن تيمية ومقارنته بين هذه التفاسير وغيرها - مما لم اتعرض له بالحديث - قال : اما التفاسير التي في ايدى الناس ، فأصحها تفسير الطبرى ، فانه يذكر مقالات السلف بالاسانيد الثابتة ، والتفاسير المأثورة بالاسانيد كثيرة ، كتفسير عبد الرزاق ، ووكيع ... وغيرهم ... وتفسير البغوى : اسلم من البدعة ... اما الواحدى فهو تلميذ الثعلبي ، وهو اخبر منه في العربية ... وتفسير الواحدى : البسيط والوسيط والوجيز ، فيها فوائد جليلة ، وفيها غث كثير من المنقولات الباطلة وغيرها ... وتفسير القرطبي اقرب الى طريقه اهل الكتاب والسنة ، وابعد عن البدع ، لكن تفسير ابن جرير اصح من هذه كلها " (١)

----

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية : جـ ١ ص ١٩٢ ، ١٩٤ .

ثم بعد ذلك الفت التفاسير التي تمتاز بالنظر والاجتهاد ، والتي يغلب عليها طابع التأويل اللغوى والبلاغي وغيرهما مما هو مطبوع ومتداول مثل :

١ - تفسير ابي حيان المتوفي سنة ٧٤٥ هـ .

٢ - تفسير الجلالين ، الجلال المحلى المتوفي سنة ٨٦٤ هـ والجلال السيوطي المتوفي سنة ٩١١ هـ .

٣ - تفسير الالوسي المتوفي سنة ١٢٧٠ هـ

وغير هؤلاء .

وارى ان من اهم اسباب اعمال الرأى في التفسير والاجتهاد في آيات القرآن الكريم هو ماكان من ضعف الرواية وانتشار الوضع في التفسير والحديث وحذف الاسانيد من سلسلة الرواية ، وافشاء الكذب في متون الاحاديث لاسيما الاحاديث الشارحة لآيات القرآن فاختلط الحق بالباطل والصحيح بالسقيم فاضطر العلماء الى اعمال عقولهم فيما يعلمون من قواعد اللغة واسس البلاغة ومعارف العلوم العامة ، فأخذوا يجتهدون بالنظر في الآيات الكريمة ، على ان هذا العمل خير من ان يشتغلوا بالموضوع من التفسير والحديث ، وافضل للاجيال التي تليهم .

واليك نماذج لأشهر المفسرين بالاجتهاد :

أولا - البحر المحيط لأبي حيان :

التعريف بالمفسر :

هو الامام اثير الدين ، ابو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي ، الاندلسي ، المشهور بأبي حيان.

ولد سنة اربع وخمسين وستمائة من الهجرة " ٦٥٤ " هـ .

قرأ القرآن الكريم على عدة مشايخ ، وتلقى العلم في الاندلس وافريقية والاسكندرية وكان عالما بالقراءات والادب ، كثير السماع والاشتغال والنظر في الكتب ، وكان ثبتا في نقله ،عارفا باللغة واسرارها ، عالما بالنحو والصرف، وله اليد الطولى في التفسير والحديث، وتراجم الناس وطبقاتهم ، خاصة المغاربة.

اقرأ الكثير من الناس حتى صار تلاميذه شيوخا في حياته ، وله المصنفات العديدة المفيدة ، مثل البحر المحيط - الذى اتحدث عنه - وغريب القرآن في مجلد ، وشرح التسهيل ، وخلاصة البيان وغير ذلك .

توفي سنة خمس واربعين وسبعمائة " ٧٤٥ " هـ . (١)

تفسيره :

اعتمد ابو حيان في تفسيره على تفاسير من سبقه ، لا سيما الزمخشري وابن عطية ، وعلى ثقافته اللغوية والنحوية والادبية ، ولم يخل تفسيره من المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين ، كما يذكر اسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ، والقراءات الواردة في الآية مع توجيهها ،بالاضافة الى اشياء اخرى ذكرها في مقدمة كتابه فتجده يقول :

---

(١) الدرر الكامنة : جـ ٥ ص ٧٠ الى ٧٦ .

" وترتيبي في هذا الكتاب ، أني ابتدئ اولا بالكلام على مفردات الآية التي افسرها لفظة لفظة ، فيما يحتاج اليه من اللغة والاحكام النحوية التي لتلك اللفظة قبل التركيب ، واذا كان للكلمة معنيان او معان ذكرت ذلك في اول موضع فيه تلك الكلمة ، لينظر ما يناسب لها من تلك في كل موضع تقع فيه فيحمل عليه ، ثم اشرع في تفسير الآية ذاكرا سبب نزولها اذا كان لها سبب ، ونسخها ، ومناسبتها ، وارتباطها بما قبلها ، حاشدا فيها القراءات شاذها ومستعملها . ذاكرا توجيه ذلك في علم العربية ، ناقلا اقاويل السلف والخلف في فهم معانيها ، متكلما على جليها وخفيها ، بحيث أني لا اغادر منها كلمة وان اشتهرت حتى اتكلم عليها ، مبديا ما فيها من غوامض الاعراب ، ودقائق الآداب ، من بديع وبيان ، مجتهدا أني لا اكرر الكلام في لفظ سبق ولا في جملة تقدم الكلام عليها ، ولا في آية فسرت ، بل اذكر في كثير منها الحوالة على الموضع الذى تكلم فيه على تلك اللفظة او الجملة أو الآية ، وان عرض تكرير فبمزيد فائدة ، ناقلا اقاويل الفقهاء الاربعة وغيرهم في الاحكام الشرعية مما فيه تعلق باللفظ القرآني وكذلك ما نذكره من القواعد النحوية أحيل في تقريرها والاستدلال عليها على كتب النحو ، وربما اذكر الدليل اذا كان الحكم غريبا او خلاف مشهور ما قال معظم الناس . . . ثم اتبع آخر الآيات بكلام منثور اشرح به مضمون تلك الآيات على ما اختاره من تلك المعاني ، ملخصا جعلها احسن تخليص. " (١)

----

(١) راجع مقدمة تفسير البحر المحيط : حـ ١ ص ٤ ، ٥ .

وبعد هذا البيان الجلي من ابي حيان لتفسيره اعرض نموذجا يبدو فيه موقفه من تفسير رجال القرن الاول الهجرى . وذلك في سبب ضحك امرأة ابراهيم عليه السلام في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَاماً قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ﴿ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ (١)

قال : قال مجاهد وعكرمة : (فَضَحِكَتْ) حاضت . وقال الجمهور : هو الضحك المعروف . وقيل : هو مجاز معبر به عن طلاقة الوجه وسروره بنجاه اخيها وهلاك قومه. وقيل : هو حقيقة. فقال مقاتل : روى عن ابن عباس : ضحكت من شدة خوف ابراهيم وهو في اهله وغلمانه والذين جاؤه ثلاثة وهي تعهده يغلب الاربعين .

وقال قتادة : ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم ، وقال السدى : ضحكت من امساك الاضياف من الاكل وقالت : عجبا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا وهم لا يأكلون طعامنا .

وقال وهب بن منبه : وروى عن ابن عباس ضحكت من البشارة باسحاق ، ثم قال ابو حيان بعد ان اورد هذه الأقوال :

والذى يظهر والله اعلم انهم لما لم يأكلوا واوجس في نفسه خيفة بعد ما نكر حالهم لحق المرأة من ذلك اعظم مالحق الرجل فلما قالوا : (لَا تَخَفْ) وذكروا سبب مجيئهم زال عنه الخوف وسرّ فلحقها هي من السرور ان ضحكت ،

---

(١) سورة هود : الآيات " ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ " .

اذ النساء في باب الفرح والسرور اطرب من الرجال وغالب عليهن ذلك ، وقد اشار الزمخشرى الى طرف من هذا فقال : فضحكت سرورا بزوال الخيفة. (١)

ويمثل هذا قال الالوسي في روح المعاني (٢) ولننظر ماقاله الامام الطبرى وابن كثير في هذه الآية :

قال الطبرى : ... واولى الاقوال التي ذكرت في ذلك قول من قال معنى (فَضَحِكَتْ) ، فعجبت من غفلة قوم لوط عمّا قد احاط بهم من عذاب الله وغفلتهم عنه. (٣)

وقال ابن كثير : ضحكت سارة استبشارا بهلاك قوم لوط لكثرة فسادهم وغلظ كفرهم وعنادهم (٤) والمعنى واحد بين القولين ، وهذا ماقاله قتادة - وهو من علماء التفسير في القرن الاول - والذى يظهر انه الصحيح وذلك لان قوله (فَضَحِكَتْ) ذكر بعد قول الاضياف لابراهيم عليه السلام ، (لَا تَخَفْ) ولا وجه للتعجب والضحك من قولهم هذا ، فكان الضحك والتعجب من امر قوم لوط .

---

(١) تفسير البحر المحيط : حـ ٥ ص ٢٤٢ .

(٢) حـ ٤ ص ٩٧ .

(٣) تفسير الطبرى : حـ ١٥ ص ٣٩٤ .

(٤) تفسير ابن كثير : حـ ٢ ص ٤٥٢ .

ثانيا - تفسير الجلالين

التعريف بالمفسرين :

هما :

الأول : جلال الدين المحلى ، محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم جلال الدين المحلى الشافعي . والمحلى نسبة الى المحلة بمصر .

ولد سنة احدى وتسعين وسبعمائة " ٧٩١ " هـ ، واشتغل وبرع في الفنون فقها وأصولا وكلاما ونحوا ومنطقا وغيرها ، وكان آية في الذكاء والفهم ، ورعا ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وله مؤلفات عديدة منها : شرح الجوامع في الاصول ، وشرح المنهاج في فقه الشافعية . وغيرها .

توفي سنة اربع وستين وثمانمائة من الهجرة " ٨٦٤ " (١)

والثاني : الحافظ جلال الدين ، ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ، نسبة الى اسيوط بمصر .

ولد في رجب سنة تسع واربعين وثمانمائة " ٨٤٩ " هـ ، كان اماما محققا مدققا ، له مؤلفات فائقة نافعة ، ختم القرآن وله من العمر دون ثمان سنين ، ثم حفظ عمدة الاحكام في احكام الحديث ، ومنهاج النووى في الفقه ، ومنهاج البيضاوى في الاصول ، وعرض ذلك على علماء عصره واجازوه ، وقرأ في مختلف العلوم على اكثر من خمسين شيخا ، وقد زادت كتبه على خمسمائة مؤلف ، في التفسير وعلومه والقراءات وغير ذلك .

مات سنة احدى عشرة وتسعمائة " ٩١١ " هـ . (٢)

---

(١) طبقات المفسرين للداودى : جـ ٢ ص ٨٠ ، ٨١ .

(٢) شذرات الذهب : جـ ٨ ص ٥١ ، ٥٤ .

منهجهما في التفسير :

ابتدأ الامام جلال الدين المحلى تفسيره من اول سورة الكهف الى آخر سورة الناس ، ثم ابتدأ تفسير سورة الفاتحة ، وبعد اتمامها اختاره عز وجل الى جواره فلم يفسر مابعدها ، ثم جاء الامام السيوطي وكمّل تفسيره ، فابتدأ بتفسير سورة البقرة ، وانتهى عند آخر سورة الاسراء ، ووضع تفسير سورة الفاتحة في آخر تفسير الجلال المحلى ، لتكون ملحقة به . ذلك لأن الامام جلال الدين السيوطي - في مقدمة هذا التفسير وقبل الكلام على سورة البقرة- يقول : " هذا ما اشتدت اليه الحاجة للراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم ، الذى الفه الامام العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعي - رحمه الله - وتتميم مافاته - ولعله يريد مافات الامام جلال الدين المحلى ، وقام هو بتفسيره من اول سورة الناس الى آخر سورة الاسراء . (١)

ويقول في آخر سورة الاسراء : قال مؤلفه : هذا آخر ماكملت به تفسير القرآن الكريم ، الذى الفه الشيخ الامام جلال الدين المحلى رضي الله عنه (٢) .

ويقول الشيخ سليمان الجمل في مقدمة حاشيته : " واما الفاتحة ، ففسرها المحلى ، وابتدأ هو من أول سورة البقرة (٣) ، ويقول عند نهاية ما كتبه على تفسير سورة الفاتحة ، انه : يريد الجلال المحلى - كان قد شرع في تفسير النصف الاول ، وانه ابتدأ بالفاتحة ، وانه اخترمته المنية بعد الفراغ منها ، وقبل الشروع في البقرة ومابعدها . (٤)

---

(١) مقدمة تفسير الجلالين : ص ٣ .

(٢) تفسير الجلالين : ص ٣٨٦ .

(٣) حاشية الجمل على الجلالين : حـ ١ ص ٧ ، ط / عيسى الحلبي ، مصر .

(٤) حاشية الجمل على الجلالين : حـ ٤ ص ٦٢٦ .

وقد فسر الجلالان البسملة بعبارة موجزة محررة في غاية الحسن والدقة ، وتابع الجلال السيوطي نمط الجلال المحلى في اسلوبه وذكر في خاتمة سورة الاسراء انه ألف جزأه في ميعاد الكليم موسى عليه السلام ، وهو اربعون يوما ، وذكر انه استفاد من الجلال المحلى ، واعتمد عليه في الآى المتشابهة واعترف جازما بأن ماوضعه الجلال المحلى في قطعته احسن مما وضعه بطبقات كثيرة (١) ، وهذا من آداب التواضع واخلاق العلماء ورثة الانبياء .

وتفسير الجلالين يعتمد على الاعراب وبيان معاني الالفاظ وترجيح الاقوال ، والتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف ، وتعبير وجيز ، وترك التطويل ، وهما يكتفيان بذكر ارجح الآراء ، وعدم الاكثار من ذكر الأقوال .

وقد لوحظ الاختلاف بين الامامين - في تفسيرهما - في مواضع قليلة جدا منها .

ان الامام جلال الدين المحلى فسر " الصابئين " عند قوله تعالى :

من سورة الحج :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ . . ﴾ (٢)

بقوله : الصَّابِئونَ : طائفة من اليهود (٣) ، وتابعه الامام جلال الدين السيوطي في سورة البقرة عند قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ . . . . ﴾ (٤) .

فقال : الصَّابِئونَ : طائفة من اليهود ، وزاد عليه : او النصارى ، بيانا منه لقول ثان . (٥)

---

(١) تفسير الجلالين : ص ٣٨٧ .

(٢) الآية " ١٧ ".

(٣) تفسير الجلالين : ص ٤٤١ .

(٤) الآية "٦٢".

(٥) تفسير الجلالين : ص ١٣ .

هذا ماذهب اليه الجلالان - رحمهما الله - وبالنظر في روح المعاني عند تفسير هذه الآية ، يقول مايفيد انهم يعبدون الكواكب ، ويتخذونها وسائط فصابئة الروم تفزع الى الكواكب السيارة ، وصابئة الهند يفزعون الى الكواكب الثابتة . ومنهم عبدة الاصنام.

وابو حنيفة يرى انهم عبدة النجوم لاغير ، وقيل هم عبدة الملائكة . (١)

وهنا نتساءل ؟ هل علماء القرن الاول الهجرى ذهبوا الى ماذهب اليه الجلالان أم لا ؟

لننظر ماذا قال ابن كثير وهو مفسر بالمأثور ، يذكر ابن كثير ان علي ابن ابي طلحة روى عن ابن عباس ان هذه الآية : * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا .... * (٢)

انزل الله بعدها : * وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ * (٣)

بمعنى ان الله سبحانه لا يقبل منهجا غير منهجه الذى ارتضاه لعباده وهو الاسلام وشريعة محمد بعد بعثته بما بعثه به . فأما قبل ذلك فكل تابع لرسوله ان اهتدى به نجا ، والا فهو هالك.

اما الصابئون فقال مجاهد : هم قوم بين المجوس واليهود والنصارى ليس لهم دين ، وهذا الرأى ذهب اليه عطاء وسعيد بن جبير ، وكان الحسن البصرى يذهب الى انهم قوم يعبدون الملائكة واكد هذا الرأى قتادة واضاف انهم يقرؤون الزبور ، ويصلون للقبلة.

---

(١) روح المعاني : حـ ١ ص ٢٧٩ .

(٢) سورة البقرة : الآية " ٦٢ ".

(٣) سورة آل عمران : الآية " ٨٥ ".

ومجاهد والحسن وابن ابي نجيح قال كل منهم ان المجوس قوم تركب دينهم بين اليهود والمجوس .

وانتهى القرطبي الى انهم موحدون لكنهم يعتقدون تأثير الكواكب بذاتها ولذلك حكموا بكفرهم.

قال ابن كثير : واظهر الاقوال قول مجاهد ومن تابعه انهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين ، وانما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويقتفونه . (١)

ومن هنا نرى ان ماذهب اليه مجاهد بن جبر هو الصواب ويؤيده ان اكثر العلماء ذهب الى هذا الرأي ، وقال ابن كثير : هذا اظهر الأقوال كما يؤيده ان كلمة (الصَّابئينَ) معطوفة على (الذَّينَ هَادُوا وَالنَّصَارى) ، والعطف يقتضي المغايرة.

---

(١) تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

ثالثا - روح المعاني في تفسير القرآن

والسبع المثاني للامام الآلوسي

التعريف بالمفسر :

هو الامام ابو الثناء شهاب الدين السيد محمود الالوسي (١) البغدادى مدرس دار السلطنة ، ومفتي بغداد .

ولد سنة سبع عشرة ومائتين بعد الالف " ١٢١٧ " هـ وتوفي سنة سبعين ومائتين والف " ١٢٧٠ " .

كان آية من آيات العلم بالتفسير المنقول والمعقول عالما في الاصول والفروع واشتغل بالتدريس والتأليف والافتاء ، وله ثروة علمية جليلة ومفيدة ، منها روح المعاني ، الذى نحن بصدده ، وشرح السلم في المنطق ، والاجوبة العراقية من الاسئلة اللاهورية ، والاجوبة العراقية على الاسئلة الايرانية وغيرها . (٢)

تفسيره :

يعتبر تفسيره من أجل التفاسير وأوفاها ، واوسعها واجمعها ، فيه خلاصة كل التفاسير السابقة له ، وله استدراكات قيمة ، وتعقيبات عميقة ، وله شخصيته العلمية البارزة ، وافكاره النيرة ، فكان كتابه جامعا لكل الالوان التفسيرية ومرضيا لجميع الاذواق .

---

(١) الوس : بلدة على نهر الفرات معجم البلدان : جـ ١ ص ٢٤٦ .

(٢) مقدمة روح المعاني : جـ ١ ص ٢ ، ٤ .

وهو سلفي المذهب ، سني الاعتقاد ، يفند الآراء المخالفة لاهل السنة ، ويهتم في تفسيره بالصناعة النحوية ، ويستوفي مذاهب الفقهاء في الفقه مع الدليل دون تعصب ، كما انه يتعرض للمناسبات والقراءات واسباب النزول[1]

فكتابه يعتبر موسوعة تفسيرية قيمة ، جمعت القريب والبعيد في التفسير لانه جمع خلاصة التفاسير التي قبله ، مع حواشيها ، لاسيما حاشية الكشاف ، وحاشية الشهاب الخفاجي ، جمعها بعبارات سهلة مفهومة المراد .

ومن عنده هذا التفسير الجليل ، يمكنه ان يستغني عن كثير من التفاسير لانه يذكر زبدتها وخلاصتها .

ومن محاسن هذا التفسير انه اذا تعرض لمسألة من المسائل المشهورة ذكر من ألف فيها بعض الرسائل ، كما يتعرض لاقوال العلماء ، ولا يكون موقفه من هذه المسائل موقف الناقل فحسب ، وانما يقف منها موقف الناقد البصير والمرجح .

وبعد هذا التجوال الموجز مع الامام الالوسي في كتابه روح المعاني اعرض نموذجين يبدو فيهما مايراه الالوسي مقارنا بما رجحه غيره من العلماء :

١ - قال تعالى في سورة البقرة :

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا ﴾ (٢)

اختلف المفسرون في معنى الطاغوت . فقال عمر بن الخطاب ومجاهد والشعبي والضحاك وقتادة والسدى : الطاغوت : الشيطان .

---

(١) التفسير والمفسرون : جـ ١ ص ٣٥٢ - ٣٦٢ .
(٢) الآيـة " ٢٥٦ " .

وقال ابن سيرين وابو العاليه : الطاغوت : الساحر.

وقال سعيد بن جبير ورفيع " ابو العالية " وجابر بن عبد الله ، وابن جريج : الطاغوت : الكاهن .

وقال قوم : الطاغوت : الاصنام .

وقال بعض العلماء : كل ماعبد من دون الله فهو طاغوت . (١)

قال الالوسي :

" والاولى ان يقال بعمومه لسائر مايطغى ، ويجعل الاقتصار على بعض في تلك الاقوال من باب التمثيل ." (٢)

وقال ابن عطية:

" ... هذه امثلة - يريد ماجاء في الآثار المتقدمة - في الطاغوت لان كل واحد منها له طغيان ، والشيطان اصل ذلك كله " (٣) .

واختار ابن كثير في معنى " الطاغوت " الشيطان : وقال : ان الشيطان مصدر كل شر كان عليه اهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم اليها والاستنصار بها ". (٤)

اما الطبرى فيرى ان الطاغوت : كل ذى طغيان على الله عبد من دونه انسانا كان ذلك المعبود او شيطانا ، او وثنا اوصنما اوكائنا ماكان " (٥)

---

(١) المحرر الوجيز : حـ ٢ ص ٢٨٣ .

(٢) روح المعاني : حـ ١ ص ١٣ .

(٣) المحرر الوجيز : حـ ٢ ص ٢٨٣ .

(٤) تفسير ابن كثير : حـ ١ ص ٣١١ .

(٥) تفسير الطبرى : حـ ٥ ص ٤١٩ .

والذى يظهر ان مارآه الالوسي والطبرى في معنى " الطاغوت " هو الصحيح وذلك لان " الطاغوت يطلق على الشيطان ، والساحر ، والكاهن ، والاصنام . وكل راس ضلال ، وعلى كل ماعبد من دون الله وهذا المعنى الاخير يدخل فيه الشيطان والساحر والكاهن . . الخ .

٢ - وفي المراد بالحسنة في قوله تعالى :

﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ (١)

قال علي رضي الله عنه : " المرأة الصالحة ، وقال قتادة : العافية والكفاف .

وقال الحسن البصرى : العلم والعبادة . وقال السدى : المال الصالح وقال ابن عمر : الاولاد الابرار او ثناء الخلق .

اما الالوسي فقال :

" والظاهر ان الحسنة وان كانت نكرة في الاثبات وهي لاتعم الا انها مطلقة فتنصرف الى الكاملة والحسنة الكاملة في الدنيا مايشمل جميع حسناتها وهو توفيق الخير وبيانها بشيء مخصوص ليس من باب تعيين المراد اذ لا دلالة للمطلق على المقيد اصلا وانما هو من باب التمثيل" (٢)

وقد فسر الجلال السيوطي " الحسنة " بالنعمه . (٣)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢٠١ " .

(٢) روح المعاني : جـ ١ ص ٩١ .

(٣) تفسير الجلالين : ص ٤٢ .

وقال القرطبي :

" ... والذى عليه اكثر اهل العلم ان المراد بالحسنتين (١) نعم الدنيا والآخرة " .

وهذا هو الصحيح ، فان اللفظ يقتضي هذا كله ، فان " حسنة " نكرة في سياق الدعاء ، فهو محتمل لكل حسنة من الحسنات على البدل"(٢)

والذى اراه تبعا للمفسرين ان الحسنة تشمل العافية في البدن ، والرزق والعلم والعبادة والمال الصالح وغير ذلك من انواع النعم فلا يخص شيء من ذلك فالاولى ان تحمل على العموم .

هذه نماذج لبعض كتب التفسير بالاجتهاد اكتفى منها بهذا القدر وارجو ان تكون قد اعطت فكرة لهذا النوع من التفسير الاجتهادى وماكان من تفاسير العلماء في القرن الاول الهجرى .

ويتبين مما سبق ان الاجتهاد في آيات القرآن الكريم قد طغى على التفسير المأثور واصبحت كتب التفسير بالرأى والاجتهاد مستقلة عن كتب التفسير بالمأثور وان كان الاستقلال والانفصال غير كامل .

-----

(١) يريد ماجاء في قوله تعالى من سورة البقرة : الآية " ٢٠١ " :
﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً ﴾

(٢) تفسير القرطبي : جـ ٢ ص ٤٣٢ .

الخاتمة

الخاتمــــة

لعلي فيما مر بي من ابواب وفصول ومباحث اكون قد وقفت ـ بعون الله وتوفيقه ـ على حقائق هامة ونتائج طيبة ومرضية ، اسجلها فيما يلي تبصرة وذكـــرى وتحصيلا للفائدة فأقول :

١) ان التفسير في القرن الاول الهجرى في عهد النبي صلى الله عليه وسلـم كان وحيا من السماء سواء مانزل من آيات أو ماقاله النبي عليه الصلاة والسلام وكلاهما وحي لقوله تعالى :

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى ﴾ (١)

٢) اما تفاسير الصحابة رضي الله عنهم فكانت معتمدة على العلم الذى ورثـــوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة ، وتكلموا مع ذلك بالاستنباط والاجتهاد ، وقد تفاوتوا في القدر الذى اخذه كل منهم من التفسير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذلك في قدر استنباطهم واجتهادهم في الايات القرآنية ، فكان بعضهم اوعى للتفسير من بعض ، وكان بعضهم اكثر اجتهادا من بعض ، وكان بعضهم ايضا اشد تهيبا وتعظيمـــا للتفسير من بعض .

والذى يبدو ان مجموع ماقالوه عن النبي صلى الله عليه وسلم استنباطا واجتهادا يكون تفسيرا كاملا للقرآن الكريم .

---

(١) سورة النجم : الآيتان " ٣ ، ٤ " .

٣) اما مصادر تفاسير التابعين رحمهم الله فكانت القرآن والسنة والتلقي عن الصحابة رضي الله عنهم بالاضافة الى اقوال اهل الكتاب ، من يهود ونصارى " وكان ذلك من بعض التابعين الذين تساهلوا في الاخذ عنهم .

٤) اما التفاسير في عهد اتباع التابعين فكانت جمعا مستوعبا لاقوال من تقدمهم من الصحابة والتابعين وتدوينها في الكتب ، وفي عهدهم انتقل التفسير من مرحلة الرواية الشفوية الى مرحلة التدوين ، وتكمن قيمة هذه التفاسير في تعدد الاقوال وكثرتها وضروب الاجتهاد والاستنباط الذى شمل آيات القرآن الكريم جميعها ، وكانت تظهر شخصية المفسر نفسه بما يرجحه او يعتمده .

٥) معالجة الصحابة والتابعين للآيات المتعلقة بالعقيدة كانت معالجة موضوعية ، وذلك لان عقيدتهم كانت نقية صافية ، واتجاهاتهم كانت موحدة ، وأفكارهم متقاربة وخالية من التكلف والشطط ، على الرغم من تسرب افكار اهل الكتاب - الذين دخلوا في الاسلام - الى بعض التابعين الا ان هذه الافكار لم تغير او تؤثر في عقيدتهم وفكرهم الاسلامي فظلت العقيدة صافية.

٦) اما موقف الصحابة والتابعين تجاه آيات الاحكام فكل ادلي بدلوه في هذا المجال ، وذلك لان الآيات المتعلقة بالاحكام ذات مفهوم واسع فتؤدى الى شحذ الاذهان وفتح الباب للاجتهاد للتوصل الى فيصل القول في معرفة الحكم .

وكان الصحابة وهم يشاهدون نزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ويطلعون على اسباب النزول واحوال من نزل فيهم القرآن

وغير ذلك ، قد يرى احدهم مالا يرى الآخر ، ويسمع مالا يسمعه الآخر وكان بعضهم كثير الملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم فتأتي اقوالهم مختلفة في الاحكام ، وعند تفرقهم في الامصار واجتماع طلاب العلم حولهم كان لكل صحابي قوله معتمدا في ذلك على ماسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم اويلغه عن صحابي آخر أو على اجتهاده الخاص ان لم يكن ثمة شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يقضي فيه وهذا ماينطبق على التابعين تجاه الصحابي الذى يأخذون عنه .

٧) اما موضوعات الاخلاق فقد التزموا بها قولا وفعلا كيف لا وقد كانت لهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة .

وفي ضوء ماسبق اوصي الباحثين بعدى في هذا المجال بالاهتمام بالتراث التفسيرى للصحابة والتابعين وان كنت قد القيت الضوء على تفاسير بعضهم أرى ان يفرد لكل صحابي ولكل تابعي بحث مستقل به تجمع فيه الروايات الواردة في تفسيره من كتب التفسير بالمأثور والسنن والمصنفات وغيرها وتميز من حيث القوة والضعف ، ويوضح المنهج الذى اتبعه الصحابي او التابعي في تفسيره ونكون بذلك قد اضفنا الى تراثنا الاسلامي الجديد والمفيد .

وأخيرا فهذه رسالتي عن " التفسير في القرن الاول الهجرى " ارجو من الله تبارك وتعالى ان تنال القبول وان ينفع بها ، انه سميع الدعاء ، وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم و (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدانَا لِهذَا وَمَاكُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدانَا اللَّهُ) و (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا :

١) القرآن الكريم

ثانيا - كتب التفسير :

	اسم الكتاب	اسم المؤلف والطبعة
٢)	احكام القرآن	ابو بكر احمد بن علي الرازى الجصاص "ت ٣٧٠ هـ" تحقيق : محمد الصادق قمحاوى . الناشر : دار المصحف .
٣)	احكام القرآن	ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي . "ت ٥٤٣ هـ" . تحقيق : علي محمد البجاوى ط / دار المعرفة - بيروت .
٤)	تفسير البحر المحيط	محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان "ت ٧٥٤ هـ" ط / دار الفكر - بيروت .
٥)	تفسير الجلالين	جلال الدين محمد بن احمد المحلى . "ت ٨٦٤هـ" . وجلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي "ت ٩١١ هـ" ط / دار الكتاب العربي - بيروت.
٦)	تفسير سفيان الثورى	ابوعبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثورى الكوفي "ت ١٦١ هـ" . ط ١ / دار الكتب العلمية .
٧)	تفسير القرآن الحكيم المسمى " تفسير المنار"	محمد رشيد رضا . ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢ م.
٨)	تفسير القرآن العظيم	ابو الفداء عماد الدين بن كثير "ت ٧٧٤ هـ" . ط / دار احياء الكتب العربية / عيسى الحلبي .
٩)	التفسير الكبير	فخر الدين الرازى . ابوعبد الله الطبرستاني ، "ت ٦٠٦ هـ" ط ٢ / دار الكتب العلمية / طهران

١٠) تفسير مجاهد — ابو الحجاج مجاهد بن جبر " ت ١٠٤ هـ "
تحقيق : عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي
المنشورات العلمية / بيروت.

١١) التفسير ورجاله — محمد الفاضل بن عاشور .
ط / مجمع البحوث الاسلامية سنة ١٣٩٠ هـ
١٩٧٠ م.

١٢) التفسير والمفسرون — محمد حسين الذهبي .
ط ٢ / دار الكتب الحديثة.

١٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس — تصحيح وتحقيق : محمد الصادق قمحاوى ، وعبد الحفيظ محمد عيسى .
الناشر / دار الانوار المحمدية .

١٤) جامع البيان عن تأويل آى القرآن — ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى " ت ٣١٠ هـ "
تحقيق : محمود محمد شاكر واحمد محمد شاكر
ط ٢ / دار المعارف / مصر .

١٥) الجامع لاحكام القرآن — ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الانصارى القرطبي " ت ٦٧١ هـ " .
ط / دار الكاتب العربي / القاهرة.

١٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور — جلال الدين السيوطي
ط / دار المعرفة / بيروت.

١٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني — ابو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادى . " ت ١٢٧٠ هـ "
ط/ ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م دار الفكر / بيروت.

١٨) زاد المسير في علم التفسير — ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزى القرشي البغدادى .
" ت ٥٩٧ هـ " ط ١/ المكتب الاسلامي .

١٩) الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية " حاشية الجمل على الجلالين " . — سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل " ت ١٢٠٤ هـ "
ط / عيسى الحلبي / مصر

٢٠) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . — ابو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى " ت ٥٣٨ هـ " .
ط / دار المعرفة / بيروت .

٢١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . — ابو محمد عبد الحق بن غالب ، ابن عطية الاندلسي " ت ٥٤٦ هـ " .
تحقيق : المجلس العلمي بفاس .
ط / ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٢٢) مناهج في التفسير . — مصطفى الصاوى الجويني
الناشر / منشأة المعارف بالاسكندرية .

ثالثا - كتب علوم القرآن :

٢٣) الاتقان في علوم القرآن — جلال الدين السيوطي .
ط ٤/ مصطفى البابي الحلبي .

٢٤) اسباب النزول — أبو الحسن علي بن احمد الواحدى النيسابورى " ت ٤٦٨ هـ " .
ط ٢ / مصطفى البابي الحلبي . .

٢٥) البرهان في علوم القرآن — بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، " ت ٧٩٤ هـ " تحقيق : محمد ابوالفضل ابراهيم
ط ٢/ دار المعرفة / بيروت .

٢٦) التبيان في اداب حملة القرآن — ابو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعي ، " ت ٦٧٦ هـ " .
ط / دار المعرفة / بيروت

٢٧) لباب النقول في اسباب النزول — جلال الدين السيوطي .
ط٣/ دار احياء العلوم / بيروت .

٢٨) مباحث في علوم القرآن — صبحي الصالح .
ط.١/ دار العلم للملايين / بيروت .

٢٩) معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخارى — محمد فوءاد عبد الباقي .
ط ٢ / دار المعرفة / بيروت .

٣٠) المفردات في غريب القرآن — ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني " ت ٥٠٢ هـ " .
تحقيق محمد سيد كيلاني .
ط / دار المعرفة / بيروت .

٣١) مقدمتان في علوم القرآن " مقدمة كتاب المباني ومقدمة ابن عطية " — نشر آرثر جفرى
تصحيح عبد الله اسماعيل الصاوى .
ط ٢ / مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٣٢) مناهل العرفان في علوم القرآن . — محمد عبد العظيم الزرقاني .
دار احياء الكتب العربية / عيسى الحلبي .

رابعا - كتب الحديث :

٣٣) تحفة الاحوذى بشرح جامع الترمذى — ابو العلى محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى : " ت ١٣٥٣ هـ " .
تصحيح : عبد الرحمن محمد عثمان وعبد الوهاب عبد اللطيف . ط ٣ / دار الفكر .

٣٤) سنن ابن ماجه — ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني .
"ت ٢٧٥ هـ" .
تحقيق : محمد فوءاد عبد الباقي .
ط / عيسى الحلبي .

٣٥) سنن الدارقطني " بذيله التعليق المغني " — علي بن عمر الدارقطني " ت ٣٨٥ هـ " .
تحقيق : عبد الله هاشم يماني .
ط / دار المحاسن للطباعة / القاهرة .

٣٦) السنن الكبرى — ابو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي ،
" ت ٤٥٨ هـ " .
ط١ / مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية .

٣٧) سنن النسائي " بشرح جلال الدين السيوطي " — ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي .
" ت ٣٠٣ هـ " .
ط / المكتبة العلمية / بيروت .

٣٨)	صحيح البخارى	ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى " ت ٢٥٦ هـ " . ط / دار ومطابع الشعب .
٣٩)	صحيح مسلم بشرح النووى	ابو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعي . ط/ المطبعة المصرية ومكتبتها .
٤٠)	عارضة الاحوذى بشـــرح صحيح الترمذى .	ابو بكر محمد بن عبد الله " ابن العـــربي " ط ١ / مطبعة السعادة بمصر.
٤١)	عون المعبود شرح سنن ابي داود .	ابو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادى . تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان . ط / دار الفكر .
٤٢)	فتح البارى بشرح صحيح البخارى .	احمد بن علي بن حجر العسقلاني " ت ٨٥٢ هـ " تحقيق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز . المكتبة السلفية .
٤٣)	رياض الصالحين من كــلام سيد المرسلين .	ابو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى الشافعي . ط / مكتبة الجمهورية العربية / مصر .
٤٤)	المسند	احمد بن حنبل ، " ت ٢٤١ هـ " . ط / دار صادر / بيروت .
٤٥)	المصنف	ابو بكرعبد الرزاق بن همام الصنعاني . " ت ٢١١ هـ " . تحقيق : حبيب الرحمن الاعظمي ، ط١ / المجلس العلمي .
٤٦)	الموطأ	ابو عبد الله مالك بن انس " ت ١٧٩ هـ " . تصحيح وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي . ط / دار احياء التراث العربي .
٤٧)	نيل الاوطار من احاديث سيد الاخيار شرح منتقى الاخبار .	محمد بن علي بن محمد الشوكاني " ت ١٢٥٥هـ " ط ١٩٧٣م / دار الجيل / بيروت

خامسا ـ كتب علوم الحديث :

٤٨) تدريب الراوى في شرح تقريب النواوى
جلال الدين السيوطي .
تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف .
ط / دار الفكر .

٤٩) تلخيص الحبير في تخريج احاديث الرافعي الكبير
احمد بن علي بن حجر العسقلاني .
تصحيح وتعليق : عبد الله هاشم اليماني / المدينة المنورة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م.

٥٠) حسن الاثر فيما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر .
محمد بن السيد درويش
الناشر / دار المعرفة / بيروت .

٥١) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة .
ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي " ت ٧٤٨ هـ " .
ط / دار الكتب العلمية / بيروت .

٥٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد
نور الدين علي بن ابي بكر الهيثمي .
" ت ٨٠٧ هـ " بتحرير العراقي وابن حجر
ط ٣ / منشورات دار الكتاب العربي / بيروت

٥٣) مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث
ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزورى المعروف بابن الصلاح " ت ٦٤٢ هـ " .
ط / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / دار الكتب العلمية / بيروت .

٥٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال
ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي
تحقيق علي محمد البجاوى .
ط ١/ دار المعرفة / بيروت .

٥٥) النهاية في غريب الحديث والاثر
مجد الدين ابي السعادات المبارك بن محمد الجزرى ، ابن الاثير " ت ٦٠٦ هـ " .
تحقيق : محمود محمد الطناحي .
ط / دار احياء الكتب العربية / عيسى البابي

سادسا ـ كتب التراجم :

٥٦) الاستيعاب في معرفة الاصحاب . ابو عمر يوسف بن عبد البر " ت ٤٣٦ هـ " . تحقيق طه محمد الزيني . ط ١ / الناشر : مكتبة الكليات الازهرية .

٥٧) اسد الغابة في معرفة الصحابة . عز الدين بن الاثير ابي الحسن علي بن محمد الجزرى " ت ٦٣٠ هـ " . تحقيق : محمد ابراهيم البنا ومحمد احمد عاشور ط/ دار الشعب .

٥٨) الاصابة في تمييز الصحابة . احمد بن علي بن حجر العسقلاني . ط ١ /

٥٩) الاعلام . خير الدين الزركلي . ط / ٣

٦٠) تذكرة الحفاظ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي . ط / دار احياء التراث العربي .

٦١) تهذيب الاسماء واللغات ابو زكريا محيى الدين يحيى بن شرف النووى ط / دار الكتب العلمية / بيروت .

٦٢) تهذيب التهذيب احمد بن علي بن حجر العسقلاني . ط ١ / مجلس دائرة المعارف في الهند ، دار صادر / بيروت .

٦٣) تهذيب الكمال في اسماء الرجال . جمال الدين ابي الحجاج يوسف المزى " ت ٧٤٢ هـ " . نسخة مصورة عن النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية . دار المأمون للتراث / بيروت .

٦٤) حلية الاولياء وطبقات الاصفياء ابونعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني " ت ٤٣٠ هـ " . ط ٢ / دار الكتاب العربي / بيروت .

٦٥) الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة . احمد بن علي بن حجر العسقلاني تحقيق : محمد جاد المولى . ط ٢ / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .

٦٦) شذرات الذهب في اخبار من ذهب
ابو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي "ت ١٠٨٩ هـ" .
ط / المكتب التجارى / بيروت .

٦٧) طبقات الحفاظ
جلال الدين السيوطي .
ط ١ / الاستقلال .
الناشر : مكتبة وهبه ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .

٦٨) طبقات الشافعية
جمال الدين عبد الرحيم الاسنوى "ت ٧٧٢هـ"
تحقيق : عبد الله الجبورى .
ط / دار العلوم ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م .
وط ١ / الارشاد / بغداد .

٦٩) طبقات الشافعية الكبرى
تاج الدين ابي النصر عبد الوهاب علي بن عبد الكافي السبكي . "ت ٧٧١ هـ" .
تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو .
ط ١ / عيسى الحلبي ، وط ١ / الحسينية .

٧٠) طبقات الفقهاء
ابو اسحاق الشيرازى الشافعي "ت ٤٧٦ هـ" .
تحقيق الدكتور احسان عباس .
الناشر : دار الرائد العربي - بيروت ١٩٧٠م

٧١) الطبقات الكبرى
محمد بن سعد "ت ٢٣٠ هـ" .
دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر / ١٣٧٧هـ ١٩٥٧ م .

٧٢) طبقات المفسرين
شمس الدين محمد بن علي بن احمد الداودى "ت ٩٤٥ هـ" .
تحقيق علي محمد عمر .
ط ١ / مطبعة الاستقلال .

٧٣) غاية النهاية في طبقات القراء .
شمس الدين ابو الخير محمد بن الجزرى .
"ت ٨٣٣ هـ" .
عنى بنشره ج برجستراسر .
ط / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م

٧٤) معجم الادباء — ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى " ت ٦٢٦ هـ " .
ط / دار المأمون ، و ط / الاخيرة.

سابعا - كتب التاريخ والسيرة :

٧٥) البداية والنهاية — ابو الفداء عماد الدين بن كثير .
ط / مكتبة دار المعارف / بيروت .

٧٦) تاريخ التراث العربي . — فؤاد سزكين .
نقله الى العربية محمود فهمي حجازى وفهمي ابو الفضل .
ط / الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧م.

٧٧) تاريخ الخلفاء — جلال الدين السيوطي .
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .
ط ١ / مطبعة السعادة.

٧٨) التاريخ الكبير — ابو عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم البخارى
ط / دار الكتب العلمية / بيروت .

٧٩) زاد المعاد في هدى خير العباد — ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي " ابن قيم الجوزية " " ت ٧٥١ هـ " .
تحقيق : شعيب الارنؤوط وعبد القادر الارنؤوط
ط / مؤسسة الرسالة / مكتبة المنار الاسلامية .

٨٠) سير اعلام النبلاء — ابو عبد الله محمد بن احمد بن عثمان الذهبي .
تحقيق : شعيب الارنؤوط .
ط ٢ / مؤسسة الرسالة / بيروت.

٨١) السيرة النبوية — ابن هشام .
تحقيق : مصطفى السقا وابراهيم الابيارى ، وعبد الحفيظ شلبي .
ط / ١٣٥٥ هـ ١٩٣٦ م مطبعة مصطفى الحلبي .

٨٢) معجم البلدان — ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى .
ط / دار احياء التراث العربي / بيروت .
و ط / دار صادر للطباعة والنشر ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م .

٨٣) مقدمة ابن خلدون — عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي .
" من القرن الثامن الهجرى " ط / ٤

٨٤) منجم العمران في المستدرك على معجم البلدان . — جمع وترتيب محمد امين الخانجي
ط ١ / مطبعة السعادة / مصر .

ثامنا - كتب العقيدة :

٨٥) شرح العقيدة الطحاوية — علي بن علي بن محمد بن ابي العز الحنفي
" ت ٧٩٢ هـ " .
ط/ المكتب الاسلامي .

٨٦) كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل التي وصف بها نفسه في تنزيله الذى أنزله على نبيه المصطفى وعلى لسان نبيه الذى نقل الاخبار الثابتة نقل العدول عن العدول من غير قطع في الاسناد ولا جرح في ناقل الاخبار الثقات . — ابو بكر محمد بن أسحاق بن خزيمة السلمي النيسابورى
" ت ٣١١ هـ " .
راجعه وعلق عليه محمد خليل الهراس.
ط ٢ / دار الفكر .

تاسعا ـ كتب الفقه وأصوله :

٨٧)	بداية المجتهد ونهاية المقتصد	ابو الوليد محمد بن احمد بن احمد بن رشد القرطبي " ت ٥٩٥ هـ ". ط ٦/ دار المعرفة / بيروت.
٨٨)	الروض المربع شرح زاد المستقنع	منصور بن يونس بن ادريس البهوتي . ط/ ١٣٩٠ هـ ١٩٧٠ م / مطبعة السعادة بمصر .
٨٩)	مجموع الفتاوى	ابو العباس تقي الدين احمد بن تيمية " ت ٧٢٨ هـ ". جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدى الحنبلي . ط ٢/ ١٣٩٩ هـ .
٩٠)	المحلى	ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم " ت ٤٥٦ هـ ". منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت.
٩١)	المغني ويليه الشرح الكبير	موفق الدين ابن قدامة " ت ٦٣٠ هـ ". شمس الدين ابن ابي عمر بن قدامة المقدسي " ت ٦٨٢ هـ ". ط / دار الكتاب العربي / بيروت ، ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢ م .
٩٢)	الموافقات في اصول الشريعة	ابو اسحاق الشاطبي وهو ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي " ت ٧٩٠ هـ " ط ٢ .

عاشرا ـ كتب الاخـــلاق :

٩٣) احياء علوم الدين — ابو حامد محمد بن محمد الغزالي " ت ٥٠٥ هـ " ط / دار احياء الكتب العربية / عيسى الحلبي / مصـــر .

٩٤) مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين . — ابو عبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي " ابن قيم الجوزية " .

حادي عشر ـ كتب اللغة :

٩٥) تاج العروس من جواهـــر القاموس . — محمد مرتضى الزبيدى . ط ١ / منشورات دار مكتبة الحياة / بيروت .

٩٦) القاموس المحيط ترتيب — مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى الشيرازى الطاهر احمد الزاوى . ط / دار الكتب العلمية / بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٩٧) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير . — احمد بن محمد بن علي المقرى الفيومي " ت ٧٧٠ هـ " . تحقيق مصطفى السقا . ط / مصطفى الحلبي .

٩٨) معجم مقاييس اللغة — ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا " ت ٣٩٥هـ " تحقيق : عبد السلام هارون . ط ٢ / شركة ومطبعة البابي الحلبي / مصر .

٩٩) المعجم الوسيط — مجمع اللغة العربية . ط ١ / دار المعارف / . مصر .

١٠٠) لسان العرب — جمال الدين محمد بن منظور " ت ٧١١ هـ " . اعداد وتصنيف : يوسف خياط ، ونديم مرعشلي .

ثاني عشر - كتب متنوعة :

(١٠١)	التذكرة في احوال الموتى وامور الاخرة .	ابوعبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر الانصارى القرطبي . تحقيق : احمد حجازى السقا . ط / المكتبة العلمية ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .
(١٠٢)	حادى الارواح الى بلاد الافراح	ابوعبد الله محمد بن ابي بكر الزرعي الدمشقي . ابن قيم الجوزية . ط / دار الكتب العلمية / بيروت .

فهرس الموضوعات

فهرس تفصيلـــي